مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الحادية والثلاثون : العدد مئة وواحد وعشرون - شعبان ١٤٤٤ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٣ م

القانون الواضح في معالجات الجوارح المؤلف: الناصري : بغدي بن علي بن مرزبان العراق قشتمر، الأمير، البغدادي، التركي، فخر الدين ٦٨٥ هـ

تاريخ النسخ : ٦٦٦ هجري

alqanun alwadih fi muealajat aljawarih
almualafi: alnaasiriu : bughdi bin ealiin bin marziban aleiraq qashtimr, al'amir , albaghdadiu, alturkiu , fakhr aldiyn 685 hu, tarikh alnaskha:666 hijri

شروط النشر في المجلة

١ - أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ - ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ - يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ - يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ - أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطِّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ - أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ - لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ - تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الحادية والثلاثون : العدد مئة وواحد وعشرون - شعبان ١٤٤٤ هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٣ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

التصرفات المالية ووجوب التزام الصدق والنزاهة

مدير التحرير ٤

المقالات

مخطوط "التبيان في تفسير القرآن" لمحمد بن أحمد بن عمارة الغسَّاني البَرْجي الأندلسي (ق: ٧هـ) أخطاء في ضبط العنوان وأوهام في نسبته لغير مؤلفه

الدكتور علي قاسمي ٦

صيارفة وبنوك (الأثر الاقتصادي للمؤسسات المالية الأجنبية في الدولة العثمانية القرن ١٩م)

د. أحمد صالح على محمد ٢٧

تزويق المخطوطات في القرن السابع الهجري (مدرسة الموصل أنموذجًا)

أ. د. إدهام محمد حنش ٥٠

النظام الحربي في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢هـ / ٧٥٠ – ٨٣٦م) دراسة تاريخية

د. محمد حسن محمد امام الباشا ٧١

الفن الصخري مدخل أساسي لكتابة التاريخ والتراث بالمغرب القديم وبشمال إفريقيا

رشيد صديق ٨٩

تحقيق المخطوطات

شرح أسماء الله الحسنى أو (إعلام اللبيبة الحسنا بمعاني أسماء الله الحسنى)

تأليف العلّامة المحقق أبي عبد الله، وليّ الدّين، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف العثمانيّ الدِّيباجي الشافعي، المعروف بالمَلَّوِي، أو بابن المنفلوطي، أو خطيب مَلَّوي (٧١٣ ـ ٧٧٤هـ)

دراسة وتحقيق

د. طه محمد فارس ١٠٧

ثلاثة أجوبة فقهية

تأليف العلامة أحمد ابن الخيّاط الزُّكاري الحسني (ت: ١٣٤٣هـ)

تقديم وتحقيق

الدكتور نورالدين بن محمد لرجى ١٤٩

الملخصات ١٨٢

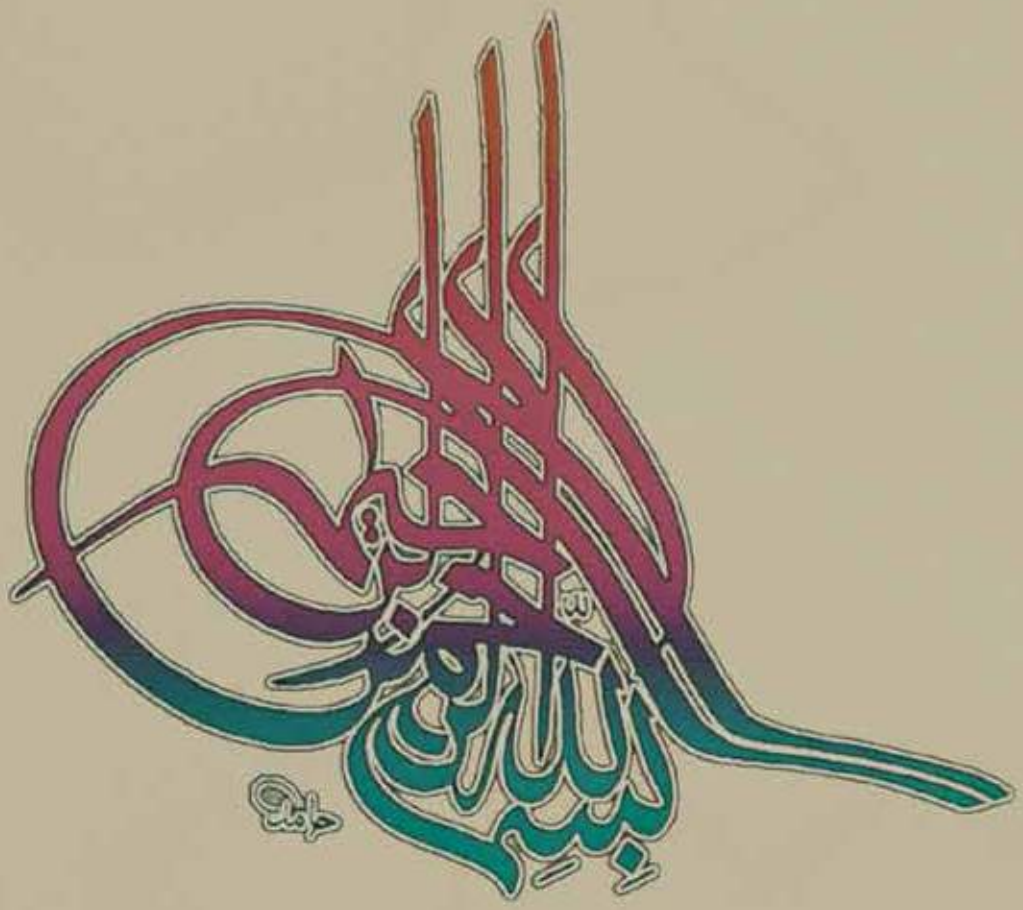
بسم الله الرحمن الرحيم

التصرفات المالية ووجوب التزام الصدق والنزاهة

أوجب الله على عباده الصدق، والأمانة في الأمور كلها؛ فقال في الصدق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥.

لقد حرصت الشريعة على تحقيق إقامة الصدق وبيان الحقيقة بين المتبايعين في تعاملهما وجميع تصرفاتهما، بل أرست ذلك قواعد راسخة في باب المعاملات، وهو ما تضافرت على وجوبه أدلة الشريعة النصية، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أوقال حتى يتفرقا – فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما"، فالصدق والبيان من آكد أسباب المباركة في الرزق والمال، والكذبُ والكتمان من أعظم أسباب المحق والخسار قال ابن تيمية: كلُّ ما وجب بيانُه، فالتعريضُ فيه حرام؛ لأنه كِتمان وتدليس، ويدخل في هذا الإقرارُ بالحقِّ، والتعريض في الحلِف عليه، والشَّهادة على المعقود عليه، ووصف المعقود عليه، وقد أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات: قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله لأعطي بها كذا وكذا، فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف"، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: مر النبي ﷺ على صبرة من طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام"؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس منا".

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق".

ولما كان الصدق من أعظم الفضائل ومن صفات الأنبياء كان هو المعول عليه من جهة النظر في تبرير حكم تضمين الصناع وقالوا: إن تأمينهم كان بناء على ضرورة الناس ومسيس حاجتهم إلى استعمال الصناع، ولو علم هؤلاء أنهم يؤتمنون ولا يضمنون ويصدقون فيما يدعون من التلف لتسارعوا إلى أخذ أموال الناس، واجترأوا على أكلها، فكان ذلك ذريعة إلى إتلاف الأموال وإهلاكها، ويلحق أرباب السلع في ذلك ضرر شديد؛ لأنهم بين أن يدفعوها إليهم فيعرضوها للهلاك أو يمسكوها مع حاجتهم إلى استعمالها فيضر ذلك بهم، إذ لا يحسن كل أحد أن يعمل جميع ما يحتاج إلى استعماله، فكان هذا من الأمور العامة الغالبة التي يجب مراعاتها والنظر فيها للفريقين جميعًا، فكان الحق في دفعها إليهم على التضمين حتى إذا علم إهلاكها بالبينة من غير تضييع لم يضمنوا لإزالة الضرر عنهم، كما إذا لم يعلم الهلاك والتلف ضمنوا لإزالة الضرر عن أهل الأموال.

وإضافة إلى تضمين الصناع قالوا بتضمين حامل الطعام والإدام على كل حال ولو لم يكن منه غرر ولا تفريط إذا لم تقم له بينة على تلفه، مع أن الأصل عدم الضمان على الأجير على الحمل إلا أن يتعدى أو يفرط، وعللوا هذا الحكم بمسيس حاجة الناس إلى الطعام وضرورتهم إليه، ولو ترك حاملوه من غير تضمين لتسارعوا إلى أخذه، إذ لا بدل عليهم فيه، فيؤدي ذلك إلى امتناع الناس من الحمل معهم وتدخل المضرة على الفريقين فيضمنوا دفعًا لها.

ولما كان تأمين الأموال من أعظم مقاصد الشريعة فيها فإنها قد ترخص في إباحة الممنوع إذا ما توقعت انخرامًا في مقصدها إذا ما التزم ذلك الممنوع، ومن ثم أبيح الكذب في ستر مال مسلم أو عرضه ولو نفسه إذا سئل عن مال أريد غصبه منه أو من غيره؛ لأن مفسدة الصدق هنا أعظم من مفسدة الكذب.

وكذلك لو سأل الظالم القاصد لأخذ الوديعة المستودع عنها فيجب عليه أن ينكرها؛ لأن حفظ الودائع واجب، وإنكارها هنا حفظ وتأمين لها ويكون محسنًا بفعله، أما إذا أخبر بها ضمنها.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

مخطوط "التبيان في تفسير القرآن" لمحمد بن أحمد بن عمارة الغسَّاني البَرْجي الأندلسي (ق: ٧هـ)

أخطاء في ضبط العنوان وأوهام في نسبته لغير مؤلفه

الدكتور علي قاسمي
المغرب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد؛ فإن تحقيق عنوان الكتاب ونِسْبته إلى مؤلفه الحقيقي، يُسهم في إخراج العمل المحقق وفق ما أراده صاحبه شكلًا ومضمونًا؛ لذا ينبغي على من تصدى لهذا الميدان أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه، ويركز عنايته للوصول إلى هذه الغاية.

ومع ما عُلم من أهمية تحقيق العنوان والتأكّد من نسبته، إلا أن التركيز والأولوية تُعطى لخدمة متن الكتاب، ويتغافل جُل من ألّف في هذا الفن أو مارسه عن العنوان وواضعه إغفالا كليًا أو جزئيًا، ويظهر أثر هذا القصور في كثرة المخطوطات التي حُققت بعناوين مختلفة واشتهرت في نسبتها إلى أسماء منتحلة.

وعلى هذا الأساس، فإن عمل المحقق لا بد أن يكون مصحوبًا بالحذر؛ لأنه لا يكفي أن يجد اسم المؤلِّف أو اسم المؤلَّف في ظاهر النسخة، أو في خطبة الكتاب، أو في آخرها ليحكم بصحتهما، بل لا بد من إجراء تحقيق علمي وفق الضوابط والقواعد المتفق عليها بين أهل الصَّنْعة للجزم بذلك، وليس بالأمر الهين أن يصل إلى هذه النتيجة، فبعض المخطوطات يكون خاليًا من العنوان وصاحبه، إما بسبب انطماسهما وعدم وضوحهما، أو بالضرب عليهما وكَشْطهما بهدف التقويم والتصحيح، أو بغرض التزييف المتعَمّد...

وقد يكون الخطأ في النسبة بسبب التشابه في الأسماء والكنى والألقاب، أو أن صاحب الكتاب ليست له شهرة ولا ترجمة، أو العجلة في تقديم العمل جاهزا للمناقشة إذا كان الأمر يتعلق برسالة أو أطروحة جامعية، أو التسابق نحو الطبع والنشر... والخطأ في عنوان ونسبة مخطوط: "التبيان في تفسير القرآن" من طرف

المفهرسين والمحققين يندرج في دائرة التزييف المتعمد أو غير المتعمد، بسبب العجز عن الوصول إلى معرفة الترجمة الحقيقية للمؤلف، أو بسبب التهاون في اتباع الضوابط المتعارف عليها في هذا المجال، مما أدى إلى انزلاق علمي متسلسل كما سنرى بالتفصيل في المحورين الآتيين.

المحور الأول: أخطاء المفهرسين والمحققين في ضبط عنوان ونسبة مخطوط "التبيان في تفسير القرآن".

بعد سنوات من الاشتغال على هذا التفسير، وما صاحب ذلك من الاطلاع المتواصل على فهارس ومعاجم المخطوطات، والبوّابات الإلكترونية لبعض المكتبات والمراكز البحثية، وما سُجِّل ونُوقِش من الرسائل والأطروحات الجامعية، تَبيّن لي حجم الخطأ الذي وقع فيه المفهرسون والنساخ في ضبط عنوان ونسبة هذا الكتاب، وعن طريقهم انتقل ذلك إلى المحققين والباحثين، وتفصيل ذلك كالآتي:

أولا: أخطاء المفهرسين والنساخ في ضبط العنوان والنسبة.

١- الخطأ في العنوان مع صحة النسبة.

لقد وهم بعض مفهرسي المكتبة الوطنية بالرباط فسمّوا الكتاب: "البيان في تفسير القرآن"[١] مع صحة النسبة لمحمد بن أحمد بن عمارة الغساني، والغريب أن العنوان ضُبط صحيحًا على غلاف النسختين الموجودتين بالمكتبة (٤٥٩ق/٨٠٠ج)[٢]، كما أن المؤلف أثبت العنوان في خطبة كتابه بالنسبة للنسخة (٤٥٩ق)[٣]، وأثبته الناسخ في آخر النسخة (٨٠٠ج)[٤]، لكن القائمين على هذه الأعمال لم يبذلوا جهدا لقراءة ذلك وتثبيته بشكل سليم، وانتقل هذا الخطأ إلى الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط[٥]، بسبب اعتمادهم على القوائم الخطية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط.

أما النسخة المحفوظة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية[٦]، فقد أطلق عليها الناسخ، في آخر الجزء الأول، عنوان: "التبيان في تفسير ألفاظ القرآن"[٧]، مع أنه أثبته صحيحًا في خطبة الكتاب[٨]، وبنفس الخط من أول هذا الجزء إلى آخره.

٢- الخطأ في اسم المؤلِّف مع صحة العنوان.

نُسب مخطوط "التبيان في تفسير القرآن" في فهرس مخطوطات مكتبة نور عثمانية باستانبول للخضر بن عبد الرحمن الأزدي المتوفي سنة ٧٠٠هـ[٩]، بسبب التزييف المتَعمّد، حيث كُتب اسم الكتاب واسم مؤلفه الحقيقي أسفل صفحة العنوان، لكن كُشط عليهما، ونُسب في أعلى الصفحة بخط مخالف لخط الناسخ، لمؤلف آخر كما ذكرنا، وقد نتج عن هذا الصَّنيع كارثة علمية متتالية، سنذكرها في العنصر الآتي.

٢- الخطأ في العنوان واسم المؤلِّف معًا.

وقد وقع ذلك لمحمد العربي الخطابي، مصنف

الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكريم بالخزانة الحسنية، حيث ذكره بعنوان: "البيان في تفسير القرآن"، ونسبه لمحمد بن أحمد الغساني الأندلسي [المالقي] المتوفى عام (٧٤١هـ/١٣٤٠م)[١٠]، وأثبت أن ترجمته في معجم المؤلفين (١١/٩)، مع أن هذا الاسم لا يُعرف بالتفسير[١١]، ولو اطلع على خطبة الكتاب[١٢]، لما وقع في هذا الخطأ الذي تناقلته وأشاعته المواقع الإلكترونية والمراكز البحثية المهتمة بتفاسير القرآن الكريم.

ثانيًا: أوهام الباحثين والمحققين للكتاب

حُقق الكتاب منسوبًا خطأ إلى أبي القاسم الخضر بن عبد الرحمن الأزدي الدمشقي (٧٠٠هـ)، على نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة نور عثمانية باستانبول[١٣]، من طرف ست باحثات بكلية التربية للبنات، وكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، من سنة ١٤٢٨هـ إلى ١٤٣٢هـ، وجاء تقسيمه كالآتي:

القسم الأول: من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران، للطالبة نجلاء بنت سليم الصاعدي، للحصول على درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي[١٤].

القسم الثاني: من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة الأنفال، للطالبة سميرة بنت إدريس فلاته، للحصول على درجة الماجستير، إشراف الدكتور عبد الرحمن بن جميل قصاص[١٥].

القسم الثالث: من أول سورة التوبة إلى نهاية سورة مريم، للطالبة سامية بنت جريبيع الردادي، للحصول على درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي[١٦].

القسم الرابع: من أول سورة طه إلى نهاية سورة سبأ، للطالبة وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، للحصول على درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي[١٧].

القسم الخامس: من أول سورة فاطر إلى نهاية سورة الرحمن، للطالبة نوال بنت محمد أحمد أبو سليمان، للحصول على درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب[١٨].

القسم السادس: من أول سورة الواقعة إلى نهاية سورة الناس، للطالبة بدرية خلف أحمد الحارثي، للحصول على درجة الماجستير، إشراف الدكتور عبد الرحمن بن جميل قصاص[١٩].

وحُقق جزء من هذا التفسير (من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة) منسوبًا لأبي بكر الغساني المتوفى سنة ٥٣٦هـ، من طرف الباحث مصطفى البَحْري الصبَّابي لنيل دبلوم الدراسات العليا في التفسير ومناهج المفسرين في الغرب الإسلامي، تحت إشراف الدكتور إدريس خليفة، بكلية أصول الدين بتطوان، التابعة حينئذ لجامعة القرويين، سنة ١٤٢٥هـ[٢٠].

وإذا كان خطأ الطالبات يعود إلى تعويلهن على ما ثبت على غلاف الكتاب، وبسبب اعتمادهن على نسخة فريدة، فإن خطأ الباحث المغربي يرجع إلى اتكاله على التشابه النسبي بين الأسماء، فالمؤلف الحقيقي اسمه: محمد

ابن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلسي، والمؤلف الذي نُسب إليه ما ليس له، فهو: محمد ابن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن عمر بن أسود، أبو بكر الغساني، الأندلسي. لكن لماذا لجأ الباحث إلى هذا الانتحال، مع أن الاسم الحقيقي للمؤلف ثابت في خطبة نسخة (٤٥٩ق)[٢١]، وفي آخر نسخة (٨٠٠ج)[٢٢]، اللتين اعتمدهما في تحقيق هذا القسم؟.

والجواب: لأنه عجز عن الوصول إلى ترجمةٍ لهذا العَلَم، فرغم البحث المتواصل في كتب طبقات المفسرين، وفي معاجم وفهارس المؤلفين، وفي كتب التراجم والأعلام، إلا أنه كان لا يعثر على أي شيء يخص المؤلف، وفي المقابل كان يقف على شَبِيهٍ له في الاسم، ويذكرون له تفسيرا دون التصريح بعنوانه، فاغتر بذلك فأضافه إليه، وجمع له ترجمة وافية وقدَّمه للمناقشة.

وفي سنة ١٤٣٢هـ سُجِّل المخطوط كاملا على أربع نسخ، منسوبًا أيضًا لأبي بكر محمد بن أحمد الغساني الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٦هـ، من طرف الباحث علي قاسمي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، جامعة مولاي إسماعيل، لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، تحت إشراف الدكتور فؤاد بُوقْجيج[٢٣]، وبعد الوقوف على النسخ التي توصّل إليها ورجوعه إلى كتب التراجم التي اعتمدها الباحث السابق، ومن خلال المقارنة بين الاسم المثبت في خطبة الكتاب وبين الاسم المنتحل، تيقَّن أن الاسم المتَرجَم له ليس هو صاحب الكتاب، وازداد يقينا عندما عَلِم بوجودِ كتابٍ في القراءات يحمل عنوان: "العقد النضيد في شرح القصيد" لمحمد بن أحمد ابن عمارة الغساني البرجي الأندلسي[٢٤].

وبما أنه لم يعثر له على ترجمة في المظان التي رجع إليها، وعجز عن الوقوف على أي شيء يخصُّ المؤلّف، وتوصل عن طريق المراسلة إلى أن صاحب الكتابين لا ترجمة له، فقد أعرض عن مناقشة هذا الاختلاف وعن إثارة هذه المشكلة، وقدّم أطروحته للمناقشة كما فعل سابقه مع رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا.

ويُضاف إلى ما سبق من الأغلاط غلط آخر في تاريخ وفاته من طرف بعض المهتمين بعلم القراءات، فاعتبروه من علماء القرن العاشر الهجري، منهم الدكتور أيمن رشدي سويد[٢٥]، والدكتور عبد الهادي عبد الله حميتو[٢٦]، اعتمادا على تاريخ النَّسْخ، الْمُثْبت في آخر النسخة المحفوظة ضمن مخطوطات مجموعة (منجانا) بكليات سيلي أوك بمدينة (برمينغهام- Birmingham) البريطانية، تحت رقم: [(٥٥١) ٥٣]- (٣٤٣و)[٢٧]، وهو عام (٩٣٨هـ)، وتبعهما على هذا الخطأ جُل من جاء بعدهما من الباحثين[٢٨].

المحور الثاني: التعريف بصاحب المخطوط وبنسخ "التبيان في تفسير القرآن".

من المشكلات التي تواجه الباحث في التراث صعوبةُ الوصول إلى ترجمة المؤلف، أو عدمُ وجودها تمامًا، أو نقصُ المعلومات في التراجم الموجودة نقصًا شديدًا جدًّا، ويليها في الصعوبة مسألة العثور على النسخ وجمعها وترتيبها...

أولا: أين ترجمة مؤلف "التبيان في تفسير القرآن"؟

إنه من الأسماء التي لا ترجمة لها تمامًا كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إلا أن جميع نسخ الكتاب اتفقت على اسمه، فهو: محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلسي، باستثناء نسخة مكتبة نور عثمانية باستانبول التي نُسبت للخضر بن عبد الرحمن الأزدي المتوفى سنة ٧٠٠هـ، بسبب تعرضها للتزييف.

ويظهر من خلال نسبه، أن الغساني انتسب إلى عدة بلدان، ولعل ذلك فيه دلالة على كثرة رحلاته العلمية.

فالغَسَّاني: نسبة إلى قبيلة غسَّان من أكبر قبائل اليمن، نزلوا بماء يقال له غَسَّان فنسبوا إليه، وهي بطون مشهورة[٢٩].

والبَرْجي: نسبة إلى مدينة بَرْجَة، وتسمى الآن "بورخا" بالإسبانية، وهي تقع في مقاطعة سرقسطة التابعة لمنطقة أراغون شمال شرق إسبانيا[٣٠].

والأندلسي: نسبة إلى الأندلس المعروفة اليوم بإسبانيا[٣١].

ورغم الاطلاع الواسع على كتابيه، فإني لم أجد أي إشارة لتاريخ مولده، ولم يرد ذكر لشيوخه الذين تلقى عنهم العلم باستثناء الإمام السخاوي الذي صرح بأنه شيخه في عدة مواضع من كتابه "العقد النضيد في شرح القصيد"، منها قوله في معرض حديثه عن تاء التأنيث: "وقد نظم شيخنا الإمام العالم علم الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الصمد السخاوي في ذلك أبياتا ذكر فيها ما لم يذكر الشيخ في القصيدة، طلب بذلك تقريب حفظها وتسهيل ضبطها..."[٣٢].

وإذا كان العالم بما أعطى، وليس بما أخذ، فإني للأسف الشديد، لم أعثر على الذين اغترفوا من معينه، رغم البحث والتنقيب الذي استغرق وقتا طويلا، وجهدًا مضنيًّا، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بأن له تلاميذ كثر، بدليل ما أورده في سبب تأليفه لكتابيه، حيث قال في خطبة "التبيان في تفسير القرآن": "وبعد، فإن بعض إخواني سألني أن أضع له شيئًا من تفسير الكتاب العزيز ليكون مختصرًا غير طويل ولا وجيز..."[٣٣]، وقال في خطبة "العقد النضيد في شرح القصيد": "فإنكم سألتموني أحسن الله توفيقكم، وسهل إلى سبيل الخيرات طريقكم، أن أجمع لكم شيئًا في شرح قصيدة الشيخ الإمام الحافظ أبو القاسم بن فِيرُّه بن أبي القاسم الرُّعَيْني الشاطبي..."[٣٤]، ففي كلامه دلالة على أنه يخاطب جمعًا من التلاميذ، لأن السؤال في الغالب لا يكون إلا منهم.

كما أن الألقاب العلمية التي حازها ووُصِف بها تدل على مكانته العلمية الرفيعة، فهو "العالم النحوي، المتقن المقرئ، الحسيب الرئيس الأمجد..."[٣٥]، وهذه الأوصاف تستوجب تصدره لمجالس الإقراء والتدريس للانتفاع منه.

وقد أثنى عليه الشيخ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري الزبيدي المتوفى سنة (٨٤٨هـ)، فقال: "والإمام الجليل العالم، النحوي المتقن المقرئ، الحسيب الرئيس الأمجد، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمارة الغساني

الأندلسي البرجي، شَرح الشاطبية شرحًا ينفع المبتدئ، ولم يكن معنا في زَبِيد منه نسخة، فاستعرتها من بعض الأصحاب الساكنين خارج زَبِيد، فرأيته مجلدا ضخما بيَّن فيه القراءات، وهو مشتهر في جبال حَرَاز وغيرها..."[٣٦].

أما تاريخ وفاته فلا يمكن الجزم بتحديده، لكن القرائن تدل على أنه كان حيا قبل سنة (٦٤٣هـ)، وهو تاريخ وفاة شيخه علم الدين السخاوي الذي خصه بالترضي في شرح الشاطبية (العقد النضيد في شرح القصيد)، حيث قال: "وقد نظم شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي رضي الله عنه في الياءات المثبتة..."[٣٧].

ويفهم من سياق هذا الكلام أن الغساني كانت وفاته في النصف الآخر من القرن السابع الهجري[٣٨].

أما إنتاجه العلمي فهو قليل ومحدود بالنسبة لرجل مثل أبي عبد الله الغساني، ولم أقف له إلا على كتابين، وهما:

١- "التبيان في تفسير القرآن"، وهو التفسير الذي حققناه، وبعثناه من رقدته، ونسأل الله تعالى أن ييسر طبعه ونشره، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل، بإذن الملك الجليل.

٢- "شرح الشاطبية أو العقد النضيد في شرح القصيد"[٣٩]، وقد أحصيت له تسع نسخ خطية[٤٠]، منها نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم: (١٦٠/ تجويد وقراءات)، في ١٦٢ ورقة، كتبت سنة (٨٣٢هـ)، وهي من المخطوطات الوقفية، من طرف العلامة جمال الإسلام علي بن يحيى أبو طالب على من يقرأ فيه بجامع صنعاء سنة ١٢٢٩هـ.

ثانيًا: التعريف بنسخ مخطوط "التبيان في تفسير القرآن".

هو تفسير كامل للقرآن الكريم، وسط بين الطول والقصر، موجز العبارة، سهل المأخذ، اختصره مؤلفه رحمه الله من عدة تفاسير، وهذا ما أشار إليه في مقدمة تفسيره بقوله: "وجمعت عدة تفاسير، وأحضرتها لدي، وفعلت ذلك مخافة من الزلل، وسألت الله الاستعانة في القول والعمل وجمعت منها ما سمح به الخاطر الجامد، وما بلغ إليه الفكر الخامد...".

وتأتي أهمية هذا التفسير باعتباره إضافة أخرى في مجال التفسير بالمأثور، فاعتماد الغساني على المنقول من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، يجعل منه مرجعا مهما من مراجع التفسير النقلي. وتظهر منزلته كذلك في كونه لبنة أخرى في مجال التفسير باللغة، وذلك بالنظر لغِنى المظان والمصادر العلمية التي استقى منها مادته اللغوية.

كما أن ما جاء في هذا التفسير من إعراب في بعض الأحيان، وتوجيه لبعض الأقوال على أخرى في مجال اللغة والقراءات، يجعل من هذا التفسير مرجعا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير بالرأي المحمود.

وقد توصلت إلى جمع ثمان نسخ خطية، وهذا أوان وصفها:

١- نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٤٥٩ق).

نسخة خطية مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط، قسم القاف، رقم: ٤٥٩، وهي من المخطوطات الوقفية التي جلبت من مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت بالجنوب المغربي.

كُتبت بخط مغربي مقروء، يبلغ عدد صفحاتها ٥٠٨ صفحة حسب الترقيم الحديث، كل صحيفة تحتوي على ٣٠ سطرا ما عدا الصفحة الأولى.

أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البَرْجي الأندلسي عفا الله عنه. الحمد لله الذي أنزل كتابه فجعله سراجا منيرا...".

آخرها: "فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم" سورة الفلق، آية: ١.

مقياسها: ٢٩ سم طولا، و٢١ سم عرضا.

حالتها: مبتورة الآخر، وبها أخطاء وسقط، وبياض في أواسط السطور تركه الناسخ عمدا لعدم علمه بما يكتب.

ولا نجد على النسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وليس عليها من التملكات سوى ختم مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت، وختم الخزانة العامة بالرباط الذي يُثبت بأنها من مخطوطات الأوقاف.

وهذه المخطوطة تمتاز بقلة أخطائها الإملائية والنحوية، وعلى جوانب صفحاتها بعض التصحيحات والتعليقات والتنبيهات، مثل: "قف هنا تستفد" و"انظر هنا" إلى غير ذلك من الألفاظ والرموز.

٢- نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٨٠٠ج).

نسخة خطية مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط، قسم الجيم، رقم: ٨٠٠، وهي نسخة مبتورة الأول، وناقصة الآخر، تبتدئ بقوله: "وسبع مائة وتسعة أحرف....."، وتنتهي بقوله: "فسمى النفس بالشر، والوسواس بالفتح اسم، وبالكسر المصدر كالزلزال، أو تسمى" سورة الناس.

والنسخة مكتوبة بخط مغربي مقروء، ورق أصفر غليظ، مداد أسود وأحمر، خالية من الشكل، تقع في ٢١٨ ورقة، وكل صحيفة تحتوي على ٣١ سطرا ما عدا الصفحة الأخيرة. وكُتب على حاشيتها اليسرى من الصفحة الأولى ما يلي: "حبس على الزاوية الناصرية الحسينية بأغلان".

مقياسها: ٢٩ سم طولا، و٢١ سم عرضا.

الناسخ: أحمد بن محمد بن الصغير التنردني.

تاريخ الفراغ من النسخ: يوم الثامن من صفر الخير عام ١١٢٩هـ.

وهي مع وضوح خطها، فإنها لا تخلو من التصحيف والتحريف والسقط، وكثرة الأخطاء الإملائية والنحوية.

٣- نسخة خزانة الجامع الكبير بمكناس (٢٢٠/ القرآن وعلومه).

وهي نسخة مصورة عن مخطوطة خزانة

الجامع الكبير بمكناس، رقمها: ٢٣٠، وهي ناقصة ومبتورة، تبتدئ بتفسير قوله تعالى من سورة مريم: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾، وتنتهي بتفسير آخر سورة الناس.

وهذه النسخة تقع في ١٣٤ ورقة، في كل صفحة ٢٩ سطرا ما عدا الصفحات المبتورة من الأعلى أو من الأسفل، وبالتالي فعدد السطور في كل صفحة، وعدد الكلمات في كل سطر لا ينضبط باطراد في كل الكتاب، وإنما يختص كل وضع بعدد معين.

مقياسها: ٢٠ سم طولا، و١٤ سم عرضا.

كُتب بآخرها: تم وانقضى كتاب التبيان في تفسير القرآن، تأليف العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد ابن عمارة الغساني البرجي الأندلسي غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين. آمين.

الناسخ: منصور بن الحسن بن محمد بن علي.

ولا نجد على النسخة ما يثبت تاريخ النسخ، وليس عليها من التملكات سوى ختم خزانة الجامع الكبير بمكناس، وعلى جوانبها طرر وتقاييد كلها مأكولة بالأرضة.

وهذه النسخة للأسف الشديد أصابها المزق والخرم بشكل بالغ بفعل الأرضة والبلى، وعدم العناية بها من طرف المسؤولين على المكتبة، مما يجعل الاستفادة منها بعيد المنال.

٤- نسخة الخزانة الملكية بالرباط (٨٩٢٢/ تفسير).

وهي نسخة مصورة عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط، رقمها: ٨٩٢٣، وهي مبتورة الآخر، تنتهي أوراقها عند تفسير سورة الكهف، كُتبت بخط مغربي ردئ بمداد بُني، وبعض كلماتها بخط أحمر لتتميز عن غيرها، تقع في ٢٢٥ صفحة، في كل صفحة ٣٥ سطرا ما عدا الصفحة الأولى ٢٦ سطرا، والصفحة الأخيرة ٣٤ سطرا.

أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البَرْجي الأندلسي عفا الله عنه ورضي الله عنه. الحمد لله الذي أنزل كتابه فجعله سراجا منيرا...".

مقياسها: ٢٧,٥ سم طـولا، و٢٠,٥ سم عرضا.

حالتها: غير جيدة، تآكلت وتهرأت، وبها خروم وسقط، وقد خضعت للترميم، وتم تصويرها على الميكروفيلم، وبطريقة رقمية حديثة.

ولا نجد على النسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وليس عليها من التملكات سوى ختم خزانة القصر الملكي، وعلى جوانبها تعليقات وبعض العناوين مثل: "قصة موسى"، و"قصة لوط"، و"قصة شعيب"...

٥- نسخة مكتبة نور عثمانية باستانبول (٢٤٤/تفسير).

وهي نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة نور عثمانية الملحقة بالمكتبة السليمانية في استانبول، تحت رقم: (٢٤٤/تفسير)، وهي نسخة كاملة،

من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس، تقع في (٣٥٢) ورقة، مسطرتها: ما بين (٣٠-٣٢) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٤) كلمة، وقد كُتبت بخط مشرقي واضح.

أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر ولا تعسر، الحمد لله الذي أنزل كتابه فجعله سراجا منيرا، وشرح به قلوب العارفين فملأها حبورا وسرورا...".

آخرها: "وقع الفراغ من نسخ كتاب التبيان في تفسير القرآن في يوم الاثنين أحد وعشرين من شهر الأصم رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة (٧٢٦ هـ)، في مدينة السلام دمشق، حماها الله من الآفات في خانقاه السمساطية رحمة الله على بانيها ومنشيها".

وهذه النسخة هي التي نُسبت للخضر بن عبد الرحمن الأزدي المتوفى سنة ٧٠٠هـ.

٦- نسخة مكتبة يني جامع باستانبول (٢٧/ تفسير).

نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة في مكتبة يني جامع، الملحقة بالمكتبة السليمانية في استانبول، تحت رقم: (٣٧/ تفسير)، وهي نسخة كاملة، من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس، تقع في (٣٠٨) ورقة، مسطرتها: (٢٩) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٧) كلمة، كُتب النصف الأول في العاشر من شهر محرم سنة (٨١٦ هـ)، والنصف الثاني في يوم الجمعة وقت الضحوة الصغرى في شهر صفر سنة (٨١٨ هـ).

عنوانها: كتاب التبيان في تفسير القرآن، واسم مؤلفها: العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد ابن أحمد بن عمارة الغساني البرجي غفر الله له ولأبويه ولكافة المسلمين ولكاتبه.

جاء في آخر النصف الأول: "تم النصف الأول بتمامه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين، على يد العبد الفقير الحقير أحمد بن محمود بن يوسف السهوي، في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام لسنة ست عشرة وثمانمائة".

وفي آخر النصف الثاني: "كتبه الفقير المحتاج إلى رحمة ربه اللطيف الخبير أحمد بن محمود بن يوسف السهوي، الإمام في جامع سهوة المحروسة، وفرغ من تحريره في يوم الجمعة وقت الضحوة الصغرى في شهر صفر ختم الله بالخير والظفر لسنة ثمان عشرة وثمانمائة حامدًا مصليًا".

٧- نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض (١٢٦٧٢/ ٧٨٧٨ تفسير).

نسخة مصورة من مخطوطة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، في جزأين، واسم المؤلف فيهما: محمد ابن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلوسي.

الجزء الأول: تحت رقم: (١٢٦٧٢/تفسير)، في (٢٥٣) ورقة، مسطرته مختلفة.

أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله وسلم على سيدنا محمد. قال العبد الفقير إلى عفو

ربه محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلوسي، عفا الله عنه. الحمد لله الذي أنزل كتابه فجعله سراجًا منيرًا ...".

وآخـره: "كمل بحمد الله، وحسن عونه، وتوفيقه الجميل، بمنه وكرمه الجزء الأول من كتاب "التبيان في تفسير ألفاظ القرآن"، المنسوب لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عمارة الغساني، مع أنه فيه شيء من البياض في مواضع شتى، ولم نجد نسخة أخرى نصححه منها، وكان الفراغ منه عند الزوال يوم الأحد الثاني من شهر الله المعظم رمضان عام ١٠٤٦هـ على يد المذنب الضعيف عبيد الله تعالى أبو الحسن علي بن جامع....غفر الله له وتقبل أعماله وأنزله نزل الخير بجوار محمد هو ووالديه وأولاده وأشياخه وأصحابه وجميع المسلمين، آمين، آمين، آمين يا رب العالمين".

والجزء الثاني: تحت رقم: (٧٨٧٨/ تفسير)، في (١٧٢) ورقـة، مسطرته: (٢٥) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: (١٢) كلمة، كُتب في شهر شوال سنة ١١٦٩هـ.

أوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله. السفر الثاني من كتاب التبيان في تفسير القرآن، تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلوسي، غفر الله له ولوالديه، ولنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين كافة.

سورة مريم عليها السلام، مكية، وهي ثمانية وتسعون آية، وتسع في المدني الأخير، وتسع مائة واثنان وستون كلمة، وثمانمائة حرف وحرفان وثلاثة آلاف حرف... "

وآخره: "كمل وانقضى هذا النصف من كتاب التبيان في تفسير القرآن، تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى وإلى عفو ربه محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلوسي، عفا الله عنا وعنه، وغفر لنا وله، ولوالدينا، ولجميع المسلمين. وكان الفراغ منه أواسط شوال عام ١١٦٩هـ، على يد العبد الراجي عفو الله وغفرانه، .... بجاه سيد الخلائق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، نسخته لنفسي، ولمن شاء الله من أولادنا، نسأل الله تعالى أن يهديهم ويعصمهم، إنه ذو فضل عظيم كريم ... ".

خلاصة البحث:

إن ضبط عنوان الكتاب المخطوط، وتوثيق نسبته بشكل صحيح لا يستطيع تحقيقهما إلا من كان عارفا بهذا الفن تنظيرا وتطبيقا، وخبيرا بأخطاء النساخ وعبث الوراقين في انتهاجهم لأساليب التزييف في المخطوطات ظاهرا وباطنا...، وقد حاولت الإسهام بهذا العمل من أجل رَدِّ الاعتبار للإمام محمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلسي، ولكتابه: "التبيان في تفسير القرآن"، فأرجو أن أكون موفقا في ذلك، والحمد لله رب العالمين.

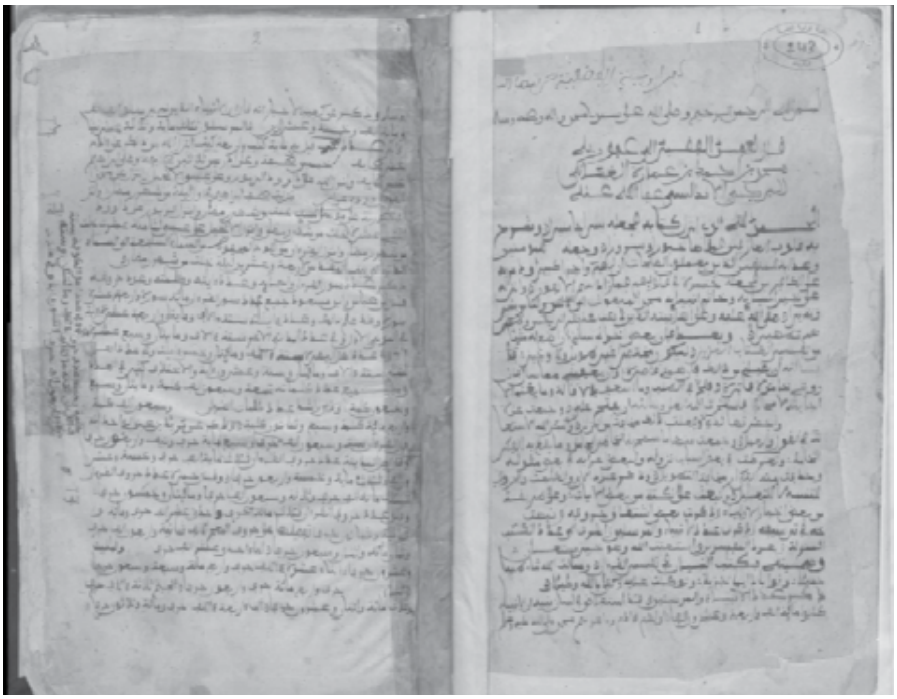

اللوحة الأولى من نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٤٥٩ق).

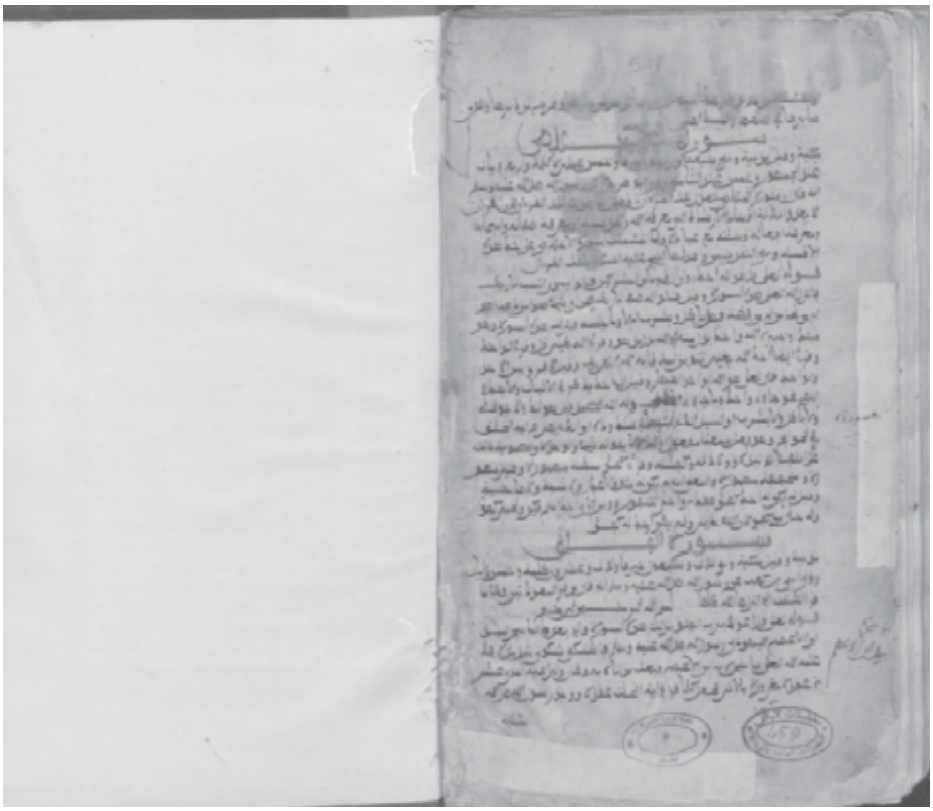

اللوحة الأخيرة من نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٤٥٩ق).

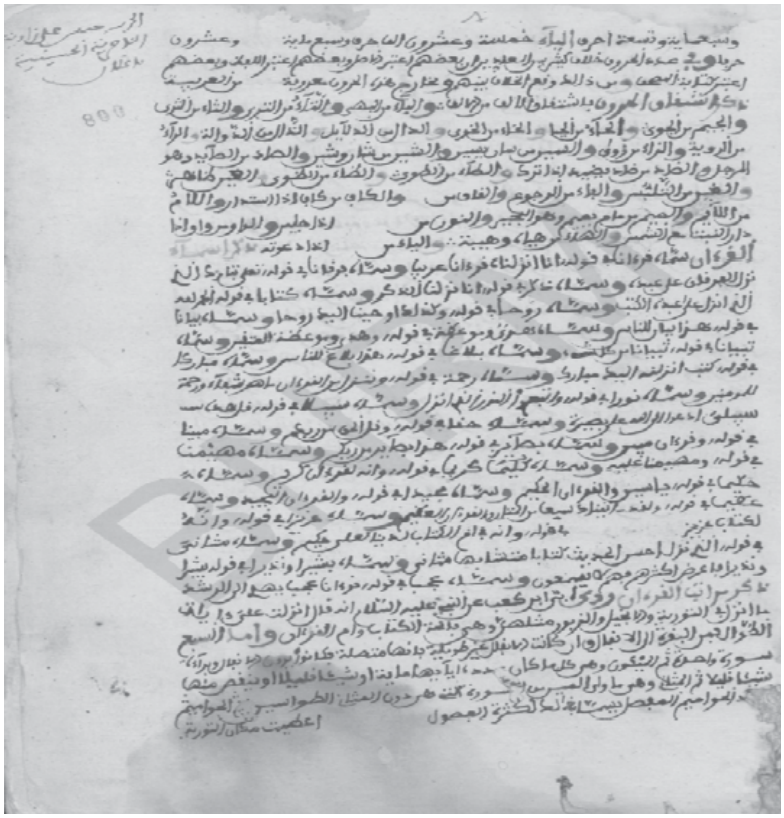

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٨٠٠ج).

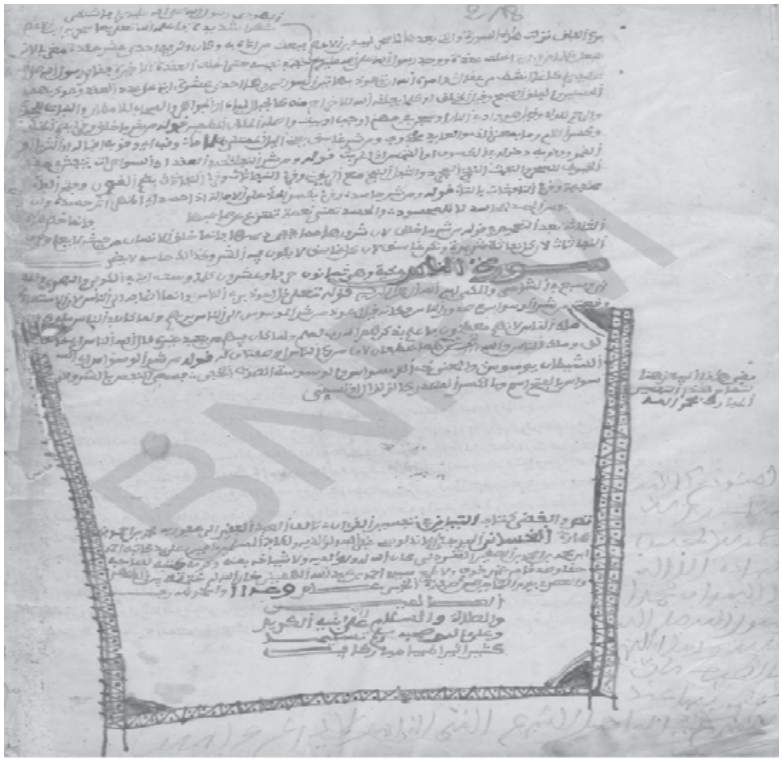

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الوطنية بالرباط (٨٠٠ج).

الصفحة الأولى من نسخة خزانة الجامع الكبير بمكناس (٢٣٠/ القرآن وعلومه).

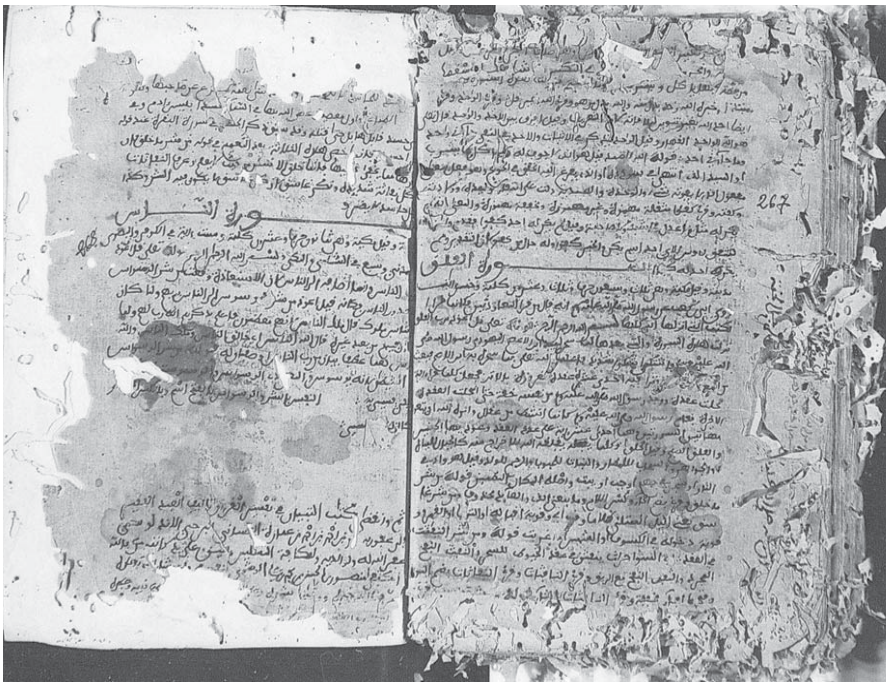

اللوحة الأخيرة من نسخة خزانة الجامع الكبير بمكناس (٢٣٠/ القرآن وعلومه).

اللوحة الأولى من نسخة الخزانة الحسنية (٨٩٢٣/ تفسير).

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الحسنية (٨٩٢٣/ تفسير).

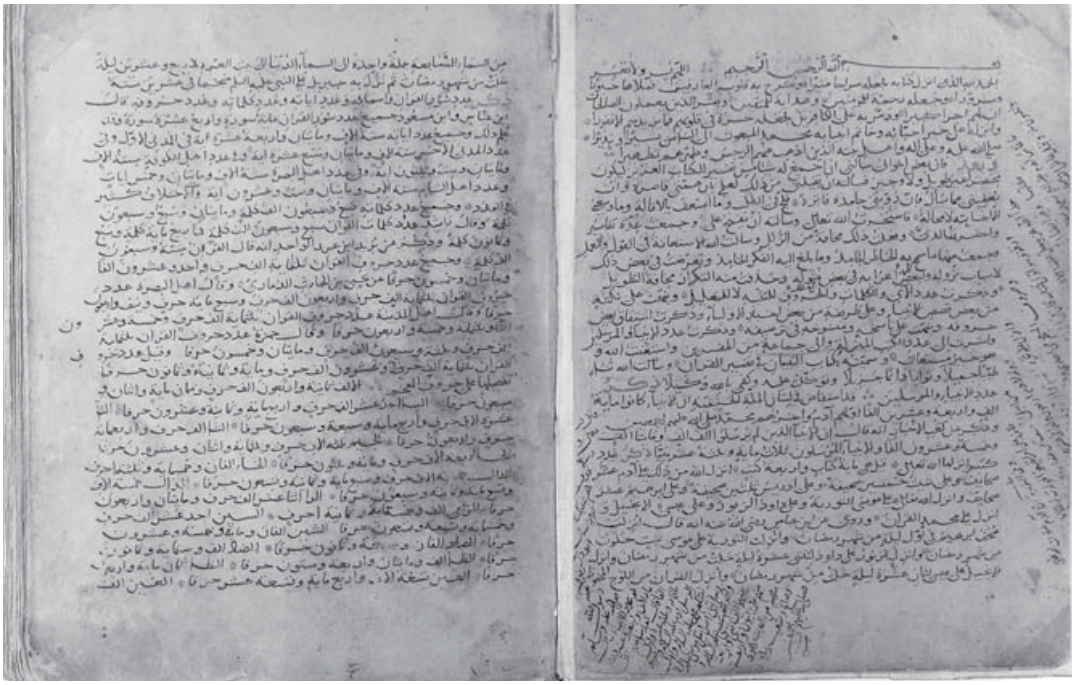

اللوحة الأولى من نسخة مكتبة نور عثمانية باستانبول (٢٤٤/تفسير).

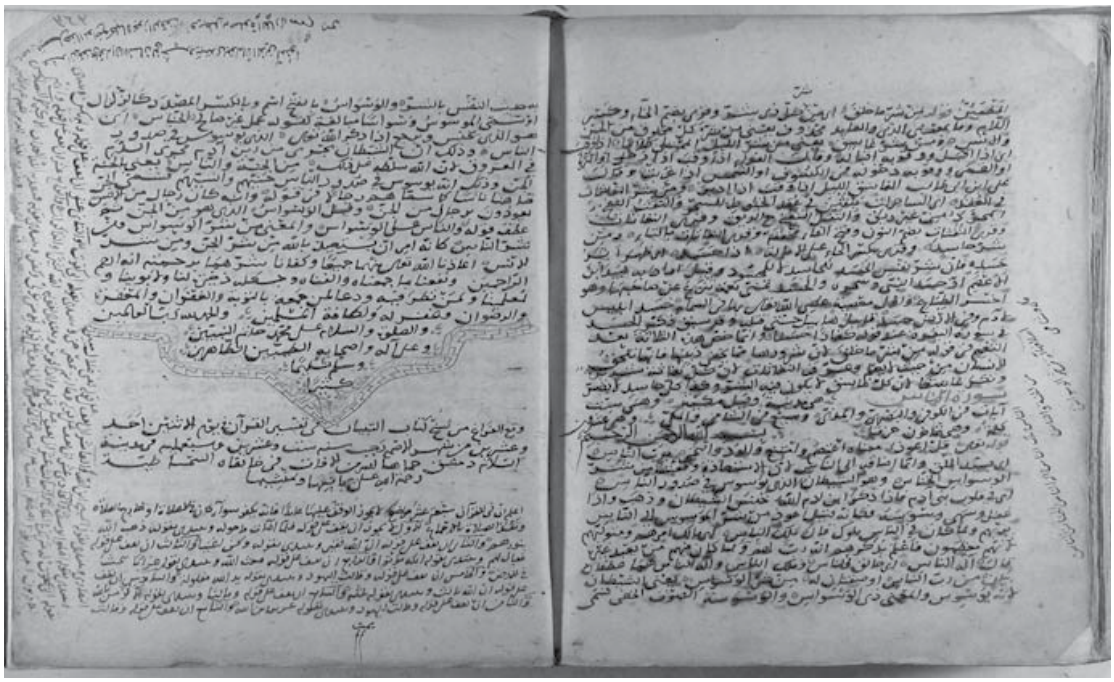

اللوحة الأخيرة من نسخة مكتبة نور عثمانية باستانبول (٢٤٤/تفسير).

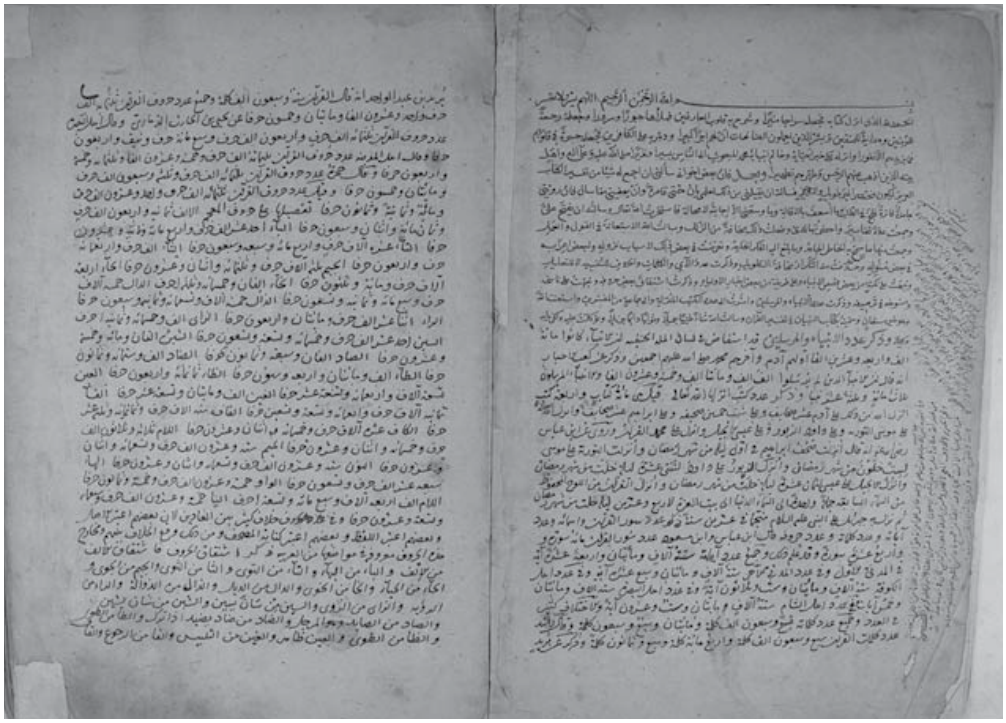

اللوحة الأولى من نسخة مكتبة يني جامع باستانبول (٣٧/ تفسير).

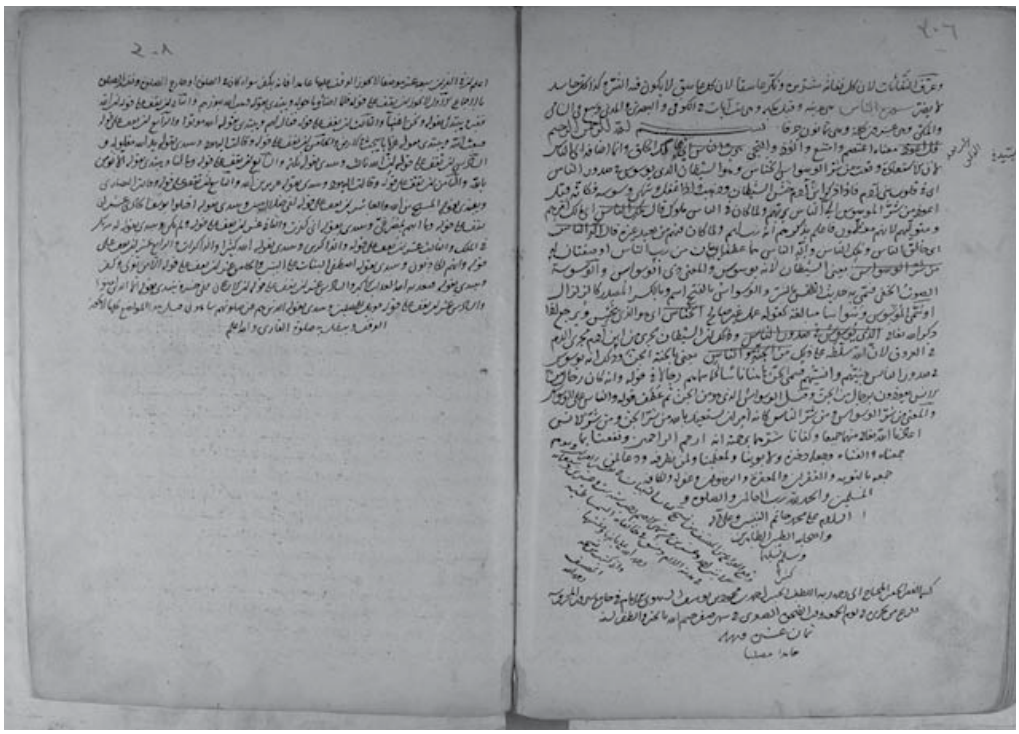

اللوحة الأخيرة من نسخة مكتبة يني جامع باستانبول (٣٧/ تفسير).

اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسخة مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض (١٢٦٧٢/تفسير).

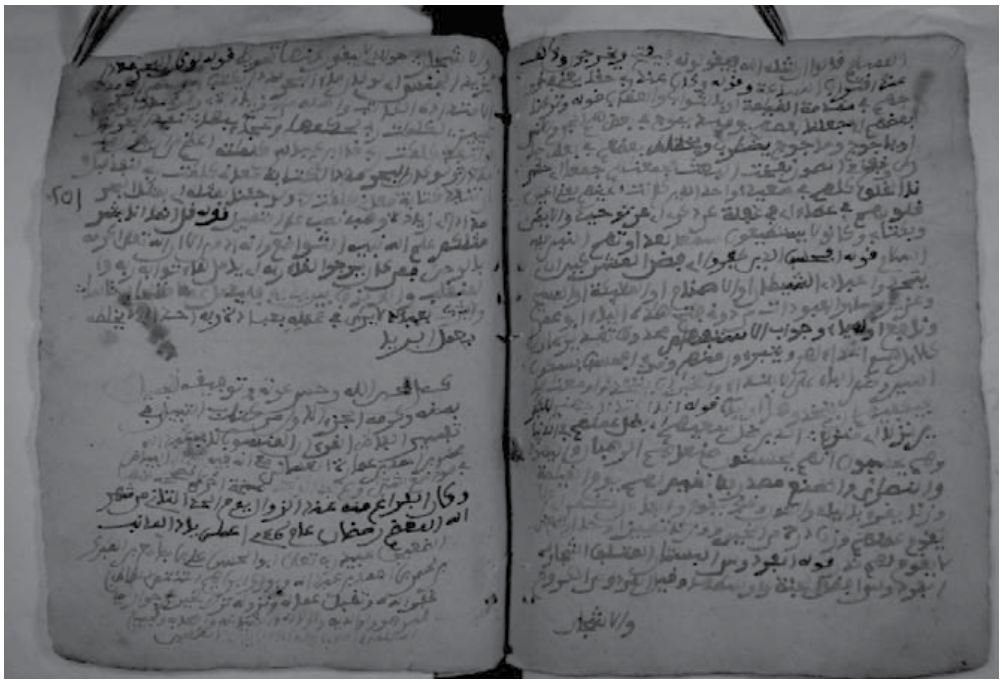

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض (١٢٦٧٢/تفسير).

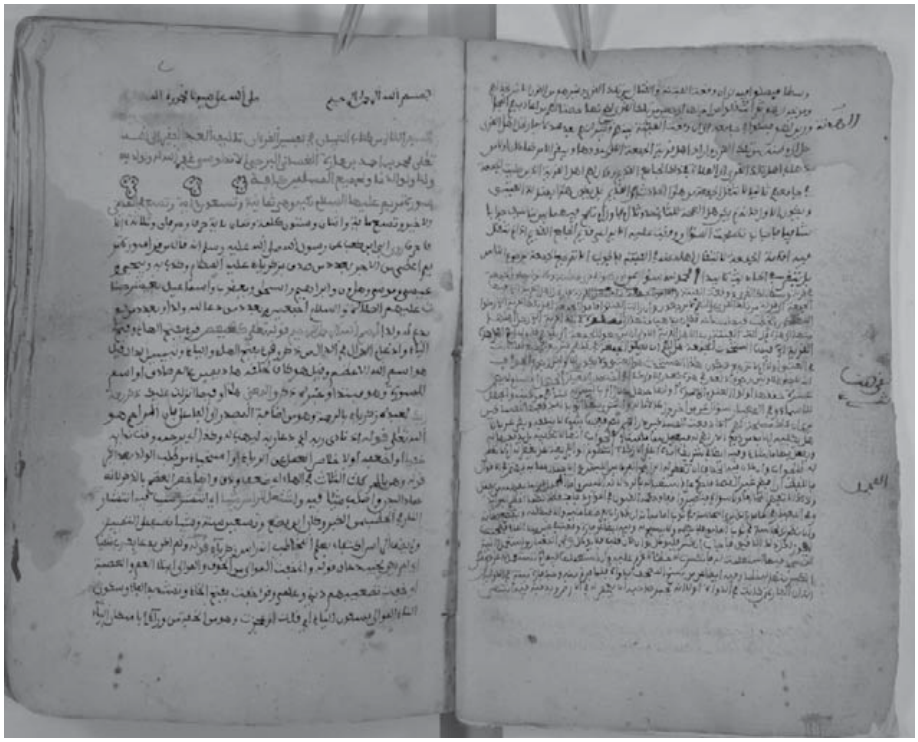

اللوحة الأولى من الجزء الثاني من نسخة مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض (٧٨٧٨/تفسير).

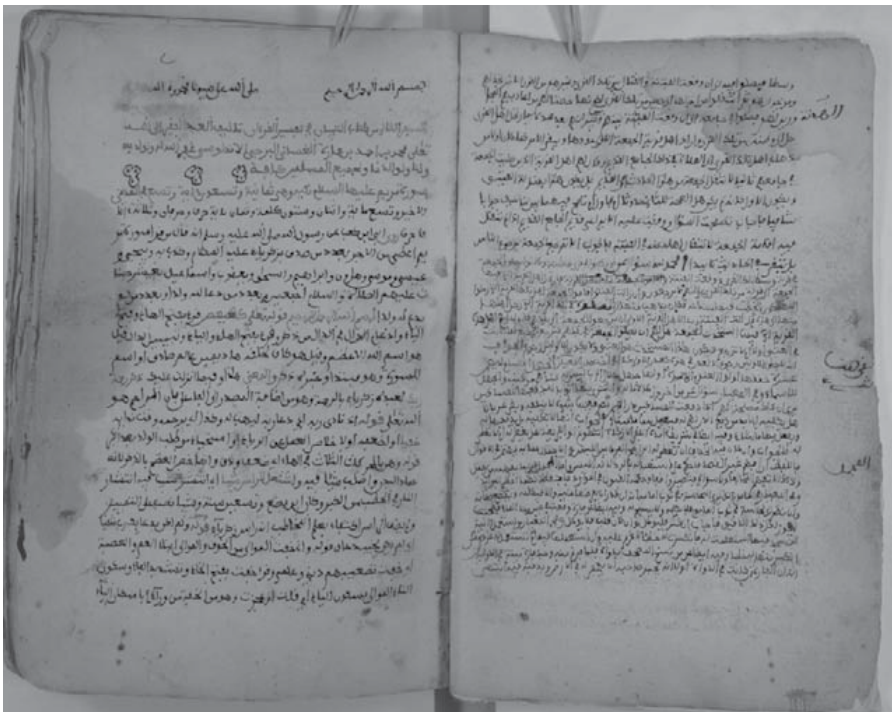

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض (٧٨٧٨/تفسير).

الحواشي

(١) أصدرت المكتبة الوطنية بالرباط تسعة فهارس، ولكنها لم تستوعب كل المخطوطات المحفوظة بهذه المكتبة، ومن بين ما أغفلته هذا العنوان بنسختيه، مما جعلني ألتجئ إلى القوائم التي كتبت بخط اليد، وإلى الفهرس الإلكتروني للمكتبة على الرابط:

http://opac.bnrm.ma:8000/cgi-bin/gw_2011_1_4_4/chameleon?lng=ar

(٢) ينظر وصفهما في محور التعريف بالنسخ من هذا البحث.

(٣) ينظر: الصفحة الأولى من نسخة (٤٥٩ق)، في نماذج من مصورات النسخ السبعة من هذا البحث.

(٤) ينظر: صفحة (٢١٨) من نسخة (٨٠٠ج)، في نماذج من مصورات النسخ السبعة من هذا البحث.

(٥) ينظر: الفهرس الشامل (علوم القرآن/مخطوطات التفسير وعلومه)، (٨٧٥/٢).

(٦) رقمها: (١٢٦٧٢/ ٧٨٧٨ تفسير)، وينظر بياناتها في محور التعريف بالنسخ من هذا البحث.

(٧) ينظر: (ورقة ٢٥١/ب)، الجزء الأول تحت رقم: (١٢٦٧٢/ تفسير)، في نماذج من مصورات النسخ السبعة من هذا البحث.

(٨) المصدر نفسه (ورقة ٢/ب).

(٩) ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة نور عثمانية باستانبول (ص: ١٦).

(١٠) فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط، الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكريم، تصنيف محمد العربي الخطابي، المجلد السادس (ص: ٢٢١).

(١١) ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، لمحمد ابن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، (١/ ٤٣٩).

(١٢) ينظر: ثبوت اسم المؤلف وعنوان المخطوط في نسخة الخزانة الحسنية المغربية (٨٩٢٣/ تفسير) اللوحة (١/أ).

(١٣) سبقت الإشارة إليها، وسيأتي وصفها ونماذج من صورها.

(١٤) كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٨هـ.

(١٥) كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٩هـ.

(١٦) كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ.

(١٧) كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٩هـ.

(١٨) كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي ١٤٣١/ ١٤٣٢هـ.

(١٩) كلية الدعوة وأصول الدين، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي ١٤٣١/ ١٤٣٢هـ.

(٢٠) توجد نسخة مرقونة منه في ٢٨٧ صفحة، بمكتبة كلية أصول الدين بتطوان، المغرب.

(٢١) نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط. ينظر وصفها في محور التعريف بالنسخ من هذا البحث.

(٢٢) نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط. ينظر وصفها في محور التعريف بالنسخ من هذا البحث.

(٢٣) منه نسخة مرقونة في أربعة أجزاء، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، المغرب.

(٢٤) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم: (١٦٠/ تجويد وقراءات).

(٢٥) ينظر: دراسة الدكتور أيمن رشدي سويد لكتاب

العقد النضيد في شرح القصيد شرح القصيدة الشاطبية في القراءات السبع، للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (٥٧/١).

(٢٦) ينظر: زعيم المدرسة الأثرية في القراءات وشيخ قراء المغرب والمشرق: الإمام أبو القاسم الشاطبي (دراسة عن قصيدته حرز الأماني في القراءات وإشعاعها العلمي وتعريف بشروحها التي زادت على مائة شرح)، للدكتور عبد الهادي عبد الله حميتو، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، (ص: ١٨٨).

(٢٧) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن/ مخطوطات القراءات)، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٩٤م، (١٣٨/١).

(٢٨) ينظر على سبيل المثال: دراسة الأستاذ فرغلي سيد عرباوي لكتاب شرح الشاطبية للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١م، (ص: ٤٨).

(٢٩) ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص: ٤٦٢)؛ وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٣٦)؛ نهاية الأرب للقلقشندي (ص: ٣٤٨).

(٣٠) ينظر: لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي (ص: ٣٣)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣٧٤/١).

(٣١) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٦٢/١).

(٣٢) ينظر: العقد النضيد في شرح القصيد عند شرح البيت ٣٧٨، رقم اللوحة: ٦٦أ/ ٦٧أ، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

(٣٣) ينظر: مخطوط "التبيان في تفسير القرآن"، (ص: ١)، نسخة المكتبة الوطنية بالرباط.

(٣٤) ينظر: مخطوط "العقد النضيد في شرح القصيد"، اللوحة (١/أ)، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

(٣٥) ينظر: مخطوط "العقد النضيد في شرح القصيد"، اللوحة (١/أ)، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

(٣٦) ينظر: حواشي عثمان بن عمر الناشري على الحرز والعقيلة، لوحة (٤ب/٥أ)، مخطوط خاص.

(٣٧) ينظر: مخطوط "العقد النضيد في شرح القصيد"، البيت رقم: ٤٤٠، اللوحة (٨٤ب/٨٥أ)، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

(٣٨) ومن الذين اعتبروه من علماء القرن السابع الهجري: مصنفو الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن/ مخطوطات القراءات)، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٩٤م، (١٣٨/١)؛ والباحثان اللذان اشتغلا على تحقيق ودراسة كتابه: العقد النضيد في شرح القصيد، وهما: تركي بن عبد الله السبيعي، وناهر بن حمدان المحمدي، في رسالتيهما لنيل درجة الدكتوراه، من قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٩٣٤هـ/٢٠١٨م).

(٣٩) حققه الباحثان لنيل درجة الدكتوراه: تركي بن عبد الله السبيعي: من أول الكتاب إلى نهاية باب ياءات الزوائد؛ وناهر بن حمدان المحمدي: من أول فرش سورة البقرة إلى نهاية الكتاب، تحت إشراف: الدكتور محمد أحمد برهجي، قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة المناقشة ١٤٣٩هـ.

(٤٠) ينظر بعضُها في: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن/ مخطوطات القراءات)، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٩٤م، (١٣٨/١).

أهم المصادر المعتمدة

أولا: المخطوطات:

النسخ الخطية والمرقونة لكتاب "التبيان في تفسير القرآن":

- نسختا المكتبة الوطنية بالرباط، رقميهما على التوالي: (٤٥٩ق)، (٨٠٠ج).
- نسخة الخزانة الملكية بالرباط، رقمها: (٨٩٢٣/ تفسير).

- نسخة الجامع الكبير بمكناس، رقمها: (٢٣٠/ القرآن وعلومه).
- نسخة مكتبة نور عثمانية باستانبول، رقمها: (٢٤٤/ تفسير).
- نسخة مكتبة يني جامع باستانبول، رقمها: (٣٧/ تفسير).
- نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقمها: (١٢٦٧٢/ ٧٨٧٨ تفسير).
- العقد النضيد في شرح القصيد، لمحمد بن أحمد بن عمارة الغساني البرجي الأندلسي، نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم: (١٦٠/ تجويد وقراءات).
- التبيان في تفسير القرآن، المنسوب خطأ لأبي بكر الغساني المتوفى سنة ٥٣٦هـ، دراسة وتحقيق: علي قاسمي، لنيل الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب، سنة ٢٠١٧.
- التبيان في تفسير القرآن، المنسوب خطأ للخضر بن عبد الرحمن الأزدي المتوفى سنة (٧٠٠هـ)، من أول سورة طه إلى نهاية سورة سبأ، دراسة وتحقيق: وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، للحصول على درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٩هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، المنسوب خطأ للخضر بن عبد الرحمن الأزدي المتوفى سنة (٧٠٠هـ)، من أول سورة الواقعة إلى نهاية سورة الناس، دراسة وتحقيق: بدرية خلف أحمد الحارثي، للحصول على درجة الماجستير، إشراف الدكتور عبد الرحمن بن جميل قصاص، كلية الدعوة وأصول الدين، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي ١٤٣١/ ١٤٣٢هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، المنسوب خطأ لأبي بكر الغساني المتوفى سنة ٥٣٦هـ، دراسة وتحقيق: مصطفى البحري الصبابي، إشراف الدكتور إدريس خليفة، كلية أصول الدين بتطوان، وحدة التفسير ومناهج المفسرين في الغرب الإسلامي، جامعة القرويين، المملكة المغربية، السنة الجامعية ١٤٢٤/ ١٤٢٥هـ.
- ثانيًا: المطبوعات والنسخ الإلكترونية:
- دراسة الدكتور أيمن رشدي سويد لكتاب "العقد النضيد في شرح القصيد شرح القصيدة الشاطبية في القراءات السبع"، للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- زعيم المدرسة الأثرية في القراءات وشيخ قراء المغرب والمشرق: الإمام أبو القاسم الشاطبي (دراسة عن قصيدته حرز الأماني في القراءات وإشعاعها العلمي وتعريف بشروحها التي زادت على مائة شرح)، للدكتور عبد الهادي عبد الله حميتو، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط، الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكريم، تصنيف محمد العربي الخطابي، المجلد السادس، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن/ مخطوطات القراءات)، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٩٤م.
- فهرس مخطوطات مكتبة نور عثمانية باستانبول (نسخة إلكترونية pdf).
- فهرس مخطوطات مكتبة يني جامع باستانبول (نسخة إلكترونية pdf).
- فهرس المخطوطات المحفوظة في خزانة الجامع الكبير بمكناس، المغرب، إعداد: عبد السلام البراق، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، (نسخة إلكترونية pdf).

صيارفة وبنوك

(الأثر الاقتصادي للمؤسسات المالية الأجنبية في الدولة العثمانية القرن ١٩م)

د. أحمد صالح على محمد
الجامعة الإسلامية
بولاية منيسوتا الأمريكية

مما لاشك فيه أن الأزمة المالية كانت هي السمة السائدة خلال القرن ١٩م، فقد تبدل الحال في الدولة العثمانية من حالة العجز إلى حالة الفائض المالي إلى حالة الاقتراض، والذي اتخذ شقين حيث كان الشق الأول في البداية محاولة الاقتراض من الداخل العثماني، وأما الشق الثاني فبعد عجز تلك الموارد الداخلية عن سد العجز والوقوف في وجه الأزمة المالية تحول الوضع إلى الاقتراض من الخارج نتيجة لزيادة حدة الأزمة المالية للدولة، وبالفعل فقد روجت تلك الدولة الأجنبية كل ما هو غالٍ ونفيس في سبيل وضع الدولة تحت ضغط مادي واقتصادي للتدخل في شئونها الداخلية، فكان ذلك بمثابة الرصاصة التي تم إطلاقها على جسد وكيان الدولة طوال القرن ١٩م.

[١] الاستدانة من الداخل:

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت تعد الاستدانة من الخارج من المحرمات التي لا يمكن الاقتراب منها، فهي كبرميل البارود الذي سينفجر إذا اقتربت منه الدولة العثمانية، ونتيجة لذلك قامت الدولة بإجراءات احترازية بعد زيادة حد الأزمة المالية، فقامت في البداية بزيادة فترات الالتزام* للملتزمين، حتى يتسنى لها توفير الأموال اللازمة، طريق الدفعات المسبقة من أصحاب الالتزام، وفي نفس الصدد لم تكف الخطوات والإجراءات السابقة لتوفير الأموال المرجو الحصول عليها، فاضطرت إلى الاعتماد وتطبيق نظام المالكانة** عام ١٦٩٥م عن طريق بيع مقاطعات الالتزام للملتزمين مدي الحياة.(١)

والراجح هنا أن الدولة العثمانية أدركت أن نظام المالكانة لم يسفر عن النتيجة المرجوة، وفكرت طوال هذه المدة في انتهاج طريق جديد فاتجهت – بدلا من بيع المقاطعات مدي الحياة – إلى إصدار أسهم لأرباحها، ثم بيع تلك الأسهم، هذا على أن المقاطعات التي تدار بأسلوب الأمانة وتدر ربحا سنويا فيتم عرض الأسهم للبيع بمقدم خمسة أو ستة أضعافها، وقد تم تطبيق هذا النظام عام ١٧٧٥م على مقاطعة جمرك التبغ ذات الربح العالي داخل العاصمة (استانبول)، وقد اشترط بيع الأسهم بقيد الحياة وأحقيتها في البيع من شخص لآخر وعودة الأسهم بوفاة صاحبها وإعادة بيعها من جديد[٢] علاوة على ما تقدم فإن الدولة كانت دؤوبة وفي حالة مستمرة من البحث عن حلول اقتصادية للمعضلة المالية التي كانت سمة من سمات القرن ١٩م.

وتشير الدلائل إلى أن الدولة بعدما استخدمت نظام الأسهم زادت من قاعدتها للاستدانة وهنا حدث ما لا يحمد عقباه، وهو تشعب النظام في أيدي الدائنين، ويرجع ذلك لأحقيتهم في البيع أو الوراثة، وقد ترتب على ذلك تأرجح الدولة بين إلغاء الأسهم وبين توسيع استخدامه خاصة عند ازدياد الضغوط المالية، عندها تلجأ الدولة للتوسع[٣].

ويزيد على ذلك خوض الدولة العثمانية حروبًا طويلة الأمد خاصة في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩م) فكانت بذلك الخزانة العثمانية في وضع غاية في الصعوبة والتدهور نتيجة لعدم قدرة السكان على دفع وسداد ضرائب جديدة، كما لم يكن من السهل تخفيض عيار السكة[٤] واتجهت الدولة إلى طرق أخرى قد تنعش الخزانة العامة للدولة ولو بقدر ضئيل، فأصدرت في عام ١٨٣٩م وهو بداية حكم السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ – ١٨٦١م) عملة ورقية عرفت آنذاك باسم قوائم• وفي الواقع تلك العملة لم تكن ذات غطاء ذهبي؛ وبذلك فقدت جزءًا كبيرًا من قيمتها، لم تتعد كونها نوعا من سندات خزانة أو قوائم للأسهم وكان أكبر فئة فيها بمبلغ ٥٠٠ قرش وكتبت بخط اليد، بربح قدره ٨٪ بشرط استرداد مبلغها الأساس بعد مرور ٨ سنوات من الشراء[٥].

سعت بذلك كثير من الدول الأوروبية لأن تقع الدولة العثمانية في معضلة لم تكن تقدر على الخروج منها مهما كانت الإجـراءات المتخذة داخل الدولة سواء بإلغائها أو بضمها إلى قوائم أخرى أو بتعويض أصحابها.

وهنا تكمن المعضلة التي وقعت الدولة فيها، وهي ظهور قوائم مزورة في السوق بعد فترة وجيزة من صدورها، مما جعل الدولة تقوم بسحبها على الفور، وتم استبدالها بقوائم أخرى مطبوعة عام ١٨٤٢م، ونجد الثغرة هنا أن القوائم لم تحمل أرقاما مسلسلة؛ لهذا لم تسيطر الدولة على الأعداد الصادرة منها ومقدار ما تم طرحه، علاوة على ذلك زادت أعدادها في السوق العثمانية منها، ومقدار ما تم طرحه، علاوة على ذلك زادت أعدادها في السوق العثمانية؛ لهذا انخفضت أرباحها إلى ٦٪، وأثناء حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦م) زاد عدد القوائم في السوق بعد تداول قوائم جديدة تحت اسم قائمة الجيش، واضطرت الدولة إلى القروض الخارجية لإلغاء القوائم التي زاد عددها في السوق العثماني ليصل إلى ٨٠٠ ألف ليرة، وفي عام ١٨٥٩م صدرت

أسهم عُرفت باسم أسهم جديدة بربح ٦٪ وأجلها بعد ٢٤ عاما، وعن نهاية القوائم فقد تم سحبها تماما من السوق في أعقاب القرض الخارجي الذي تم عام ١٨٦٢م في عهد السلطان عبد العزيز، بضمان نقد فضي قيمته ٤٠٪ وموارد متوقعة ٦٠٪ من القرض[٦].

ولا نزاع في أن السلطان عبد العزيز قد ورث عن أسلافه دَينًا مقداره ١٥ مليون جنيه استرليني، وفي سنة ١٨٦١م كان العجز قد بلغ ٤٥٠ مليون قرش، أي ما يعادل ١٠٣ ملايين فرنك[٧].

بهذا كانت الدولة العثمانية مهيأة بشكل كبير لتقبل فكرة الاستدانة من الخارج، تلك الفكرة التي ظل السلاطين طوال فترة التدهور المالي للدولة في غني عنها نهائيا، بل وتجنبها واعتبارها من الخطوط الحمراء التي لا يمكن تخطيها.

[٢] طرح الاستدانة من الخارج:

تم طرح فكرة الاستدانة من الخارج في وقت مبكر جدا من تاريخ أزمات الدولة الاقتصادية، وخلال عامي (١٧٨٧ – ١٧٩٢م) اضطرت الدولة وبسبب حروبها مع روسيا إلى البحث عن إمكانية الاقتراض الخارجي، من فرنسا، أو إسبانيا، أو هولندا، التي كانت الخيار الأول للدولة العثمانية، إلا أن الحكومة الهولندية عام ١٧٨٩م كانت تمر بالعديد من الأزمات فالوضع لا يسمح بتقديم قروض للدولة العثمانية، وحاولت الدولة الاقتراض من فرنسا لكن وبسبب الصعوبات الناتجة عن الثورة الفرنسية في أوروبا فالوضع لم يسمح، زاد على ذلك معارضة الجانب العثماني الاستدانة من الخارج، والراجح أنه تم اقتراح آخر هو الاقتراض من مراكش (المغرب) تلك الدولة المسلمة الصديقة، إلا أنه اتضح سريعا أن مصادر هذا البلد المالية محدودة جدا، فقد كانت الدولة تفكر في محاولة اقتراض قرض قيمته ٧,٥ مليون قرش؛ أي حوالي ٧٥٠ ألف جنيه إسترليني. ونتيجة لتلك الأوضاع اعتمدت الدولة العثمانية منذ أواخر القرن ١٨م حتى أربعينيات القرن ١٩م، على إجراءات إضافية للحصول على عائدات مالية منها ضرائب إضافية لأوقات الحروب، ومصادرة ثروات كبار رجال الدولة[٨]، وفي السياق ذاته قامت الدولة ببعض الإجراءات الاحترازية أيضا لسد العجز في الخزانة، فصدر قرار بحظر شغل المجوهرات والذهب في عام ١٧٨٩م، وقامت الدولة بجمع مجوهرات السراي وجمعت من تجار استانبول ٣٢ ألف أوقية من الفضة الخالصة، ثم أرسلتها إلى الضربخانة• وحولتها إلى نقود، ثم عادت وطلبت قرضا من انجلترا بمبلغ ٢٠ مليون قرش لكن المفاوضات باءت بالفشل[٩]. وزاد ذلك من حدة الأزمة المالية داخل الدولة.

وقد أشار نفر من المؤرخين إلى أن مشكلة الديون بلغت ذروتها في عهد السلطان عبد المجيد، حيث واجهت الدولة العثمانية القوى الأوروبية ممثلة في بنوكها ورجال المال وليس الجيوش، وقد أدت مخاطر الاستدانة من الخارج إلى رعب شديد لرجال الإصلاح في الدولة، ففي عام ١٨٥٢م سعي السلطان عبد المجيد للحصول على قرض من فرنسا، فحذره أحد مستشاريه ونصحه قائلا: (إن والدك السلطان محمود الثاني خاض حربين مع روسيا وقام بعدد من الحملات العسكرية، وكانت عليه الضغوط أكثر مما نحن

عليه، لكنه لم يقترض من الخارج، وتجاوزت الدولة الأزمات بسلام، وفي نفس السياق ذكر المستشار (أن الدولة ستنهار إذا اقترضت ولو خمسة قروش؛ لأنها لو أخذت قروضا مرة فلن تتوقف عن الاقتراض أبداً وستغرقها الديون) وبالفعل اقتنع السلطان عبد المجيد بما عرضه المستشار وتم إلغاء القرض، لكن السلطان لجأ إلى الدائنين الأوروبيين ورجال المال بعد سنتين من الحدث السابق[١٠].

وتحت الظروف غير العادية التي تمر بها الدولة العثمانية وبعد نشوب حرب القرم فقد رضخت الدولة إلى الاستدانة من الخارج رغم ترددها وممانعتها للجوء لهذا الخيار[١١]، وتم الاتفاق في انجلترا عام ١٨٥٤م على إبرام قرض بلغ قيمته ٢,٥ مليون ليرة عثمانية للإنفاق على المجهود الحربي العثماني. وتلاه عام ١٨٥٥م الاتفاق على قرض ثان بلغت قيمته ٥ ملايين جنية استرليني، ولكن بضمانة صريحة هذه المرة من الحكومتين الإنجليزية والفرنسية للدائنين الأوروبيين من القطاع الخاص، وكان هذا من ضمن خط التنظيمات الخيرية[١٢].

وموضوعنا هنا هو الإجراءات الاحترازية التي اتبعتها الدولة العثمانية لتأمين الأموال اللازمة لخوض تلك الحروب التي قد تورطت فيها مع روسيا القيصرية والتي خسرت من خلالها أموالاً طائلة على تجهيز الجيش من أسلحة وعتاد ومؤن، راح ضحيتها المجتمع العثماني بسبب الإجراءات المتغيرة ضده مثل الضرائب وغيرها.

على أية حال فقد وجدت الدولة العثمانية ضالتها في توفير الأموال اللازمة للدولة لتغطية تلك النفقات، وهو إنشاء البنوك وإدخال الوسطاء ورجال المال في الحياة الاقتصادية العثمانية.

[٢] مصرفيو غلطة وتمويل الدولة:

وفي بداية الأمر اعتمدت الدولة العثمانية في تمويلها على مصرفيي غلطة* حيث اعتمدت هذه الفئة على امتداد للمشترين المالكانة في حافظة على استثماراتها داخل الدولة وهو استثمار رأسمالي في مقاطعة ضرائبية، ولم يتوقف الحد عند ذلك بل نظموا لأنفسهم نقابة[١٣] وكانت القوة الرئيسة داخل الدولة للصيارفة الأرمن، فكانت لهم علاقاتهم القوية بالشبكات المالية التجارية الأوروبية، وهذا ما أعطاهم الأفضلية للعب دور مهم في نهضتهم، كما كانت لهم اتصالاتهم الجيدة أيضا بالإدارة العثمانية خاصة بعد استقلال اليونان، ومع تراجع اليهود في عمليات الإقراض والتجارة، فكانت للأرمن الفرصة السانحة لهم في وثوق الدولة العثمانية بهم[١٤].

مع هذا فإن الأقليات علاقتها بالدولة العثمانية بدأت في التدهور، ويرجع ذلك إلى تسلط الرأسمالية الغربية من جهة وتدخل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية[١٥].

وبطبيعة الحال فإن الدولة العثمانية قد اعتمدت كثيرا على ذكاء الأرمن لمهارتهم، فقد عمل معظمهم رجال مال وصيارفة[١٦]، ومع ازدياد احتياجات الدولة المالية زادت أهمية الصيارفة كمقرضين مباشرين للدولة، وبخاصة بسبب تدخلهم بعلاقاتهم مع المجموعات المالية الأوروبية والتي سمحت لهم أن يرتبوا من أوروبا، القروض القصيرة المدى للدولة العثمانية،

وقد نال معظم هؤلاء الصيارفة شرف العمل كمستشارين ماليين للسلطان وللعديد من الإداريين العثمانيين الرئيسيين وقد ترتب على ذلك تطور هؤلاء الصيارفة من مقرضين تقليديين ووسطاء للدولة العثمانية، إلى رجال مال على مستوى واسع[١٧]. ويتضح هنا أن الدولة كانت تثق بشكل كبير في الأرمن لكونها تضع مفاصل وأركان الاقتصاد العثماني بيد فئة واحدة وهي الأرمن، دليلا منها على أنها لا تنظر أية نظرة دونية إلى المجتمعات التي تحكمها بمختلف معتقداتهم فهي تنظر للجميع على أنهم مواطنون عثمانيون.

واللافت للنظر أن اسم مصرفي غلطة رغم أنهم لم ينشئوا مصارف حتى أربعينات القرن ١٩م إلا أنه أطلق عليهم "مصرفيين بدون مصارف"[١٨] وبموجب المراكز التي يشغلها الأرمن في نقابة الصيارفة فقد شغلوا مراكز مهمة في الدولة مثل سيد (أمير) دار الضرب العثمانية (الضربخانة العثمانية)، مع كل هذه المناصب إلا أنهم كانوا في النهاية يخسرون حياتهم وتصادر ممتلكاتهم، وترسل عائلاتهم إلى المنفي إثر تحميلهم مسئولية المشاكل المالية، مثل تخفيض وزن العملة أو النوعية السيئة للنقد وكان آخرون يخسرون مراكزهم وحتى حياتهم أحيانا بعد اتهامهم بالثراء غير المشروع من خلال ممارستهم لوظيفتهم العامة[١٩].

ومن الملاحظ هنا الأهمية التي كان يلعبها الأرمن في الحياة الاقتصادية العثمانية، رغم خطورة الوظائف التي كان يشغلها الأرمن؛ لأن الدولة كانت ترضخ لعلاقاتهم الكبيرة والمتصلة دائما برجال المال والبنوك الأوروبية، إذ هم دائما رجال الدولة المديرين.

والجدير بالذكر هنا أن الضربخانة كانت تعطى للالتزام لمدة ثلاثة أعوام في الغالب، وفي حالة عدم ظهور أحد للتقدم لأخذ الالتزام بالسعر المقرر في دفاتر المقاطعات تقوم الدولة بتعيين أحد الأمناء عليها، لتشغيلها[٢٠]، وقد حافظ الأرمن على شغل هذا المنصب لفترات كبيرة، بسبب قدرتهم على جمع عائدات للدولة على الصعيدين المحلي والخارجي ؛ لذا فمن الواضح أنه بفضل مهارات الصيارفة الأرمن وعلاقاتهم الجيدة، تخطت مسئوليات رئيس دار ضرب استانبول، مجرد تأمين مخزون النقد، لتتضمن مجالات حساسة في مالية الدولة[٢١].

ومن أبرز الشخصيات التي أدارت الضربخانة العثمانية هو "أرتين قزاز"، الذي ولد في عائلة متواضعة في شرق الأناضول، وتم تكليفه بهذه المهمة بعد إقالة آخر عضو من عائلة دوزغلو، وما لبث أن برز أرتين كمستشار أساس للسلطان في المسائل الاقتصادية، وكان له دور مهم في تجنب نقص المواد الغذائية في استانبول خلال حرب عام (١٨٢٨ – ١٨٢٩م) مع روسيا وبعدها؛ وذلك بعد أن أشار على السلطات برفع لوائح تحديد الأسعار استخدم قزاز أيضا ارتباطاته للحصول على قروض قصيرة ومتوسطة الأجل للحكومة العثمانية من رجال مال أوروبيين، وفي نهاية الحرب الروسية سالفة الذكر، وافقت الحكومة العثمانية على دفع مبلغ ضخم مقداره ٤٠٠ مليون قرش كتعويضات، ورغم أن المبلغ الأساسي قد خفض في النهاية بعد تنازلات عثمانية عن الأراضي، وموافقة القيصر على عدم الضغط من أجل الحصول على الدفعة الأولى، فإن الحكومة

العثمانية كانت تعاني صعوبات في تأمين الدفعة الثانية. وعند هذا المنعطف الخطير، نجح قزاز مع رجال مال آخرين، في الحصول على قروض قصيرة الأجل من أوروبا لتأمين الدفعة الثانية من التعويضات إلى روسيا بعد الحرب، وعند وفاته عام ١٨٣٤م، أمر السلطان بإقامة احتفال جنائزي خاص للرجل الذي قدم خدمات جليلة للدولة في مرحلة خطيرة وحاسمة[٢٢].

ولا نزاع في أن الأرمن قد وجدوا أنفسهم متميزين؛ ونتيجة لذلك فقد توسع مصرفيو غلطة بشكل كبير، وتسلل بين صفوفهم يهود أكثر وأوربيون استقروا في شرقي البحر المتوسط، وكذلك يونانيون فعمل هؤلاء جميعا على ترتيب قروض أوروبية قصيرة الأجل للدولة العثمانية[٢٣].

والراجح هنا أن هذه الفئة وجدت نفسها في لحظة من اللحظات تتحكم في أضخم وأكبر اقتصاد عالمي في ذلك الوقت، جعل هؤلاء الصيارفة في انتعاش مالي بسبب المكاسب الطائلة والتسهيلات التي حصلت عليها الدولة العثمانية في عمليات الاقتراض التي أغرقت الدولة بالديون في نهاية المطاف.

أضف إلى ذلك وبعد زيادة عمليات الاقتراض الداخلي بسبب الحرب العثمانية الروسية الأخيرة (١٨٧٧ – ١٨٧٨م)، إذ قامت الدولة باقتراض مبلغ ١٠ مليون دينار ذهبي من صرافي غلطة، بعد أن خصصت الدولة لسدادها رسوم الملح والتبغ والدمغة والكحول والحرير والأسماك، وهي المعروفة باسم الرسوم الستة[٢٤].

وبسبب كل هذه الضغوط التي وضعت فيها الدولة العثمانية وعدم قدرتها على التصدي لأزماتها المالية الطاحنة طوال القرن ١٩م، وعدم استطاعة صيارفة غلطة مجابهة تلك الأزمات، وتوفير ما يلزم من الأموال للدولة العثمانية ؛ لهذا قامت الدولة بالسماح بإنشاء بنوك أجنبية داخل أراضيها.

[٤] إنشاء مصارف لإقراض الدولة:

وبما أن تداول القوائم التي أصدرتها الدولة العثمانية كان يقتصر تداولها في الأراضي العثمانية فقط، ومع ذلك فقد تركت أثرا سيئا في الخارج؛ إذ كان للتقلبات الكبيرة في العملة الإنجليزية والفرنسية في البوالص المسحوبة على لندن وباريس أثرها في أن أجبرت الدولة على اتخاذ بعض التدابير، وكان يجب التمسك بسعر ثابت للعملة العثمانية أمام الاسترليني. ولأجل هذا جرى عقد اتفاق مع الصراف أليون والصراف بلطجي من صرافي حي غلطة في استانبول عام ١٨٤٥م حول أن الاسترليني سوف يظل بحساب ١١٠ قروش؛ وذلك في مقابل المساعدة التي ستقوم بها الحكومة بمبلغ ٢ مليون قرش، والواقع أن الصرافين صدقا في وعدهما واحتفظا بسعر الاسترليني ثابتا[٢٥].

ونتيجة لجهود الصرافين وبعد هذه التجربة سمحت الدولة لهما في عام ١٨٤٧م بإنشاء أول بنك في تاريخ الدولة العثمانية تحت اسم "بنك استانبول" أو "بنك مصرفي غلطة"[٢٦]، والواقع أن هذا البنك لم يكن له رأسمال معين، وكانت بوالصه تلقى قبولا نظرا للتقدير الذي كان يحظى به مؤسسوه، غير أن عجز الدولة عن سداد القروض التي أخذتها منه في موعدها أضر

بالمصرف، فشرع يطرح القوائم في السوق كحل للضائقة، ولكن هذا التصرف أيضا لم يساعده على استمرار وجـوده، فأعلن إفلاسه ليلحق بالخزانة خسارة مقدارها ٦٠٠ ألف ليرة[٢٧]. والراجح هنا أن الدولة العثمانية كانت تتشبث بالحلول للخروج من الضائقة المالية التي وقعت فيها في القرن ١٩م بعد تورطها في العديد من الحروب طويلة الأمد.

وعلى الرغم من أن نهاية بنك استانبول كانت الإفلاس إذ أنه نجح خلال مدة نشاطه في الاحتفاظ بسعر الليرة ثابتا أمام الاسترليني[٢٨]. على أية حال يعود هذا كله إلى الثقة التي كان يتمتع بها رجال المال والصيارفة في منطقة غلطة.

أما الدول الأوروبية التي لم تكن لتسمح بمرور تلك الفرصة بسهولة، فكانت على أهبة الاستعداد للانقضاض على الاقتصاد العثماني؛ وذلك عن طريق طرح فكرة إنشاء بنك استثماري برأس مال أجنبي داخل الدولة العثمانية.

وبالفعل بدأ الاستثمار الأجنبي بعد حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦م) بتأسيس البنك العثماني في مايو عام ١٨٥٦م[٢٩] وذلك برأسمال إنجليزي[٣٠] وقد حصل البنك على رخصة ملكة بريطانيا، وتأسس في لندن برأسمال قدره ٥٠٠ ألف جنيه استرليني، إلا أن مركز عملياته كان في استانبول وأعطى إذنا بإنشاء فروع له في المدن الأخرى من الدولة باستثناء ولاية مصر المحروسة[٣١]، وكان الغرض من إنشاء البنك العثماني فيما يبدو، هو مواجهة المشاكل المالية التي كانت تتعرض لها الدولة باستمرار؛ وذلك بضمان وجود مؤسسة مالية تلبي احتياجاتها من الأموال عند الضرورة[٣٢]. بمعني توفير الأموال للدولة في أية لحظة.

أضف إلى ذلك أنه تم استثناء ولاية مصر من فروع البنك العثماني؛ لأنه وبالفعل قد تم إنشاء بنك أجنبي في مصر تحت اسم "بنك مصر" الذي تأسس في سنة ١٨٥٦م، والغرض منه إقراض الطبقة الحاكمة في مصر ومقره في لندن برؤوس أموال انجليزية، وسرعان ما أخذ يحذوا حذو البنوك الاستثمارية، توجه هذا البنك نحو إقراض النقود للحكومة المصرية[٣٣]. فهي بذلك في غنى عن مساعدات البنك العثماني القائم في استانبول.

وبما أن القرن ١٩م أخذ الطابع الإصلاحي على النسق الغربي داخل الدولة العثمانية، ومن هذا لاحظ رجال الإصلاح العثماني حاجة الدولة إلى المال اللازم وقت الحاجة بدلا من الأساليب التي كانت تلجأ إليها، وهي: إما الاستدانة على أساس ما سيلزم من ضرائب أو إصدار الأوراق المالية وتامين القروض[٣٤].

وفي نفس السياق، أعيد تنظيم وزارة المالية وزيدت كفاءتها وأدخل نظام الميزانية السنوية للمرة الأولى، وفي عام ١٨٥٧م ألغيت الجزية وفق ما نص عليه الخط الهمايوني[٣٥].

والجدير بالذكر هنا أن مع تزايد الضغوط السياسية زادت معها الأعباء الاقتصادية المالية، وفي ظل التدهور الاقتصادي العثماني، زادت الحاجة إلى الاقتراض من الخارج، والتي ورطتها الدول الأوروبية؛ حيث وصلت الديون في أواخر حكم السلطان عبد المجيد ١٨٦١م إلى ٢٥ مليون

جنيه عثماني[٣٦].

وعلاوة على ما تقدم تعد القروض والمساعدات التي تقدم من الدول المتقدمة اقتصاديا أو من المنظمات الدولية وفروعها في كثير من الأحوال إحدى وسائل الضغط الاقتصادي التي توجه ضد الدول، فكانت عواقب هذه الأساليب وخيمة على الاقتصاد العثماني[٣٧].

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد تورطت لأول مرة في تاريخها بالديون الأجنبية التي فتحت أبواب الجحيم على استقلالها وسيادتها أسهمت في إحكام الإجـراءات التغريبية حولها، كما سهلت فرمانات الإصلاح (كلخانة – همايوني) تسلل رأس المال الأجنبي داخل الدولة[٣٨].

ولا نزاع في أن البنك العثماني كمؤسسة كان غرضها الأصلي القيام بالأعمال العادية للبنوك التجارية، كونت على مـدار السنين أوثق العلاقات مع الحكومة العثمانية، وأثبت مديرو البنك تعاونهم وفهمهم في حل مشاكل السلاطين المالية ومحاولة التغلب على عدد كبير من الصعوبات المالية المتكررة، ولقد كان نوع المناورات والمؤامرات التي احتاج إليها المديرون الإنجليز لكي يتقدموا على غيرهم في دنيا السياسة المجنونة القائمة في عالم الرأسمالية أمرا أثار دهشتهم، وفي تقرير إلى حملة الأسهم عام ١٨٦١م أوضح المديرون أن البنك قد شق طريقه على الرغم من المعارضة الشديدة داخل انجلترا قبل إنشائه[٣٩].

ونتيجة لذلك فقد شهدت سنوات (١٨٥٧ – ١٨٦١م) تدهورًا سريعًا لمالية الدولة وزادت مـن سرعة هـذا التدهور صعوبة اقتراض النقود وتكاليفه في سـوق محكمة وتحطمت جهود مجموعة إنجليزية – يونانية لإنشاء بنك أهلي عثماني عام ١٨٦٠م على صخرة تلك المصاعب، فقد أخذت هذه المجموعة جزءا كبيرا من القرض العثماني في تلك السنة وفقدت ثروة كبيرة في هذه العملية، ولم يكد يحل عام ١٨٦١م حتى تحول التدهور إلى انهيار وتوقف عن العمل تسعة عشر من البيوت المالية في استانبول[٤٠].

ونتيجة طبيعية لتلك الأحـداث، وجد البنك العثماني فرصته المناسبة، فإذا كان منافسوه المحليون قد شلت حركتهم مؤقتا وتحطمت الاعتمادات الأجنبية للباب العالي، أصبح البنك العثماني في عام ١٨٦١م الدعامة الأساسية للخزانة العثمانية. وفي الاجتماع العام في سبتمبر من نفس السنة قال رئيس مجلس الإدارة لحملة الأسهم: إن الحكومة العثمانية مدينة للبنوك بمبلغ ١٥٢ ألف جنيه استرليني، وإن الشركة تتعامل آنذاك مع الحكومة العثمانية أكثر مما تتعامل في التجارة الخاصة وعندما عقد في ١٨٦٢م قرض تصفية الأوراق المالية المتدهورة والمتداولة في السوق (وهو التمهيد لإنشاء بنك أهلي) كان البنك العثماني هو ضامن الإصدار بالاشتراك مع شركات خاصة، وقد نجح القرض نجاحا لا نظير له[٤١]. ومع ذلك فقد تكبد البنك خسائر كبيرة مما سبب تدهورًا في الاقتصاد العثماني.

والراجح هنا أن المسرح كان قد أعد لإنشاء بنك جديد، دخلت مجموعة من الماليين الفرنسيين الميدان، ومن المشكوك أن يكون هذا محل ترحيب مديري البنك العثماني ثابتي الأقدام. ومع ذلك فلم يكن من الممكن تجاهل وجودهم فهم رجال ذووا أثر واتصالات قوية برجال المال

على الصعيد الأوروبي، وهم على أهم الاستعداد لمنافسة العروض البريطانية. وعلاوة على ذلك فإن الحكومة العثمانية التي سرتها إمكانية ضم المصادر البريطانية والفرنسية المالية وضمان رابطة قوية سياسية واقتصادية مع باريس، بذلت كل ما في وسعها من مجهود لكي تتفق المجموعتان، وفي نوفمبر عام ١٨٦٢م أنشئ الاتحاد الأنجلوفرنسي رسميا[٤٢] ووضع رأس مال مبدئي قدره ١٠ ملايين جنيه استرليني[٤٣].

وفي هذا الصدد أصدرت الدولة العثمانية في فبراير سنة ١٨٦٣م أمرها باعتماد الحكومة العثمانية امتياز إنشاء بنك حكومي تحت اسم البنك العثماني الإمبراطوري، وتضمن الامتياز منح مؤسسي البنك من الإنجليز والفرنسيين واليهود الإشارة لإنشاء هذا البنك بطابع دولي، وتعهدت الدولة العثمانية بحمايته والمحافظة علي جميع امتيازاته حسب الامتيازات الممنوحة له وحسب قوانين الدولة، وبلغ رأسمال البنك بعد منح الامتياز ٢,٧ مليون جنيه استرليني أو ما يعادل ٦٧,٥ مليون فرنك فرنسي، أما عدد أسهمه فبلغ ١٣٥ ألف سهم قيمة كل سهم ٥٠٠ فرنك[٤٤].

ومن الملاحظ أن البنك الجديد الذي تم إنشاؤه على أنقاض البنك القديم حصل في طياته على ميزة خاصة وهي طبيعته المزدوجة، فكان يرأسه فرنسي ويتولى وكالته إنجليزي[٤٥]، وقد انعكست هذه الطبيعة على نشاط البنك الذي أدارته لجنتان مقرهما لندن وباريس؛ حيث تشكلت الإدارة اليومية المنبثقة عن اللجنتين في استانبول، فالميزة هنا أن البنك وفي وقت واحد بنك خاص فرنسي، بريطاني وبنك دولة استانبول[٤٦] وحددت مدة الامتياز الخاص بالبنك الإمبراطوري بثلاثين سنة؛ حيث يحق للدولة العثمانية أن تعلن فسخ امتياز البنك قبل سنة واحدة من انتهاء الامتياز. وعليها في هذه الحالة أن تدفع جميع ديونها التي اقترضتها من البنك، كما يجب على البنك أيضا تسوية جميع ديونه، وبموجب النظام يخضع البنك لتفتيش وزير عثماني تعينه الدولة[٤٧].

لكن هذا البنك الإمبراطوري تعرض إلى جو من المرارة والعداء، فقد حارب أصحاب الامتياز في البنك العثماني المفلس البنك الجديد بعنف في المحاكم الإنجليزية، والتي رفضت أن تتدخل في أمر تختص الدولة العثمانية بتقريره، وقد نشر هذا الموضوع في الصحف التي كانت في الواقع عاجزة عن أن تقرر إلى أي الطرفين تنضم، وفي النهاية اضطر الممولون اليونانيون والإنجليز الانضمام للبنك الجديد[٤٨].

وبعد استقرار الأمر، أصبح البنك العثماني الإمبراطوري مؤتمنا على معظم عمليات خزينة الدولة مقابل الالتزام بتأمين بعض القروض القصيرة الأجل للدولة[٤٩]، وقد منحت الدولة العثمانية للبنك حق احتكار إخراج التحاويل بشرط أن يعطي حاملها بدلا منها حال إبرازها إلى البنك، وعلى أن تكون تحويلات البنك باللغة التركية، ونص النظام على أن يكون في صندوق البنك لمدة سنتين من تاريخ فتحه مبلغًا نقديًا يعادل نصف التحاويل المتداولة ولا يقل عن ثلثها بعد ختام مدة السنتين[٥٠] وإرادة الدولة بذلك منح البنك السيطرة وحسن التصرف داخل السوق المالي للدولة العثمانية، ويزيد على ذلك منح عملاء البنك الثقة الكاملة في تعاملهم النقدي

مع البنك الإمبراطوري.

وقد وافق البنك على مساعدة الدولة في سحب العملة الورقية (القوائم) والنقود المنتقصة من التداول، وكان للبنك العثماني الإمبراطوري امتياز آخر في خدمة الديون الخارجية. فمعظم مدفوعات الدولة العثمانية خدمة لديونها الخارجية كانت تتم عن طريق البنك[٥١]، والجدير بالذكر هنا أن الدولة خولت للبنك إجراء معاملات خزينة الدولة، أي أن يأخذ كل إيرادات الدولة التي ترد على الخزينة ويودعها في خزانته، ومن جهة أخرى يعطي التحاويل التي تنسحب عليه من جانب نظارة المالية[٥٢]، وبموجب كل تلك الخدمات التي يقدمها البنك، كان يحصل على عمولة قدرها واحد بالمائة مقابل هذه الخدمات، وأخيرا وعدت الحكومة بعدم إصدار أية عملة ورقية، وأعطي البنك العثماني الإمبراطوري الحق الحصري بإصدار عملة ورقية مغطاة بالذهب (ذات غطاء ذهبي)، ولقد تمتع هذا البنك بامتياز مالي فريد وكان في وضع جيد سمح له بالحصول على منافع قصوى بسبب هذه الظروف[٥٣]، ومن الملاحظ أن الوضع الاقتصادي المتدهور للدولة جعلها توافق على شروط وامتيازات البنوك الأجنبية ذات الطابع الإمبريالي والرأسمالي.

وحرصا من الحكومة العثمانية ولحفاظهم على ثبات وقدرة البنك المالية قامت بتشجيع أعمال البنك من خلال إعفائه من كل أنواع الضرائب والرسوم على الحصص والتحاويل، وطلب من البنك أن يقدم سند كفالة بعشرين ألف جنيه استرليني، على أن تصادر هذه الدراهم لخزينة الدولة إذا لم يقم البنك بأعماله بعد ستة أشهر من تاريخ صدور الفرمان العالي بالامتياز[٥٤].

ويتضح أنه تم إنشاء البنك في اللحظات المناسبة إبان مرحلة تاريخية بلغت فيها القروض ذروتها فقد عُدَّ بمثابة الكفيل للدائنين المحتملين، وضمانة للتوظيف، وبات في موقع يسمح له بتأمين الحد الأقصى من الربح[٥٥].

وتشير الدلائل أن مديري البنك الجديد كانوا على قدر كبير من الذكاء بحيث قدروا الموقف، وفهموا أنه ليس من الممكن أن يحافظوا على احتكارهم[٥٦]، وبسبب كثرة احتياج الدولة للقروض والمعاملات المالية، قامت الدولة بكسر احتكار البنك العثماني الإمبراطوري للسوق المالي للدولة العثمانية، وفي عام ١٨٦٤م اتفق رجال المالية في غلطة واستقروا على إنشاء البنك؛ وذلك للمشاركة من جديد في أسواق المال العثمانية، ولتقسيم المغانم فيما بينهم، فقد أنشئت الشركة المالية العامة للدولة العثمانية[٥٧].

وقد تأسست الشركة المالية العامة للدولة العثمانية برأسمال قدره مليونا جنية استرليني، والهدف من إنشاء هذه الشركة الحماية والإسهام في المشروعات الصناعية التجارية المحلية وفي تكوين شركات جديدة، على عكس البنك العثماني الإمبراطوري، فإنه يعمل كبنك إصدار وإيداع وخصم وتسهيل القروض[٥٨].

وبموجب الاجتماع السنوي لحملة الأسهم في البنك العثماني الإمبراطوري عام ١٨٦٤م، تم توضيح أن الفكرة التي دفعت البنك للاشتراك في المشاريع الصناعية والتجارية هي أن في الدولة العثمانية مجالين متميزين للعمل في المال

والتجارة، فوجد المساهمون أن البنك هو الأداة المناسبة للإقراض من الدولة والمسارعة في المشاريع[٥٩]، بمعني أن البنك استطاع وبكل سهولة التوغل والدخول في أوصال وجسد الدولة العثمانية خاصة في المجال الاقتصادي.

وفي سياق التوغل الذي تمتع به البنك العثماني الإمبراطوري امتدت فروعه إلى ولايات البلقان والأناضول وجزر بحر إيجة وقبرص وسوريا والعرق وشمال أفريقيا والجزيرة العربية ومصر وطرابزون وأزمير وغيرها من الولايات[٦٠].

وقامت الدولة بإصدار أسهم جديدة بواسطة البنك العثماني، حيث أصدرها البنك في ديسمبر ١٨٦٥م بفائدة قدرها ١٢٪، ولجأت الدولة لهذا الإجراء بسبب الضيق وعدم وجود النقود الكافية للمصروفات الضرورية، وبالفعل اتفق رجال الدولة مع البنك العثماني مرات عديدة لدفع فوائد الديون العثمانية[٦١].

والطريف هنا أن الدولة العثمانية ظلت تصدر الامتيازات البنكية لفترة طويلة وسمحت بوجود بنوك كثيرة، فقد تم إنشاء عدة بنوك منها: بنك الاتحاد المالي العثماني برأس مال قدره مليون جنية وهو شركة ائتمان متحرك جديدة تساعد التجارة والصناعة وتفاوض من أجل امتيازات المرافق العامة علاوة على الإقراض بفائدة مجزية، وأسرعت شركة الائتمان والتمويل العامة إلى اقتناص الفرصة عندما أتيحت لها وقامت بضمان قرض بقيمة ٣٦٣ و ٦٣٦ جنيها للباب العالي ، الأمر الذي أثار استياء البنك العثماني الإمبراطوري[٦٢]، وتباعا لهذه الجهود تم تأسيس العديد من البنوك مثل بنك الاعتماد العام العثماني سنة ١٨٦٩م وبنك القسطنطينية سنة ١٨٧٢م، والشركة العثمانية للتبادل والتنمية سنة ١٨٧٢م

وقد لعبت هذه المؤسسات المالية دورا كبيرا في تأمين قروض قصيرة الأجل، ودور الوسيط بين مشتري السندات العثمانية والدولة، مما أكسبها عمولة وفائدة عن كل عملية وكانت الظروف ملائمة جدا، والعملات تراوحت ما بين ١٠٪ إلى ١٢٪ من المبالغ الفعلية المجمعة[٦٣].

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية أيضا شجعت البنوك ذات الأغراض الأخرى، فقد تم إنشاء عدد من البنوك التجارية الصغيرة في مطلع السبعينات، إلا أنها أقفلت خلال الأزمة المالية في النصف الثاني من السبعينات، وكذلك تم تأسيس المجموعة الإنجليزية العثمانية برأسمال قدره مليون جنيه سنة ١٨٦٦م لتشجيع زراعة القطن العثماني في غرب الأناضول، خاصة بعد قيام الحرب الأهلية الأمريكية وعجزها عن زراعة القطن الأمريكي إلا أن هذه المؤسسات المالية أقفلت مباشرة بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية، وإثر الانخفاض الحاد في أسعار القطن العالمية[٦٤]. لكن مع كل هذا ظل البنك العثماني الإمبراطوري صاحب نصيب الأسد في السوق المالية، فهو يمثل أهم مراكز تمويل الدولة العثمانية.

ووصل عدد البنوك الأجنبية في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦م) إلى سبعة بنوك، وفي عام ١٨٧٤م قامت الدولة بإعطاء امتياز لبعض الشخصيات المالية الفرنسية، لإنشاء بنك كبير والذي كان مركزه في استانبول ثم امتدت فروعه إلى أزمير والقدس ويافا والإسكندرية والقاهرة وبورسعيد، وبفضل مساعدات هذا البنك استطاعت الدولة إبرام ٢٤ عملية إقراض في الفترة من (١٨٨١ – ١٩١٤م)[٦٥].

الجدول التالي يوضح القروض التي عقدتها الدولة العثمانية بين عامي (١٨٥٤-١٨٧١م)[٦٦]

السنة	الحجم الاسمي للقرض بالجنية	النسبة الإصدار (٪)	المبلغ		نسبة الفائدة	
			الإجمالي	الصافي	الإسمية	الفعلية
١٨٥٤	٣٣٠٠	٨٠	٢٦٤٠	٢٥١٥	٦	٧,٩
١٨٥٥	٥٥٠٠	١٠٢,٦	٥٦٤٤	٥٥٨٣	٤	٤
١٨٥٨	٣٣٠٠	٨٥	٤١٨٠	٣٧٨٤	٦	٨,٧
١٨٥٩	٢٢٠٠	٦٢,٥	؟؟	؟؟	؟؟	؟؟
١٨٦٠	٢٢٤١	٦٢,٥	١٤٠١	١٣٦٥	٦	٩,٨
١٨٦٢	٨٨٠٠	٦٨	٥٩٨٤	٥٦٦٥	٦	٩,٤
١٨٦٣	٨٨٠٠	٧١	٦٢٢٨	٥٤٨٠	٦	٩,٧
١٨٦٥ (أ)	٦٦٠٠	٦٦	٤٣٥٦	٤٠٦٩	٦	٩,٧
١٨٦٥ (ب)	٣٦,٢٠٠	٦٠	٢١,٨٠٠	٢١,٨٠٠	٥	٨,٣
١٨٦٩	٢٤,٤٤٤	٥٤	١٣,٢٠٠	١٢,٧١١	٦	١١,٥
١٨٧٠	٣٤,٨٤٨	٣٢,١	١١,١٩٥	١٠,٤٩٨	٣	١٠
١٨٧١	٦,٢٧٠	٧٣	٤٥٧٧	٤٤٥٢	٦	٨,٥

ويتضح من الجدول السابق أن الدولة العثمانية بدأت سياسة الاقتراض الخارجي من عام ١٨٥٤م، حيث استمرت في الاقتراض حتى نهاية القرن ١٩م.

وفي غضون تلك الأحداث المالية العصيبة قامت الدولة العثمانية خلال عام ١٨٧٥م بإعلان إفلاس الدولة "حيث قرر الباب العالي أنه في السنوات الخمس التي تبتدئ من أول يناير المقبل سيدفع نصف أرباح سندات الدين العام وقسطا استهلاكه نقدا والنصف الآخر سندات ذات خمسة في المائة" فكان هذا الخبر بمنزلة إعلان لإفلاس الحكومة العثمانية حيث اضطربت له سوق سندات لندن اضطرابا فظيعا، وتعدى تأثير السندات العثمانية إلى السندات المصرية الخاصة بديون إسماعيل. وقالت جريدة "التيمز" في هذا العدد عينه في مقالتها المالية: "لقد اضطربت اليوم سوق السندات الأجنبية، ولم تعلق فيها نشرة البنك العثماني الإمبراطوري الخاصة بالدين العثماني إلا منتصف النهار، وما كاد الخبر يذاع حتى أخذت السندات العثمانية ثم السندات المصرية في نزول شديد بلغ حد الإزعاج وأقفلت السوق في نزول مستمر"[٦٧] وبذلك يتضح وجود علاقة وطيدة بين المالية العثمانية ومالية مصر بسبب ارتباط مصر بالدولة لكونها ولاية تابعة للدولة العثمانية.

ونشير هنا إلى أن الدول الأوروبية لم تستطع فرض مسار معين في السياسة الاقتصادية للدولة العثمانية طوال فترة القرن ١٩م، والتي كان هدفها الشاغل هو الإطاحة بالاقتصاد العثماني[٦٨].

وعلى أية حال وفي سنة ١٨٧٩م، بلغت قروض البنك العثماني ومرابي غلطة على الدولة العثمانية ٨٠٧٢٥٠٠٠ ليرة، فمنحت بدءا

من مطلع سنة ١٨٨٠م "التزام" رسوم الدمغة والمسكرات ورسوم الملح وانحصار الدخان وصيد استانبول "والتزم" عشر الحرير لمدة عشر سنوات في استانبول وولايات أدرنة وبورصة وسامسون من أجل تسديد تلك الديون[٦٩] إلا أن هذا لم يدم طويلا بعد تأسيس إدارة الدين العام في الدولة العثمانية.

وفي نفس الصدد للتسهيلات العثمانية في إنشاء البنوك وفروعها، ففي عام ١٨٩٤م سمحت الدولة بفتح فرع للبنك العثماني الإمبراطوري في البصرة وقام بإدارة الفرع أحد المصرفيين الأوروبيين، لكنه توفي في العام نفسه مما أدى إلى إغلاق الفرع تاركا مراسلا بسيطا، إلا أنه أعيد افتتاح فرعه في البصرة عام ١٩٠٤م ما دفع بالأمريكان إلى امتلاك فرع من البنك العثماني في البصرة، وقام بتولي الشئون الأمريكية في البنك مدير فرنسي من أصحاب الباع الطويل في العمل المصرفي[٧٠].

علاوة على ما تقدم، وفي نهاية القرن ١٩م، وفي سبيل خدمة التجارة الألمانية داخل الدولة العثمانية، افتتح البنك الألماني فروعا متعددة داخل الدولة ومركزه استانبول وحلب، ونتج عن هذا البنك أنه لم تعد تعتمد تجارة ألمانيا على البنوك الإنجليزية، وبسبب الدعم المادي الذي حاز عليه البنك من الحكومة الألمانية قام بإنشاء مشاريع صناعية وتجارية ضخمة داخل الأراضي العثمانية، أهمها سكة حديد الأناضول، وفي عام ١٨٩٩م افتتح البنك الألماني فرعًا له في فلسطين، إذ كان هذا البنك فريد من نوعه كأول بنك في فلسطين[٧١].

جدول بأهم البنوك التي تم إنشاؤها داخل أراضي الدولة العثمانية في الفترة من (١٨٤٧ – ١٨٧٢م)

م	البنك	تاريخ الإنشاء
١	بنك استانبول (بنك مصرفي غلطة)	١٨٤٧م
٢	البنك العثماني	١٨٥٦م
٣	البنك الأهلي العثماني	١٨٦٠م
٤	البنك العثماني الإمبراطوري	١٨٦٣م
٥	بنك الاعتماد العام العثماني	١٨٦٩م
٦	بنك القسطنطينية	١٨٧٢م
٧	الشركة العثمانية للتبادل والتنمية	١٨٧٢م
٨	البنك الألماني	١٨٩٩م

ولا نزاع في أن الدولة العثمانية كانت ساحة واسعة المجال لتلاعب تلك البنوك الأجنبية بالاقتصاد العثماني، حيث كانت تتربح كثيرًا، فمن الجدول السابق يتضح التصارع الزمني للدول الأجنبية في إنشاء تلك البنوك الرأسمالية الغربية.

ويصل عدد البنوك الأجنبية في الدولة العثمانية إلى ١٦ ما بين بنك وشركة ذات مراكز كبيرة في العاصمة وفروعها في كافة الولايات، وتتوزع جنسياتها على "إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وهنجاريا وإيطاليا واليونان وروسيا" مع أن البنك الروسي نشاطه ضئيل في الدولة العثمانية نظرا للأحوال السياسية المضطربة السائدة، ومع هذا أيضا لم يقم الإنجليز بدور كبير في قطاع المعاملات المالية في الدولة العثمانية، ولكن المؤسسات المالية اليهودية عملت من بريطانيا على تسهيل الاستيطان اليهودي في فلسطين بواسطة بعض البنوك التي مولت إنشاء مؤسسات استيطانية هناك، وقد ارتفعت الأموال

الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين بعد الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م وشهد هذا العهد أيضا زيادة في عدد البنوك الأجنبية العاملة في الدولة[٧٢]. فكانت تلك البنوك هي الرصاصة في قلب الأمة الإسلامية للقضاء على الخلافة العثمانية.

[٥] إدارة الديون العمومية ١٨٨١م:

ظلت الدولة العثمانية تعقد قروضا لتسديد القروض القديمة وزيادته الربوية، وكلما مر الزمان زاد الحمل ثقلا والوفاء عسرا والمرابين أصحاب البنك وسندات التحويل والأوربيين اغتباطا وسرورا، والكارثة أن الدولة العثمانية اضطرت في أواسط سبعينيات القرن ١٩م إلى تخصيص نصف إيراداتها للإيفاء بالديون الخارجية ورباها قبل حصوله على قروض جديدة. كذلك ضمنت قروضها الخارجية بأجود أصول مواردها، مثل إيرادات جزية مصر، وجمارك استانبول وأزمير وسوريا، والتزمت بإنجاز كيلومترات معين مرصوفة للحصول على قرض عام ١٨٧٠م لمد السكك الحديدية، وللاستقراض عام ١٨٦٥م و١٨٧٠م و١٨٧٣م بينت الدولة مواردها كافة ضمانا للديون[٧٣].

ومهما يكن من أمر، فقد أراد السلطان عبد العزيز إصلاح مالية الدولة فأصدر فرمانًا بجمع كافة القوائم والسندات وتعويض حامليها بنقود ذهبية أو فضية تعادل ٤٠٪ من قيمتها وبقوائم جديدة تعادل ٦٠٪ ؛ وذلك بعد أن تم تقليص بنود المصروفات في ميزانية الدولة بما فيها مصاريف القصر، ونجحت بعض المحاولات من الدولة في تسوية أمورها مع البنك العثماني الإمبراطوري، وتم منع إصدار القوائم فاستقرت أحوال الدولة نسبيا، وكان السلطان عبد العزيز يشتري كثيرا من القوائم المالية من ماله الخاص، فعند وفاته عام ١٨٧٦م وجد في خزانته الخاصة قوائم قيمتها ٧ ملايين وأربعمائة ألف قطعة ذهبية[٧٤]، لكن لم يصمد هذا كثيرا أمام محاولات أوروبا المتكررة للإحاطة بالاقتصاد العثماني؛ فقد أدت الأزمات المالية عام ١٨٧٣م إلى توقف الاقتراض من قبل الأسواق المالية الأوروبية[٧٥] وقد وصل الدين العام للحكومة العثمانية بين عامي (١٨٥٤ – ١٨٧٩م) مبلغا اسميا قدره ٢٥٦ مليون ليرة عثمانية، وتلقت منه الدولة الأوروبية ١٣٩ مليونا فقط عن طريق السداد[٧٦].

ومما ألجأ الدولة إلى الاستدانة لزيادة النفقات بشكل لم تعد الطرق القديمة التي اتبعت لسد العجز في الميزانية الوقوف أمامه وزيادة الأعباء والإنفاق العسكري ومشاريع التحديث وبناء القصور[٧٧]، وقد انتهي الأمر بالدولة العثمانية إلى أن امتنعت عن سداد الديون عام ١٨٧٥م من وقت إعلان إفلاس الدولة كما ذكرنا من قبل[٧٨].

وبالفعل وجد السلطان عبد الحميد الثاني بعد توليه العرش أن الديون ضعضعت أوصال الدولة؛ حيث وجدت الدولة نفسها مجبرة على الاقتراض من جديد لدفع ما عليها من ديون[٧٩]. مما زاد من الأزمة الراهنة.

والجدير بالذكر أن الدولة قامت بالاستدانة من الخارج في عمليات متكررة حتى وصلت إلى ١٧ مرة حتى عامل ١٨٧٩م[٨٠]، وقد وصل الدين العام إلى ما يقرب من أربع مليارات من الفرنكات الفرنسية[٨١].

وعلى غرار تلك الأحداث قامت الحكومة العثمانية بالتفاوض مع الدائنين الأوروبيين لجدولة الديون، وأسفرت تلك المفاوضات عن تشكيل (إدارة الدين العام في ٢٠ ديسمبر عام ١٨٨١م تحت إدارة لجنة تمثل الدائنين للإشراف على سداد الدين الأم للدولة متمثلة في جهاز فرنسي – إنجليزي، وتطور عمل المديرية في جمع الضرائب حتى وصل عدد الموظفين المقيدين في المديرية إلى حوالي خمسة آلاف موظف لجباية الضرائب[٨٢]. وبذلك تم حرمان الدولة من أي أمل في استعادة استقلالها الاقتصادي والمالي في يوم من الأيام.

ومن خلال إدارة الدين العام استطاعت الدولة التفاوض مع الدائنين حتى تم تخفيض قيمة الدين إلى النصف خلال المفاوضات[٨٣]، وبموجب السلطة المخولة لإدارة الدين العام فقد قام بالتحكم في الرسوم الستة (الملح – والتبغ، ورسوم الدمغة والحرير، ورسم الخمور، وصيد الأسماك في استانبول) وإعفاء حاصلات الضرائب في بعض الولايات وواردات قبرص وضرائب الروملي الشرقية مع خمسة آلاف ليرة، والضرائب المحصلة من بلاد الصرب والجبل الأسود وبلغاريا واليونان من الديون العمومية حسب معاهدة برلين عام ١٨٧٨م[٨٤]، واستطاعت إدارة الدين العثمانية الحصول على قروض من أوروبا بشروط أفضل وبنسبة ربوية أدني بعد سماحها بالمراقبة الغربية على المالية العثمانية وأداء أقساط الدين في أوقاتها بغير نقص، ومد خطوط السكك الحديدية[٨٥]، وقد وصلت مخصصات سداد الديون للدولة إلى أكثر من ٥٠٪ من ميزانية (١٨٨٠ – ١٨٨١م) ولما يقارب ٦٠٪ من ميزانية (١٩٠٧ – ١٩٠٨م)[٨٦]. وظلت إدارة الدين العام تراقب المصادر المالية المهمة مراقبة مباشرة، وتنقل الواردات إلى الدول الأوروبية وتعرقل اتخاذ الحكومة العثمانية قارات مستقلة ومنفردة[٨٧].

وقد جرت مباحثات عام ١٨٩٨م عن الدين العام، فأظهرت أن نصيب فرنسا من الدين العثماني كان حينئذ ٤٥٪ (مقابل ٤١٪ م سنة ١٨٨١م) وبريطانيا ١١٪ (مقابل ٢٩٪ سنة ١٨٨٩م) والبلجيك ١٨٪ (مقابل ٧٪ سنة ١٨٨١م) وألمانيا ١٢٪ (مقابل ٤,٥٪ سنة ١٨٨١)، حتى أن روسيا ابتاعت في السنوات الأخيرة مقدارا من سندات الدين العثماني لتؤيد مطلبها بتعيين عضو رسمي في إدارة الدين العام، وقد قررت إدارة الدين توحيد الديون العثمانية في دين واحد، وكان مجموع الديون الذي نيطت أموره لهذه الإدارة مائتي مليون جنيه تقريبا[٨٨].

ومن نتائج إعلان إفلاس الدولة، إنشاء إدارة الدين العام في استانبول ١٨٨١م وإعلان انجلترا احتلال تونس عام ١٨٨١م، ومصر عام ١٨٨٢م كما كان نتيجة مباشرة لإعلانات توقف دفع الديون في الدولة العثمانية[٨٩]، والواقع أن هاتين الولايتين (مصر وتونس) قامتا بالاقتراض من الخارج مما جعلهما تحت تحكم تلك الدول الأوروبية التي استغلت في النهاية تلك القروض للإطاحة بمصر وتونس[٩٠]، وهنا يتضح الأثر السلبي للأزمات الاقتصادية على تاريخ الدولة العثمانية في القرن ١٩م وبداية القرن ٢٠م.

وقد ترتب على تلك الحالة الاقتصادية للدولة العثمانية، التي أكملت تبعيتها للغرب وجعلتها

تعيش تحت رحمة أوروبية. فإلى جانب أنها قد رهنت موقفها الاقتصادي للبنوك والممولين الأوروبيين، فإن آلتها العسكرية، أي جيشها الجديد يديره الخبراء العسكريون الأوروبيون ويسير وفق نظمهم وتقاليدهم وإستراتيجيتهم ويحمل أسلحتهم ومعداتهم ولا يتمكن من الدفاع عن الدولة دون القروض الأوروبية[٩١].

والراجح أن الدولة العثمانية تعرضت للكثير من الأزمات الاقتصادية الطاحنة التي أصابتها بتدخل من الدول الأوروبية للإطاحة بالدولة وإغراقها في التدهور المحتوم والمرسوم لها منذ مطلع القرن ١٩م، فقد استغلت الدول الأوروبية ضعف الإدارة العثمانية، واتبعت أصول ونسق اقتصادي وبنكي محكم للإطاحة بالكيان الذي يسيطر على الأراضي الطامعة فيها تلك الدول الأوروبية، على الرغم من أن العثمانيين بذلوا جهودا كبيرة في حل الأزمات المالية التي أصابت النقد والاقتصاد، ومحاولاتهم الجادة للتخلص من الديون والاقتراض لكن دون جدوى، وطرحهم عدة حلول لتدبير الأموال اللازمة لإعانة خزانة الدولة وإنقاذها، على الرغم من ذلك ما لبث الغرب أن أغرق الدولة العثمانية في الديون الخارجية التي سهلتها البنوك الأجنبية التي أطاحت في النهاية بالاقتصاد العثماني، فأصبح بذلك اقتصادًا تابعًا للبنوك الأوروبية.

الخلاصة

مما لاشك فيه أن الأمور ابتسمت كثيرًا لرجال المال الأوروبيين بعد خضوع الدولة لإنشاء البنوك الأجنبية في أراضيها، فقد استغلها هؤلاء الرجال لإغراق الدولة ولضعضعة قوتها الاقتصادية، ولتشتيت فكر الدولة ما بين الأمور السياسية العسكرية وبين النواحي الاقتصادي، التي كانت شاغل الدولة في ذاك الوقت.

ومع التسهيلات التي قام بها هؤلاء الرجال أصحاب البنوك الربوية الأجنبية، زادت من خلالهم قروض الدولة التي توالت مرارا وتكرارا مع احتياج الدولة للإنفاق الحربي، مع إيهام الدولة بنسق الإصلاح على النظام الغربي والذي لا يتماشى مع دولة الخلافة.

وهذا لا يمنع أن البنوك التي تأسست داخل الدولة العثمانية، أن لها أثرًا إيجابيًّا لكن على حساب الدولة (إغراقها بالديون)، فقد تم إنشاء سكك حديدية ومشاريع ضخمة ورصف طرق، فكانت تلك الأعمال منسجمة كل الانسجام مع مصالح الدولة العثمانية في إجراء تلك المشروعات، والجدير بالذكر أن هذه البنوك لم تعمل من نفسها حيث كانت الحكومة العثمانية هي صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في إجراء المعاملات المالية التي كانت في حاجة إليها، فالبنك لا يستطع إبرام قرض إلا بمعرفة ورغبة الدولة العثمانية.

اجتمعت في النهاية مصالح الدولة العثمانية مع مصالح البنوك الربوية الأوروبية، لكن خسرت الدولة الكثير من الأموال والأراضي، لكن البنوك كثيرا ما زاد مكسبها من المال الذي وصل إلى المليارات من الجنيهات الربوية.

وفي النهاية وقعت الدولة فريسة لطموحها الإصلاحي على النسق الغربي، وفشلت في محاولات الإصلاح الاقتصادي وتحسين مالية الدولة؛ لإدراك الشعوب الأوروبية ومجابهة

تقدمها نحو الأمام.

على أية حال فقد حاولنا رسم صورة واضحة بقدر المستطاع عن الصيارفة والبنوك والأزمة المالية واحتياج الدولة للاقتراض من الخارج، من حيث إبراز التدهور الذي أحاط بالدولة تلك الفترة، بالإضافة إلى ما وضحناه عن أسباب وتداعيات رضوخ الدولة إلى الاستدانة من الخارج وموافقتها على منح امتيازات للأجانب لإنشاء البنوك داخل الأراضي العثمانية وتأثيرها على الاقتصاد العثماني، وإدارة الدين العام في الدولة العثمانية.

الحواشي

♦ الالتزام: نظام لجمع الضرائب كان معمولا به في الدولة العثمانية، يلتزم بموجبه أحد الوجهاء أو الأمراء أو من في حكمهم بجمع الضرائب من الأهلية، وإرسالها إلى العاصمة استانبول، وهو يحصل على مساعدة الحكومة في تحصيلها بكل الوسائل أضعاف مضاعفة.

انظر: ألبرت حوراني وآخرون: الشرق الأوسط الحديثة (١٧٨٩ – ١٩١٨م)، ترجمة: أسعد صقر، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٦م، ج١، ص١٢٢؛ أيمن أحمد محمود: الجزية في مصر (١٧١٣ – ١٨٥٦م)، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٤١-٤٣ ؛ خالد زيادة: الصورة التقليدية للمجتمع المديني "قراءة منهجية في سجلات محكمة طرابلس الشرعية"، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧٠-٧١.

♦♦ المالكانة: هي تلك الأرض التي تنتمي إلى سيد إقطاعي، خليل إيتالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٢، ص ٨١٠ والجدير بالذكر هنا أن الدولة قامت باستبدال نظام الالتزام بالمالكانة حتى تعطي الفرصة لأصحاب الالتزام بتوريث هذا الالتزام وذلك لتوفير الأموال للدولة.

(١) شوكت باموك: التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٤٤.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية "تاريخ وحضارة"، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م، مج ١، ص٣٤٤ ؛ محمد حسن العيداروس: الأطلس التاريخي للخلافة العثمانية "اختلاف الهياكل الاقتصادية وآثارها على دولة الخلافة"، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١٧٤ – ١٧٥.

(٣) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٤٧.

(٤) للمزيد عن التخفيض الكبير لوزن العملة (١٨٠٨ – ١٨٤٣م)، انظر: نفسه، ص٣٤٠ – ٣٦٠.

♦ قوائم: هي عبارة عن أوراق غيرة ملونة بألوان مختلفة كل منها بقيمة معلومة من النقود. انظر: محمد عبد اللطيف، ص ٢٢٥.

(٥) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص٦٥٤.

(٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص٦٥٤.

(٧) قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية "قراءة جديدة لعوامل الانحطاط "، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣ م، ص٧١.

(٨) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٤٧ – ٣٤٨.

♦ الضربخانة: هي مبنى سك العملة في الدولة العثمانية، وتنقسم إلى شقين الأول ضرب وهي عن العربية، والثاني خانة وهي عن الفارسية بمعني دار، فتصبح الكلمة دار ضرب النقد، وقد انتشرت دور ضرب العملة في كثير من مدن الدولة العثمانية، وعمل بنظام الالتزام في إدارة

الضربخانات في كافة أنحاء الدولة. انظر: شوكت باموك: المرجع السابق، ص٨٠-٨٢؛ شمس الدين سامي: قاموس تركي، استانبول، ١٣١٧ هـ، ص٨٥٣ ؛ سهير صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الرياض، ٢٠٠٠م، ص١٤٦.

(٩) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص٦٥٥.

(١٠) يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة: محمد الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر ط١، القاهرة، ٢٠١١م ص ١٣٨.

(١١) شعبان صوان: السلطان والمنزل "الحياة الاقتصادية في آخر أيام الخلافة العثمانية ومقوماتها لتمدد الرأسمالية الغربية" دار الروافد للثقافة ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠١٣م، ص٢٦؛ بيير ريستوفان، جان باتيست: مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة: فايز كم نقش، منشورات بحر المتوسط وعويدات، ٣٥، بيروت – باريس، ١٩٨٩، ص٢٢٣؛ محمد أسامة: منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٣٠.

(١٢) ليندا شيلش: دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر، ترجمة: عمر الملاح، دينا الملاح، دار الجمهورية، ط١، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٠١.

♦ مصرفيو غلطة: وصل صيارفة غلطة إلي القمة خلال القرن ١٨م وتحولوا إلي رأسماليين كبار حيث أطلق عليهم مصرفي غلطة خلال القرن ١٩م، فقد كانوا جزءًا من حلول الدولة لتوفير المال اللازم للدولة، فقد احتاجتهم الدولة كمقرضين للدولة، وقد نظموا أنفسهم في نقابة للصيارفة في غلطة وهي ضاحية من ضواحي استانبول وتشكل طائفة الصيارفة من اليونانيين والأرمن بصورة كبيرة، وقد تطور الوضع من كونهم مقرضين تقليديين ووسطاء إلى رجال مال وصيارفة. انظر: شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٦١ – ٣٦٥؛

Biltekin Ozdemir: osmanli Devleti Ois Borclari "1854 – 1954" , Ankara , 2009 , S.14.

(١٣) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٦٢.

(١٤) نفس المرجع والصفحة.

(١٥) دونالد كواثرت: الدولة العثمانية (١٧٠٠ – ١٩٢٢م)، ترجمة: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض،، ٢٠٠٤م، ص٣٠٧..

(١٦) محمد رفعت الإمام: القضية الأرمينية في الدولة العثمانية (١٨٧٨ – ١٩٢٣م)، دار نوبار، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٦ ؛ شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن سويديان، دار ابن كثير، ط١، بيروت٢٠١١م، ص٣١٣.

(١٧) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٦٣.

(١٨) نفسه، ص ٣٦٤.

(١٩) نفس المرجع والصفحة.

(٢٠) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج:١، ص ٦٦٩ – ٦٧٠.

(٢١) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٦٤ – ٣٦٥.

(٢٢) نفسه، ص ٣٦٥.

(٢٣) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٦٦.

(٢٤) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص٦٥٥.

(٢٥) نفسه، ص، ٦٧٠ – ٦٧١.

(٢٦) نفسه، ص ٦٧١، شوكت باموك: المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٢٧) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص ٦٧١ ويختلف هنا البعض على رأس مال البنك فيقدره بحوالي ٢٠٠٠٠٠ جنية استرليني.انظر: شوكت باموك: المرجع السابق، ص ٣٨٠.

(٢٨) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ص ٦٧١.

(٢٩) شارل عيسوي: التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ترجمة: سعد رحمي، دار الحداثة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٣٢.

(٣٠) إلبر أورطايلي: الخلافة العثمانية "التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد القادر عبدلي، دار قدمس، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٢٥.

(٣١) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨١.

(٣٢) جميل موسي النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد "من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني" (١٨٦٩ – ١٩١٧ م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.

داڤيدس لاندز: بنوك وباشوات ترجمة: عبد العظيم أنيس، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٦م ص ٦٠.

(٣٣) جون ماريو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى الاحتلال البريطاني ١٨٨٢، مكتبة الأسرة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٣٥ – ١٣٦ ؛=

=N. Necla Geyikdagi, foreing investment in the ottoman empire: internationltrade and relations, 1854 – 1914, London, 2011, p. 100.

(٣٤) عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ – ١٩١٤ م)، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٠٨.

(٣٥) أحمد عبد الرحيم مصطفي: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط٣ القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢١٦ ؛ لكن يختلف هنا البعض في تحديد أول ميزانية للدولة العثمانية فيذكر البعض أنها عام ١٨٥٧م ويختلف هنا الوضع ويذكر آخرون أنها عام ١٨٦٣م. لكن الراجح هنا هو أنه تم وضع أول ميزانية للدولة في عام ١٨٦٣م بسبب الاستحكامات والإصلاحات المالية التي اتبعها وانتهجها السلطان عبد العزيز. انظر: جاك توبي: الإمبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطانة العثمانية (١٨٤٠ – ١٩١٤م)، ترجمة: فارس غصوب، دار الفارابي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م ص ٢٧-٢٨

(٣٦) روجر أوين: الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي (١٨٠٠ – ١٩١٤م) ترجمة: سامي الرزاز: مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ بيروت، ١٩٩٠م، ص١١٣-١١٤

(٣٧) صلاح نصر: الحرب الاقتصادية في المجتمع الإنساني، دار القلم، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٩.

(٣٨) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفرابي، ط٩، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٤٥ – ٣٤٦؛ ز. ي. هرشلاغ: مدخل إلي التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفي الحسيني، دار الحقيقة، ط١، بيروت، ١٩٧٣م، ص٤٥.

(٣٩) داڤيدس. لاندرز: المرجع السابق، ص٦١.

(٤٠) نفس المرجع والصفحة.

(٤١) داڤيدس لاندرز: المرجع السابق، ص٦٢.

(٤٢) داڤيدس لاندرز: المرجع السابق، ص٦٢.

(٤٣) أحمد حامد إبراهيم القضاة: نصاري القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ بيروت – القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٣١.

(٤٤) نوفل أفندي نعمة الله: "الدستور" المطبعة الأردنية، ط١، بيروت، ١٣٠١ هـ، مج٢، ص ٨٨٣ – ٨٨٤.

(٤٥) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية "دولة إسلامية مفتري عليها "، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٤، ص ١٨١٩.

(٤٦) محمد حسن العيدروس: الأطلس التاريخي للخلافة العثمانية "اختلاف الهياكل الاقتصادية وآثارها على دولة الخلافة"، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٢٣٥.

(٤٧) الدستور، مج٢، ص٨٧٨٥.

(٤٨) داڤيدس لاندز: المرجع السابق، ص٦٢

(٤٩) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨١ ؛ محمد حسن العيداروس: المرجع السابق، ص٢٣٥.

(٥٠) الدستور، مج٢، ص٨٨٥.

(٥١) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨١ – ٣٨٢.

(٥٢) الدستور، مج٢، ص ٨٨٦.

(٥٣) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨٢.

(٥٤) الدستور، مج٢، ص٨٨٥.

(٥٥) محمد عيدروس: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٥٦) داڤيدس لاندز: المرجع السابق، ص٦٢

(٥٧) محمد عيدروس: المرجع السابق، ص٢٣٦؛ شوكت باموك: المرجع السابق، ص ٣٨٢؛ داڤيدس لاندرز: المرجع السابق، ص٦٢.

(٥٨) داڤيدس لاندرز: المرجع السابق، ص٦٣

(٥٩) نفس المرجع والصفحة.

(٦٠) الدستور، مج٢، ص ٢٦٥، ٨٨٧؛ N.Necle Geyikdagi: op, cit, p. 101.

(٦١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حفني، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١ م، ص٥٤١.

(٦٢) داڤيدس لاندرز: المرجع السابق، ص٦٤.

(٦٣) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨٢.

(٦٤) نفسه، ص ٣٨٣.

(65) V. Necla , op. cit, p. 103.

(٦٦) محمد صبري الدالي: القوي الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٣٧٦ – ٣٧٧.

(٦٧) تيودور رتستشين: تاريخ المسألة المصرية حسن ترجمة: عبد الحميد العبادي، محمود بدران، حسن الهيئة العامة لقصور الثقافة ط٣ القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٢.

(٦٨) إدهم إلدم، دانيال غوفمان، بروس ماسترز: المدينة العثمانية بين الشرق والغرب "حلب – أزمير – اسطنبول"، ترجمة: رلي ذبيان، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٣٨١ – ٣٨٢.

(٦٩) أحمد آق كندوز، سعيد اوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة "٣٥٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية" وقف البحوث العثمانية بتركيا، ط١ استانبول، ٢٠٠٨م ص ٧٥١.

(70) 76( ) Van ess Dorothy, Pioneers in the Arab world, (Michigan, 1974) , p.64 – 65

(71) 77( ) V. Necla, Op. cit, p. 103- 104

(72) 78( ) V. Necla, Op. cit, P. 105

(٧٣) أحمد آق كندوز حسن سعيد اوزتورك: المرجع السابق حسن ص ٧٥٠.

(٧٤) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، مج١، ص ٣٣٠.

(٧٥) شوكت باموك: المرجع السابق، ص٣٨٤.

(٧٦) ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: اسعد صقر، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٣٤٩.

(٧٧) شعبان صوان: المرجع السابق، ص٢٧.

(٧٨) محمد كردي على: خطط الشام، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، ١٩٨٣ م، ج٣، ص ٩٦ ؛ محمود علي عامر: الدولة العثمانية "تاريخ ووثائق"، دار الرحاب، ط١، دمشق، ٢٠٠١م، ص٢٠٨؛ حسام النايف: لواء الإسكندرونة حكاية وطن سلب عنوة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١، دمشق، ٢٠١٣ م، ص ٢٥ ؛ آرنست رامزور: تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح العلي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٦٠ م، ص ٤٣-٤٤ ؛

Resat Kasaba: The ottoman nempire and the world economy: the nineteenth century, state uhiversity of new york , athany, 1988 , p.53.

(٧٩) محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني "آخر السلاطين العثمانيين الكبار"، دار القلم، ط١، دمشق قن ١٩٩٦ م، ص ٥١.

(٨٠) أحمد آق كوندز، سعيد اوزتورك: المرجع السابق، ص ٧٥٠.

(٨١) محمود على عامر: المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٨٢) دونالد كوترات: الدولة العثمانية (١٧٠٠ –

١٩٢٢م)، ترجمة: أيمن ارمنازي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م، ص١٤٤؛ يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية "السياسي والعسكري والحضاري"، ترجمة: عدنان محمود، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، مج٣، ٢٠١٠م، ص ١٢٧؛

Jean Pierre Derriennic; le Moyen Oriant auxxemes, Paris, 1980 , p. 18-19

(٨٣) شوكت باموك: المرجع السابق ، ص ٣٨٤.

(٨٤) أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: المرجع السابق، ص ٧٥٣ ؛

Edwin pears: Life of Abdul hamid, London 1917 , p. 167

(٨٥) أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: المرجع السابق، ص ٧٥٤.

(٨٦) شعبان صوان: المرجع السابق، ص ١٠٦

(٨٧) أحمد آق كوندز، سعيد اوزتورك: المرجع السابق، ص ٧٥٥.

(٨٨) قيس جواد العزاوي: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٨٩) شوكت باموك: المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٩٠) هيلين دالميدا: أفريقيا في القرن العشرين، ترجمة: صباح ممدوح، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١، دمشق، ٢٠١٣م، ص ٢٠-٢١، عادل مناع: تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني "١٧٠٠ – ١٩١٨م"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٠٦ ؛ خليل إيتالجك: المرجع السابق، ص٤٩٧.

(٩١) قيس جواد العزاوي: المرجع السابق، ص٧٤-٧٥.

قائمة المصـــادر والمراجع

[١] المراجع العربية:

- أحمد حامد إبراهيم القضاة: نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، بيروت – القاهرة، ٢٠٠٧م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفي: في أصـول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٣م
- أيمن أحمد محمود: الجزية في مصر (١٧١٣ – ١٨٥٦م)، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م
- جميل موسي النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد "من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني" (١٨٦٩ – ١٩١٧م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ١٩٩١م.
- حسام النايف: لواء الاسكندرونة حكاية وطن سلب عنوة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١، دمشق، ٢٠١٣م.
- خالد زيادة: الصورة التقليدية للمجتمع المدني "قراءة منهجية في سجلات محكمة طرابلس الشرقية"، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- شعبان صوان: السلطان والمنزل "الحياة الاقتصادية في آخر أيام الخلافة العثمانية ومقوماتها لتمدد الرأسمالية الغربية"، دار الروافد للثقافة ناشرون ط١، بيروت، ٢٠١٣م.
- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن سويديان، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠١١م.
- صلاح نصر: الحرب الاقتصادية في المجتمع الإنساني، دار القلم، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م.
- عادل مناع: تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني "١٧٠٠ – ١٩١٨م"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية "دولة إسلامية مفترى عليها"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.
- عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ – ١٩١٤م)، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٩م.
- قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية "قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣م.

- محمد أسامة زيد: منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م.
- محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني "آخر السلاطين العثمانيين الكبار"، دار القلم، ط١، دمشق، ١٩٩٦م.
- محمد حسن العيداروس: الأطلس التاريخي للخلافة العثمانية " اختلاف الهياكل الاقتصادية وآثارها على دولة الخلافة "، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة ٢٠١٣م.
- محمد رفعت الإمام: القضية الأرمنية في الدولة العثمانية (١٨٧٨ – ١٩٢٣م)، دار نوبار، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- محمد صبري الدالي: القوي الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
- محمد كردي علي: خطط الشام، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، ١٩٨٣م.
- محمود على عامر: الدولة العثمانية " تاريخ ووثائق "، دار الرحاب، ط١، دمشق، ٢٠٠١.
- نوفل أفندي نعمة الله: الدستور، المطبعة الأدبية، ط١، بيروت، ١٣٠١ هـ.

[٢] المراجع المعربة:

- أحمد آق كندوز، سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة " ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية "، وقف البحوث العثمانية بتركيا، ط١، استانبول، ٢٠٠٨م.
- إدهم إلدم، دانيال غوفمان، بروس ماسترز: المدينة العثمانية بين الشرق والغرب " حلب – أزمير – اسطنبول "، ترجمة: رلي ذبيان، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م.
- أرنست رامزور: تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح العلي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٦٠م.
- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية "تاريخ وحضارة"، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.
- البر اورطايلي: الخلافة العثمانية "التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر"، ترجمة: عبد القادر عبدلي، دار قدمس، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: أسعد صقر، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٦م.
- ألبرت حوراني وآخرون: الشرق الأوسط الحديث (١٧٨٩ – ١٩١٨م)، ترجمة: اسعد صقر، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٦م.
- بيير ريستوفان، جان باتيست: مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة: فايز كم نقش، منشورات بحر المتوسط – عويدات، بيروت – باريس، ط١، ١٩٨٩م.
- تيودور رتستشين: تاريخ المسألة المصرية، ترجمة: عبد الحميد العيادي، محمود بدران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٣، القاهرة، ١٩٩٨م.
- جاك توبي: الامبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية (١٨٤٠ – ١٩١٤م)، ترجمة: فارس غصوب، دار الفرابي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
- جون ماريو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحماية الفرنسية ١٧٩٨م إلى الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م، مكتبة الأسرة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- خليل إينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٢.
- دفايدس لاندرز: بنوك وباشوات، ترجمة: عبد العظيم أنيس، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٦م.
- دونالد كوثرات: الدولة العثمانية (١٧٠٠ – ١٩٢٢م)، ترجمة: أيمن ارمنازي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م.

- روجر اوين: الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي (١٨٠٠ – ١٩١٤م)، ترجمة: سامي الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

- ز. ي. هرشلاغ: مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفي الحسيني، دار الحقيقة، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.

- شارل عيسوي: التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ترجمة: سعد رحمي، دار الحداثة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

- شوكت باموك: التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

- لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفرابي، ط٩، بيروت، ٢٠٠٧م.

- ليندا شيلش: دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر، ترجمة: عمر الملاح، دينا الملاح، دار الجمهورية، ط١، دمشق، ١٩٩٨م.

- هيلين دالميدا: أفريقيا في القرن العشرين، ترجمة: صباح ممدوح، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١، دمشق، ٢٠١٣م.

- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية "السياسي والعسكري والحضاري"، ترجمة: عدنان محمود، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

- يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة: محمد الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.

[٣] المعاجم والقواميس:

- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الرياض، ٢٠٠٠م.

- شمس الدين سامي: قاموس تركي، استانبول، ١٣١٧هـ.

[٤] المراجع الأجنبية:

- Biltekin ozdemir: osmanli devleti dis borclari " 1854 – 1954" , Ankara , 2009.

- Edwin Pears: Life of Abdul Hamid, London , 1917

- Jean Pierre Derriennic: Le Moyen orian-tauxxemes , paris, 1980.

- N. Necla Geyikdagi: foreing investment in the ottoman London , 2011.

- Resat Kasabe: The ottoman empire and the world economy: The Nineteenth century , state university of new York , Albany , 1988.

- Vaness Dorothy: Pioneers in the Arab world, (Michigah , 1974).

تزويق المخطوطات في القرن السابع الهجري

(مدرسة الموصل أنموذجًا)

أ. د. إدهام محمد حنش
جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الأردن

تباينت الرؤى المعرفية للدراسات العربية التراثية والدراسات الاستشراقية الحديثة فيما بينها حول موضوع (التزويق)؛ إذ اعتبرته الدراسات التراثية فنًا من فنون البلاغة اللغوية وأساليبها البديعية ومقاصدها البيانية المتمثلة في تحسين الكلام وتزيينه بواسطة الألفاظ التخييلية والعبارات التصويرية والمشاهد التجريدية التي تدخل فيما اصطلح عليه نقادنا التراثيون: (تزويق الكلام)، بينما اعتبرت الدراسات الحديثة (التزويق) فنًا تصويريًا بصريًا يقوم على الخيال والتخطيط والأشكال والأصباغ والألوان الكائنة في الرسوم التشخيصية والمناظر العيانية التي تدخل فيما يمكن أن نصطلح عليه: (التزويق البصري) بوصفه المادة المعرفية والمنهجية الأساس لما يعرف بـ(فنون الكتاب).

ومن هنا؛ يحاول هذا البحث المتواضع أن يتناول (التزويق البصري) بالدراسة النقدية والتحليل الفني والاستنتاج العلمي لمفهوم هذا المصطلح وفلسفته، ولنشأة هذا الفن وتطوره التشكيلي في المخطوطات بعامة؛ ومخطوطات القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بخاصة؛ ومنها على وجه التمثيل الأخص: تلك المخطوطات المصنوعة في مدينة الموصل (الكائنة في شمال العراق المعاصر) وما حواليها من الجغرافية الحضارية والبيئة الثقافية والمحيط الفني الواحد. ويقوم تأطير هذا البحث وتحديده من النواحي الموضوعية والزمانية والمكانية، على الأسباب الآتية:

- إن (التزويق) مفهوم فني عام وشامل لكل من اللغة والكلام، والعمارة والصناعة، والمصاحف والمخطوطات.
- القرن السابع الهجري هو العصر الذهبي الثاني لنهضة الحضارة العربية الاسلامية، بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي الذي

يعد عصر الذروة الحضارية الإسلامية[1].

- الموصل: مركز تاريخي متقدم من مراكز الحضارة العربية الإسلامية، ومدرسة رائدة ومتميزة من مدارس الفن العربي الإسلامي.

ومن هنا؛ فإن منهج هذا البحث ومساره المعرفي يقومان على (تزويق المخطوطات) بوصفه المادة المعرفية والمنهجية الأساس لما يعرف بـ(فنون الكتاب)، لاسيما وإن من نوافل العمل العلمي الدقيق المطلوبة في هذا البحث المتواضع: التمييز بين مصطلحَي (الكتاب) و(المخطوط) مطلبًا معرفيًا ومنهجيًا ضروريًا -إلى حدٍ ما- في سياق ما يتعلق بعلوم المخطوط النظرية ودراساته التطبيقية التي تقوم على المعاينة الفيزياوية والتحليل الفني والنقد الجمالي لمقومات هذا الكتاب المخطوط المادية ومظاهره البصرية وأحواله العلمية والثقافية، لاسيما وإن ثمة ظهورًا متطورًا ومتواصلًا - يومًا بعد آخر- لصيغ جديدة وأشكال أخرى من صيغ الكتاب وأشكاله المتميزة بكونها ذات طبيعة مادية ورقية مطبوعة أو افتراضية مصورة إلكترونيًا؛ مقروءة بصريًا أو مسموعة صوتيًا، أو غير ذلك من أنواع الكتاب (بعامة) التي تجعل المخطوط (بخاصة) نوعًا مختلفًا عن غيره من هذه الأنواع؛ متميزًا بكونه أصلًا ورقيًا مكتوبًا بخط اليد ومداد القلم فقط.

ولعل مطلوبًا معرفيًا ومنهجيًا آخر في هذا السياق؛ هو التمييز بين مصطلحَي (فنون الكتاب) و(فنون المخطوط)، فالمفهوم الفني الذي غالبًا ما ينصرف إليه المصطلح الأول هو مفهوم عام وشامل لصناعة الكتاب من الكتابة والتأليف إلى النساخة والتجليد، بغض النظر عن كونه مطبوعًا أو مخطوطًا.

أما المفهوم الفني الذي غالبًا ما ينصرف إليه مصطلح (فنون المخطوط)؛ فهو مفهوم خاص يكاد يقتصر على الخط ولواحقه الفنية والوظيفية، فالخط اليدوي هو أصل المخطوط ومصدره الكتابي نصًا وصورة، ونقصد باللواحق الفنية في هذا السياق: كل المظاهر البصرية لفنون التصميم والرسم والزخرفة والتذهيب وغيرها من الفنون المصاحبة لفن الخط في صناعة المخطوط بوصفها العمل الفني الجميل لصورة الكتاب المخطوط في متنه المعرفي وفي هوامشه النصية وفي إبرازاته التأليفية الأخيرة.

وهذا كله هو المقصود النهائي بمصطلح (تزويق المخطوط).

أما هذا البحث المتواضع فهو محاولة تحقيق الشخصية الفنية المبدعة (المزوقة) لمخطوطات القرن السابع الهجري؛ بوصفها علامة حضارية بارزة لنشأة فنون الكتاب وتطورها من حيث المواد والتقنيات والأساليب والأشكال التي تعطينا انطباعًا أوليًا بكونها الشاهد التاريخي الأهم على أن القرن السابع الهجري هو العصر الذهبي لصناعة المخطوط العربي؛ حيث تعود إلى هذا الزمن الذهبي أبرز المخطوطات المزوقة المكتشفة حتى اليوم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تلك المخطوطات المنسوخة والمصورة التي صنعت في مدينة الموصل؛ حيث ستكون هذه المخطوطات الموصلية هي عينة البحث

المثالية وأنموذجه التطبيقي.

ولعل أبرز ما يميز هذا البحث المتواضع عن أغلب الدراسات السابقة حول هذا الموضوع؛ هو شمولية الدراسة العلم جمالية التطبيقية Aesthetics لفنون الكتاب من الخط والرسم والزخرفة والتذهيب وغيرها من الفنون التشكيلية الجميلة في المخطوطات التي حظيت بدراسات سابقة عديدة ورصينة ومتنوعة ومتتالية في الأوساط الغربية الاستشراقية، وفي الأوساط العربية الأكاديمية التي ما تزال تتبنى التاريخ رؤية، والآثار منهجًا، والمخطوط مادةً، والصورة موضوعًا، والرسم فنًا أساسيًا؛ يكاد يكون وحيدًا؛ لفنون الكتاب، دون الاهتمام بفنون الخط والزخرفة والتذهيب التي هي الفنون الأساسية لتزويق المخطوطات العربية الإسلامية.

مفهوم التزويق وفلسفته:

التزويق (مصدر الفعل: زوق) لفظ مشتق من الزاووق؛ وهو الزئبق. ولذلك فهو ليس أصلًا لغويًا لشيء متعين قابل للقياس بعينه؛ بقدر ما هو تعبير عن معاني التزيين والتمويه[٢]، إذ إن الأصل في التزويق: أَن يجعل الـزَّاوُوق: (الزِّئْبَق) مع الذهب فيُطْلَى به الشيء المراد تزيينه ثم يُلْقَى في النار، فيطير الزَّاوُوق ويبقى الذهب في التصاوير المطلية[٣].

وربما أدى هذا المعنى إلى اشتراك ضمني فيما بين كلٍ من (التزويق) و(التصوير) في الاستعمال اللغوي والتداول المعرفي والتأويل الإبداعي في مجالات العمارة والصناعة والفن والأدب والبلاغة والنقد، فكان أول مصطلح تداولته الأدبيات العربية التراثية في هذا السياق هو "تزويق المساجد"، وكان أقدم ما تناولته هذه الأدبيات من أخبار هذا الفن وأعماله هو تزيين الجدران الداخلية لعمارة الكعبة المشرفة بالتصاوير، فقد ذكر الأزرقي (ت: ٢٥٠هـ/٨٦٤م) بأن العرب فيما قبل الاسلام كانوا قد "زوَّقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء والملائكة"[٤]. وقد تطور مفهوم التزويق تطور دلاليًا مجازيًا في توصيف ما يتعلق بتزيين المرأة من الكائنات الحية، وتزيين الكتاب (المخطوط) من الأشياء المادية، وتزيين الكلام من الأشياء المعنوية؛ فصار يقال لكل شيء "مُزَيَّنٍ مُـزَوَّق"؛ مثل: "بيت مزوَّق"، "ودِرْهم مُزَوَّق"، و"كلام مُزَوَّق مُحَسَّن"، "والكتاب إذا حسَّنْته وقوَّمْته. يقال هذا كتاب مُزَوَّرٌ مُزَوَّق وهو المُقَوَّم تقويمًا، وقد زَوَّر فلان كتابه وزوَّقَه إذا قوَّمه تقويمًا"[٥] بواسطة المواد والأصباغ والألوان والأشكال والخطوط والتصاوير؛ إذ "لا يلتذ الإنسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها، ويلتذ بمحاكاتها وتصويرها بالأصباغ والألوان، ولذلك استعمل الناس صناعة الزواقة والتصوير"[٦].

هنا تبرز الأهمية المعرفية والمنهجية لإدراك الفروق اللغوية والمفهومية والفنية والوظيفية بين التزويق والتصوير؛ فالتزاويق (مفردها: تزويقة): مفهوم جمالي محض في الغالب؛ يكون أعمق معنى وأوسع دلالة من لفظ التصاوير (مفردها: تصويرة) الذي له مفهوم فني في الغالب؛ ينضوي تحت المفهوم الجمالي للتزويق

ويدخل فيه، فعلى الرغم من أن التصاوير قد تكون - بعامة- لفظية لغوية ذهنية، وغير لفظية أي تشكيلية بصرية؛ هي- في حقيقتها الخاصة: الرسوم التشخيصية الدقيقة لصور الكائنات (البشرية والحيوانية والنباتية)، والجمادات (الطبيعية والصناعية)، والخيالات الإبداعية القابلة للتصوير والتخطيط والرسم الدقيق الذي صار يطلق عليه في الثقافة الفنية الحديثة والمعاصرة: (المنمنمات Miniatures).

وتقوم العلاقة الداخلية العميقة والمتبادلة بين التزويق والتصوير على أساس الكل والجزء، فالتصوير ركن من أركان التزويق؛ شأنه في ذلك شأن الفنون والتقنيات الأخرى المتعلقة بمختلف مجالات الإبداع الفني وأنواعه التشكيلية، ذلك لأن تزويق الكتب يتضمن كل أعمال الكتابة والنساخة، التخطيط والترسيم، الترقين والتنميق، الترسيم والتصوير، التنقيش والتلوين، التذهيب والتزميك بوصفها جميعًا التقنيات الإبداعية والصناعية لتجميل الكتب وتزيين المخطوطات.

ومما تقدم؛ يبدو التزويق وكأنه المصطلح الفني الأوسع معنى والأوضح دلالة والأدق استعمالًا في أدب أحوال الكتب، والأكثر شيوعًا والأشد تعلقًا بالمعرفة الجمالية لصناعة المخطوطات، وهو - أخيرًا - المصطلح الجامع لكل المفردات التي يحفل بها التراث المخطوط؛ مثل:

أولًا. فنون الكتاب كفن الخط وفن الرسم وفن الزخرفة وفن التذهيب وغيرها.

ثانيًا. الأعمال الفنية المكونة لصورة المخطوط. ونقصد بصورة الكتاب المخطوط: التصاوير أو المنمنمات القائمة على الرسم والتلوين مثلًا، والهياكل الشكلية القائمة على الزخرفة والتذهيب مثلًا، واللوحات أو المدونات النصية القائمة على الخط والتسطير مثلًا، وما شاكل ذلك من التزاويق أو المزوَّقات (جمع: مزوَّقة).

ثالثًا. فنانو المخطوطات وصناعها المتنوعون كالنساخين الخطاطين والرسامين المصورين والنقاشين الملونين والمذهبين المزمكين والمجلدين المسفِّرين وغيرهم من المزوقين (جمع: مزوِّق).

أهمية التزويق ومكانته في المخطوطات:

تتألف بنية المخطوطات من ثلاثة عناصر أساسية هي:

- الوعاء المادي المكون من الأوراق والأصباغ والأصماغ والخيوط والجلود.
- النص المؤلف من الحروف والكلمات والعبارات اللغوية.
- الصورة المتعينة بالمواد والنصوص والخطوط والأشكال والألوان؛ حيث ينعكس مفهوم صورة المخطوط في كلٍ من الأعيان المادية للمخطوط؛ كالجلد والورق والصبغ وغيرها، والمظاهر الصناعية والتقنية التقليدية كالخامة واللون والكتابة والنساخة وغيرها، والأشكال الهندسية كالمربع والمستطيل وغيرهما، والمناظر البصرية النصية وغير النصية، وغير ذلك من آثار التأليف المعرفي للكتاب كالنصوص الإنشائية اللغوية الخالصة، ومن عناصر الإخراج الفني له كالخطوط

والـزخـارف والـرسـومـات والتذهيبات والتلوينات وغير ذلـك مـن الاعتبارات الإبداعية (الذهنية والبصرية) المنشئة لهيئة الكتاب المخطوط التصميمية (الطباعية graphic) الخاصة، وصورته الجرمية العامة.

وبذلك، يمكن القول بأن صورة المخطوط تقوم على فنون التصوير المختلفة كالتصميم والتخطيط والتشكيل والتلوين وغيرها من الفنون والتقنيات والأشكال الفاعلة في جعل صورة المخطوط صورة جمالية بامتياز، يتفوق فيها الفن على اللغة الواقعة في النص، وعلى المادة الورقية المكونة لكراسة المخطوط وملازمه، فالتصوير هو الفن الأساس المشترك بالنسبة لكل من الإبداع الأدبي المتعلق بتأليف الكتب وتصنيفها، والإبـداع الفني المتعلق بصناعة مخطوطاتها الجميلة؛ وهو ما يمكن أن نصطلح عليه في النهاية: (تزويق المخطوطات).

وتبرز أهمية التزويق وأصداؤه الإعتبارية في الكثير من النصوص الأدبية والتاريخية المتعلقة بتقويم النسخ الخطية التي كانت تتداول فيما بين النخب الاجتماعية والثقافية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: يُروى عن الجاحظ أنه لما أرادَ الخروجَ من البصرة إلى زيارة محمد بن عبد الملك الـزيـات وزيـر الخليفة المعتصم العباسي، فكَّر أنْ يهديه كتاب سيبويه، فلما وصل إليه، قال له: "لم أجد شيئًا أهديه لك مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفراء، فقال له ابن الزيات: أو ظننتَ أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال الجاحظ: ما ظننتُ ذلك، ولكنها بخطِّ الفرَّاء، ومُقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ. فقال ابنُ الزيات: هذه أجلّ نُسخةٍ توجدُ وأعزّها، فأحضرَها إليه، فسُرَّ بِها، ووقعت منه أجمل موقع"[٧] يقول أبو بكر الخوارزمي (ت: ٣٨٣هـ/٩٩٣م): "كانت تقع بيدي؛ النسخة الأولى التي هي مائدة منقوشة ليس عليها دَسَم، وكيس مصرَّر ليس فيه درهم. وتقع الثانية خلافَها؛ كالعجوز المنتقبة وكالقفل على الخربة، فإنما هي كسوة عامي غبي أو مقبرة يهودي غني. وتقع في يدي الثالثة؛ وهي: اسم بلا جسم، ودعوى ولا علم، وقد قُرِئت على مُعالم غير عالم؛ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري؛ فراؤها زاء، وميمها حاء، وطاؤها ظاء، والنظر فيها يَعمي، والاستدلال بها يغمي، ومن آفة العلم خيانة الوراقين"[٨] واشتكى الوراق الكبير أبو حيان التوحيدي (ت: ٤١٤هـ/١٠٢٣م) من عدم اهتمام المجتمع بتزويق مخطوطاته: "لقد استولى علي الحَرْف، وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقلي، وتقييد خطي، وتزويق نَسْخي، وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي يمسخ النسخ، ويفسخ الأصل والفرع"[٩].

أما مكانة التزويق في المخطوطات؛ فنتلمسها بكل وضوح في دراسات الفن الإسلامي التاريخية، أكثر مما نتلمسها عند علماء المخطوطات الذين عنوا بفهرسة المخطوطات وتحقيقها أكثر من عنايتهم بأحوالها ومضامينها غير النصية، لاسيما وأن التزويق نشأ لاحقًا على تدوين المخطوطات[١٠]. ومع إن ازدهار التزويق جاء في

سياق التطور الحضاري لصناعة مواد المخطوط وآلاتـه وتقنياته وثقافته الجمالية التي كرسها بعض الفنانين التشكيليين البارزين الذين اشتهروا بتزويق المخطوطات، إلاّ أن بعض هؤلاء العلماء الذين عنوا بمواد المخطوط وصناعته؛ اعتبر التزويق ليس من موضوعات الكوديكولوجيا وتخصصاته الدقيقة؛ بقدر ما هو من اهتمامات مؤرخي الفن وانشغالاتهم العلمية[١١] التي غالبًا ما تؤكد على أن "دراسـة الثقافة العربية في الأدب والشعر، تستوجب التفهم الكامل لمسائل الفنون التشكيلية في ارتباطاتها المعقدة بالبيئة المجتمعية؛ وبخاصة: الرسوم التصويرية أو التصوير الملون الخالص المتمثل في المنمنمات أو التصويرات التي رسمت لتزويق المخطوطات وقامت بدور وسائل الايضاح في مقابل النصوص المكتوبة "[١٢]، لا سيما وأن المخطوطات المزوقة تشغل مساحة واسعة ومتزايدة نسبيًا من دائرة المخطوطات العربية والاسلامية المنتشرة في مكتبات العالم ومتاحفه؛ حيث يمكن تصنيف هذه المخطوطات جميعًا ـ طبقًا لأحوالها الفنية ـ إلى نوعَين رئيسين؛ هما:

- المخطوطات السادة ذات اللون الأسود الواحد الـذي لم تختلط بلونه خطوط أو زخرفة، وهي المخطوطات الساذجة البسيطة السهلة والصافية غير المنقوشة[١٣] في نساختها الخالصة التي قد تكون بخط مؤلفيها أو غيرهم من النساخين والوراقين وغيرهم من الذين يكتفون من إبراز المخطوط وصورته بأساليبهم الخطية الشخصية والعادية الطبيعية التي تعمل على حفظ المضمون في هذا الوعاء الكتابي العادي الذي تقوم به وعليه أغلب المخطوطات.
- المخطوطات المزوقة التي غالبًا ما يكون القصد من صناعتها؛ فوق القصد المعرفي؛ قصدًا جماليًا واجبًا وبيانيًا ضروريًا مطلوبًا للقراءة، أو قصدًا احتفاليًا تكريميًا للكتاب، أو قصدًا رفاهيًا باذخًا للوجاهة والتفاخر. ويتشارك في تزويق المخطوطات فنون الخط والرسم والزخرفة والتذهيب وغيرها من فنون الكتاب التصويرية البصرية. ومن أشهر نماذج المخطوطات المزوقة؛ تلك المخطوطات التي يشترك في انتاجها الطبيعي كل من الخط والرسم؛ فيترافق كل من النص المكتوب والصورة التوضيحية في تأليف الكتاب وفي إبرازته أو نشره العلمي.

ولاحـتـوائـهـا على الـتـصـاويـر؛ غالبًا ما يطلق مصطلح (المخطوطات المزوقة) على النسخ الخطية المصوَّرة، لكن الأصح مفهومًا لهذا المصطلح؛ والأفضل تعريفًا به هو أن المخطوطات المزوقة هي المخطوطات التي تم تزيينها بكل الفنون الجميلة كالخط والرسم والزخرفة والتذهيب وغيرها، أو تم تزيينها بواحد من هذه الفنون على وجه الخصوص والتميز والتغليب الجمالي.

نشأة التزويق وتطوره في المخطوطات:

تبرز أهمية التزويق في كونه المرحلة المتقدمة من مراحل صناعة المخطوط التي تقوم على كلٍ من: تأليف الكتاب مرحلة تأسيسية،

والنساخة مرحلة تكوينية، والتزويق مرحلة تحسينية لصيرورة المخطوط كائنًا معرفيًا كاملًا متكاملًا قائمًا بذاته.

وإذا كان تأليف الكتاب قد ارتبط في نشأته وتطوره بالعوامل الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية الداعمة للعلم والتعليم والتعلم؛ فإن تدوين الكتاب ونساخته ارتبط بوجود مواد الكتابة وآلاتها الأساسية من الأوراق والأحبار والأقلام بالدرجة الأولى.

أما تزويق الكتاب المخطوط فقد ارتبط بتطور الرؤية الحضارية والصناعات الابداعية والتقنيات الإنتاجية والأساليب الفنية لكل ما يتعلق بثقافة الكتاب وصورته من جودة المواد وتطور الأدوات وتقدم الصناعات وروعة الفنون التشكيلية الخاصة بصورة الكتاب المعرفية، وهويته الثقافية، وطبيعته الوظيفية.

ومن هنا؛ يمكن القول بأن بوادر التزويق ومظاهره الأولى ظهرت عند استعمال الورق في تدوين الكتاب ونساخته بسهولة وسلاسة ويسر، أكثر مما كان عليه التدوين في الرقوق والقراطيس.

"ويعتقد بأن أقدم كتاب مخطوط كامل بالعربية نسخ على الورق مؤرخ بعام ٢٣٤هـ/٨٤٨م؛ أكتشف مؤخرًا في مكتبة بلدية الاسكندرية الإقليمية بمصر مصادفة. ويعتقد أن ثاني أقدم كتاب عربي دون على ورق وصلنا هو شذرات من مصنف أبي عبيد القاسم بن سلام المسمى: غريب الحديث، وهو مؤرخ بذي القعدة ٢٥٢هـ/ نوفمبر- ديسمبر ٨٦٧م، وهو محفوظ في جامعة ليدن"[١٤] (الشكل ١).

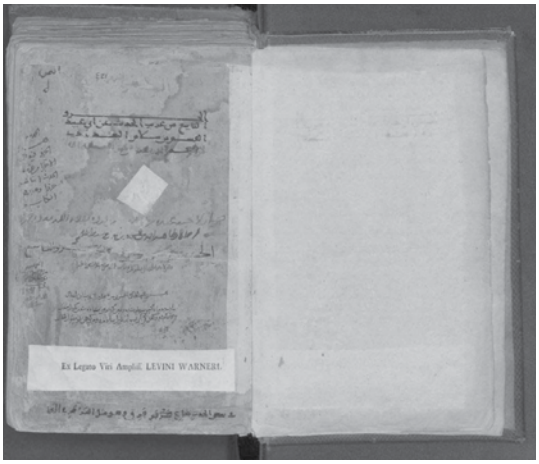

الشكل ١

مخطوطة كتاب (غريب الحديث؛ لأبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي؛ ت: ٢٢٤ هـ/٨٧٧م) المحفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم (Or.٢٩٨)

لقد فتح اختراع الورق أمام صناعة المخطوط كل أبواب الإبداع والتجديد والتطور المتواصل في المواد الأخرى كالأصباغ والأحبار، وفي الوسائل والأدوات كالأقلام والمساطر، وفي الفنون والصناعات كالخط والتصوير والتجليد وغير ذلك من عوامل الإبداع والتجديد والتطوير التي طالت الورق أيضًا، فقد أدى تخير المادة الخام الأكثر ليونة ورقة ومطواعية للصقل والتنعيم والتقهير والترخيم والصباغة وغير ذلك من تقنيات العناية بتحسين الورق وطلائه،

إلى أن يكون تزويق الورق هو القاعدة الأساس لتزويق المخطوطات الذي قام على تحسين الخط وتجويده في أجناس وأنواع وطرائق فنية جميلة تواكب مهام الكُتّاب ووظائفهم الحضارية المختلفة، مثلما قام على تزيين المخطوط بالألوان والزخارف والتصاوير التي غالبًا ما يعدها مؤرخو الفن هي التقاليد الأساسية لظاهرة التزويق في المخطوطات؛ حيث يكادون يتفقون على أن هذه الظاهرة نشأت مع كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (ت:١٤٢هـ/٧٥٩م) من الفارسية إلى العربية في عام (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، فقد كان هذا الكتاب أول المصادر العربية التراثية لمفهوم التزويق وموضوعه المتمثل في رسوم المخطوطات وتصاويرها الحكائية غرضًا توضيحيًا من أغراض التأليف في ثقافة الكتاب وتقاليده العربية، إذ يذكر ابن المقفع أربعة أغراض لتأليف هذا الكتاب منها: " إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان؛ ليكون أنسًا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليها أشدَّ للنزهة في تلك الصور. وينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزويقه؛ بل يشرف على ما يتضمن من الأمثال".

ومع اليقين بأن مخطوطة (كليلة ودمنة) كانت من أول المخطوطات المزوقة؛ إذا لم تكن أولها على الإطلاق في تاريخ الكتاب العربي، لا يشير أي واحدة من مخطوطات هذا الكتاب العربية والفارسية والتركية المكتشفة حتى اليوم في مكتبات العالم ومتاحفه؛ والتي يقدر عددها بما يزيد على ست وأربعين نسخة؛ ستة عشر منها محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية لوحدها[١٥]، إلى أن تزويقها يعود إلى زمن ترجمة الكتاب وصناعة مخطوطته الأولى في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وخمّن بعض الباحثين بأن نسخًا مخطوطة مزوقة من هذا الكتاب تعود إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. لكن الثابت والأكيد في تاريخ تزويق هذه المخطوطات هو القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فأقدم المخطوطات المزوقة المكتشفة لكتاب(كليلة ودمنة) يعود تاريخها إلى عام ٦٢٧هـ/١٢٣٠م؛ وهذه النسخة الخطية المزوقة بأكثر من (٩٨) صورة؛ محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس[١٦].

ولعل ما يميز أغلب هذه المخطوطات هو الصفة الجمالية والفنية القائمة على القص الحكائي بواسطة النص والصورة معًا، فلم يكتف صانعو بعض هذه المخطوطات بالنص مقومًا لبنيتها المعرفية، بل استعانوا بفن الرسم لتصوير أبطالها ووقائعها وعناصرها الأخرى، ولذلك فقد سار تزويق المخطوطات في اتجاهين رئيسين؛ هما:

الأول: تزويق المخطوط بتحسين الخط وتزيينه بالزخرفة والتذهيب والتلوين والتنقيش وما شاكل ذلك من الفنون غير التصويرية؛ حيث تكون العناية بتدوين النص وتبريزه هي الأولوية الأهم لصناعة المخطوط. ولعل من أوضح الأمثلة وأبرزها على هذا الاتجاه هو النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الملكية في كوبنهاكن[١٧]؛ وهي النسخة التي "كتبها وذهّبها ورقّم حواشيها ونظّم لآليها العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن أيبك بصفد المحروسة في شهور سنة عشرين وسبع مائة للهجرة النبوية الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين

الطاهرين وسلم" (الشكل ٢).

الشكل ٢

مخطوطة كتابات المقامات بخط وزخرفة وتذهيب خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نسخة كوبنهاكن، المكتبة الملكية بالدنمارك، رقم Arab ٨٣

- تزويق المخطوط بالصورة التشخيصية المرسومة بالخط والشكل والحركة واللون، لتكون وسيلة إيضاح وبيان وتعبير أوفى من النص عن مضمون الكتاب، وفي تحقيق خطاب المخطوط. ولعل من أهم الأمثلة وأبرزها على هذا الاتجاه هو النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية (المخطوطات العربية، تحت رقم: ٥٨٤٧) التي فرغ يحيى ابن محمود الواسطي من تصوير هذه المقامات فيما يزيد على مائة وخمسين لوحة رسم فنية: منمنمة (مقاس: ٣٧×٢٨سم) في رمضان من عام ٦٣٤هـ/١٢٣٧م (الشكل ٣).

الشكل ٣

مخطوطة كتاب المقامات بخط وتصوير يحيى بن محمود الواسطي، ١٥٠ لوحة، مقاس مقاس: ٣٧×٢٨سم

المكتبة الوطنية الفرنسية (المخطوطات العربية، تحت رقم: ٥٨٤٧)

وقد ذهب الأستاذ يوسف ذنون الموصلي"[١٨] إلى أن هذه المخطوطة المزوقة لمقامات الحريري هي عمل فني موصلي خالص من حيث الأسلوب المدرسي المتماثل مع أعمال خطية ومخطوطية موصلية أخرى، ومن حيث العناصر المعمارية والزخرفية الكائنة في لوحات هذه المخطوطة، ومن حيث التماثل العمراني لبيئة هذه اللوحات الاجتماعية مع بيئة الموصل الحضرية والريفية أكثر من تماثلها مع البيئة البغدادية أو الواسطية الجنوبية من العراق، ومن الأصل الموصلي لناسخ هذه المخطوطة ومزوقها الفنان الكبير والأشهر: يحيى بن محمود بن كوريها الواسطي؛

لقبًا منسوبًا إلى قرية من قرى الموصل اسمها واسط"[١٩]، وليس إلى مدينة واسط (المحافظة الواقعة في وسط العراق المعاصر) التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٧٨هـ/٦٩٧م) وأتمها في سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) لتكون مقرًا جديدًا لجنوده.

ومما يبدو في هذا السياق؛ أن الواسطي لم يكن المزوق الوحيد الذي اشتغل على مقامات الحريري، فهناك خطاط ورسام موصلي من أهل القرن السابع الهجري؛ هو: عمر بن علي بن المبارك الموصلي الذي كان قد قام عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بنسخ مقامات الحريري وتصويرها في إحدى وثلاثين صورة تؤلف مخطوطة يحتفظ بها المتحف البريطاني تحت رقم Or١٢٠٠"[٢٠].

مخطوطات الموصل المزوقة:

عرفت الموصل بعراقتها التاريخية المتجذرة في عمق الحضارات والثقافات والديانات والأعراق والدويلات والأزمات والتحولات والتغيرات منذ القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد حتى القرن الواحد والعشرين بعد الميلاد.

ولكن القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي كان عصرًا ذهبيًا بالنسبة لمدينة الموصل في مختلف المجالات الحضارية بعامة؛ والعلوم والآداب والفنون والصناعات بخاصة؛ وتميزت بكثرة أعلامها ومدارسها ومكتباتها التي كانت تزخر بآلاف الكتب والمخطوطات.

وقد ازدهرت صناعة المخطوطات الموصلية منذ القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي؛ فأقدم مخطوط ورقي موصلي وصل إلينا هو مخطوط كتاب (الغاذي والمغتذي) الذي يعد من أقدم المخطوطات الطبية العربية، ألفه الطبيب الموصلي ابن أبي الأشعث (أحمد بن محمد، ت: ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)؛ وهو مكتوب بالخط المنسوب؛ ومؤرخ بالعام ٣٤٨هـ/٩٦٠م؛ ومحفوظ في المكتبة البريطانية بالرقم (Or ٢٦٠٠) (الشكل ٤).

الشكل ٤

ورقات من مخطوط الغاذي والمغتذي، ١١٤ ورقة، مقاس: ١٧×٣٤ ، المكتبة البريطانية: Or٢٦٠٠

حيث ساعدت عوامل عديدة على ذلك؛ منها: الإرث الحضاري والثقافي والعلمي والفني للكتابة والكتاب؛ فالموصل وريثة أول مكتبة في التاريخ، وهي ملتقى الثقافات واللغات والمعارف الشرقية والغربية، وفيها تأسست أولى المدارس والمكتبات، ونبغت فيها أرقى الصناعات الإبداعية كالنحاس والنسيج، وأروع الفنون المعمارية والموسيقية والتشكيلية؛ ومنها: فنون الكتاب التي كانت - ولا تزال – تحظى باهتمام علماء المخطوطات ومؤرخي الفن الذين يكادون يتفقون على أن أعمال المخطوطات وأساليبها المنجزة في الموصل كانت مدرسة فنية خاصة ومتميزة من مدارس الفن العربي الإسلامي[٢١].

لقد كانت هذه المدارس الفنية عبارة عن أساليب عدة متعاصرة ومتعاقبة ومشتركة من حيث توصيف أشكال هذا الفن وأعماله، وتمييز تقنياته وأساليبه، وتعيين حركاته ومقاصده الجمالية في سياق الحضارة العربية الاسلامية وحركتها العمرانية التي تقوم معرفيًا على الإسلام وثقافته العربية، ومنهجيًا على الخيال والإبداع الإنساني. ولكن مدرسة الموصل لتزويق المخطوطات لم تكن بمعزل عن الثقافة الخطية المزدهرة، والصناعة الإبداعية المتطورة، والأسلوب الفني المتقدم لمدرسة بغداد العباسية في تصوير المخطوطات.

وغالبًا ما يقصد المؤرخون بمصطلح التصوير هنا ما يصطلح عليه: الرسم Painting في الوقت الحاضر. وهو الفن الذي اعتبره مؤرخو الفن الاسلامي أصل التزويق ومصدره الفني في المخطوطات العراقية التي جمعت كلًا من بغداد وما جاورها كالكوفة وواسط، والموصل وما جاورها كالجزيرة الفراتية وديار بكر، في مدرسة فنية واحدة هي (المدرسة العراقية) التي ظهرت لأول مرة على نحو متميز في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[٢٢].

ولكن هذا لم يمنع من أن تتميز مدرسة الموصل الفنية بإنتاجها الخاص والمتميز والرائد من المخطوطات المزوقة المصورة، وبأعلام المزوقين الذين "عنوا بتجليد الكتب وزخرفة أغلفتها بنقوش نافرة بأصباغ متنوعة. كما كانوا يزينون أغلفة الكتب بتطعيمها بالذهب والفضة؛ ومن ذلك ما ذكروا: إنه كان في بيت قاضي الموصل سنة ٦٦٠هـ (/١٢٦١م) مصحف شريف بخط سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان جلده مطعمًا (مطبقًا) بالذهب، ومزوقًا تزويقًا جميلًا غاية في الدقة والعناية"[٢٣].

وقد "تكونت في نهاية القرن السادس الهجري أول وأقدم مدرسة للتصوير الإسلامي في العراق وتخصصت في تزيين ترجمات لمؤلفات يونانية في علم الطب والطبيعة والنبات والحيوان وكان مركزها غالبًا مدينة الموصل ثم تكونت بعد ذلك في القرن السابع الهجري مدرسة تصوير أخرى في بغداد ثم تكونت مدارس أخرى في ديار بكر وماردين"[٢٤]، وغيرها من المدن القريبة من الموصل والمجاورة لها والمتأثرة بها علميًا وثقافيًا وفنيًا؛ إذ تؤكد "كثرة المخطوطات المصورة التي نسخت وزوقت في الموصل، أو التي تنسب إلى الموصل والمناطق المجاورة لها والتي تحمل الأسماء والألقاب الموصلية.

وتؤكد الخصائص الفنية المتميزة لهذه الصور

وجود مدرسة خاصة في مدينة الموصل والأقاليم المجاورة لها وامتد تأثيرها حتى شمال سوريا "[٢٥]. ونعرض هنا؛ على سبيل المثال لا الحصر؛ لبعض أشهر المخطوطات الموصلية المزوقة المصورة المنجزة في الموصل في القرن السابع الهجري:

• (كليلة ودمنة):

هو أول كتاب عربي مزوق بالخيالات القصصية والتصاوير الحكائية، ولكن مؤرخي الفن الاسلامي يكادون يتفقون على أن أغلب نسخ المجموعة الخطية لكتاب (كليلة ودمنة) التي وصلت إلينا؛ كانت صنعت في القرن السابع الهجري. لعل منها: أقدم مخطوطة لهذا الكتاب وصلتنا هي تلك النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت الرقم (عرب ٣٤٦٥) (الشكل ٥).

الشكل ٥
كليلة (الأسد) ودمنة (بنت آوى) . الورقة ٤٩.
القياس: ١٢٥× ١٩١ملمتر.
مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية رقم
(عرب ٣٤٦٥)

ويقدر الدارسون تاريخ كتابة هذه المخطوطة بالفترة الممتدة فيما بين العامين (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) و(٦١٦هـ/١٢٢٠م). ويقدرون مكان كتابتها بالموصل وما حواليها. ولعل السبب الرئيس في هذين التقديرين هو التحليل الحضاري لتصاوير هذه المخطوطة من النواحي العمرانية والثقافية والفنية التي تعود بها إلى مدرسة بغداد التي عرفت بمخطوطاتها المصورة، والتحليل الأسلوبي لرسوم هذه المخطوطات التي غالبًا ما تبدو موصولة بالبيئة العراقية والأسلوب البغدادي، وأن قسمًا منها تغلب عليه صفة الانتساب إلى أسلوب الموصل في شمال العراق[٢٦].

• (كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، ت: ٣٥٦هـ/٩٦٧م):

ربما تعود علاقة هذا الكتاب بالموصل إلى أكثر من رابطة؛ منها: أن الأصفهاني سمى كتابه بهذا الاسم لأنه بنى مادته في البداية على مائة أغنية كانت من اختيار المغني الشهير: إبراهيم الموصلي (ت: ١٨٨هـ/٨٠٤م)، وضم إليها أغاني أخرى. ومنها ما ينقله غير واحد من المؤرخين من أن ابن عرس الموصلي قال: "كتب إلي أبو تغلب ابن ناصر الدولة (مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل؛ ت: ٣٥٩هـ/٩٦٩م) يأمرني بابتياع كتاب الأغاني، فابتعته له بعشرة آلاف درهم، فلما حملته إليه ووقف عليه قال: لقد ظلم وراقه المسكين، وإنه ليساوي عشرة آلاف دينار، ولو فقد ما قدرت عليه الملوك إلا بالرغائب، وأمر أن يكتب له به نسخة أخرى. وبيعت مسودات الأغاني وأكثرها في ظهور بخط التعليق، فاشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص بأربعة آلاف درهم. وأهدى

أبو الفرج به نسخة لسيف الدولة ابن حمدان (المؤسس في حلب، ت: ٤٠٩هـ/ ٩٦٧م) فأعطاه ألف دينار"[٢٧].

وآخر هذه الصلات الموصلية بكتاب الأغاني هي نساخته فيها، فقد اشتهرت المخطوطة التي صنعها أحد أبرز خطاطي الموصل ووراقيها في القرن السابع الهجري: محمد بن أبي طالب البدري الذي اشتهر بجودة خطه وحسن تذهيبه وروعة تزويقه لمخطوطة كتاب (الجامع الصحيح أو صحيح البخاري) الذي وصلنا الجزء العاشر منه (١٠٨ ورقة، ٢٠x١٨٠مم، ١٣سطرًا، نسخة نظيفة جدًا وخالية من العيوب). على وجه الورقة الثالثة لوحة فنية رائعة (١١٠x١١٠مم) شغلت بالألوان والذهب. يتألف القسم العلوي منها من تخطيط عنوان الكتاب ورقم الجزء، بخط كوفي بالغ الدقة والتنميق، ثم يأتي اسم مصنف الكتاب مخطوط بالذهب أيضا ومحدد بالأسود، على أرضية القسم الآخر من تلك اللوحة الجميلة التزيين (الشكل ٦).

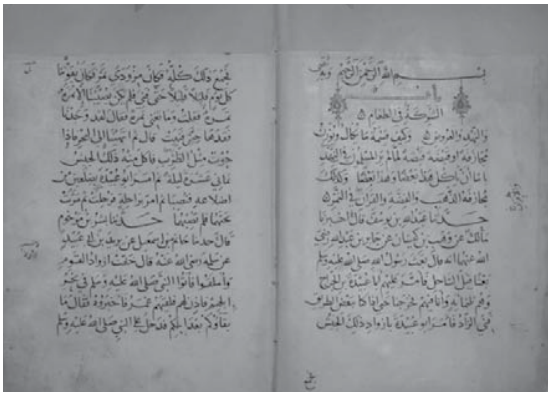

الشكل ٦

مخطوطة صحيح البخاري بخط وزخرفة وتذهيب محمد بن أبي طالب البدري

يقول إيتنغهاوزن[٢٨]: " وضع أصل كتاب الأغاني في أجزاء عديدة؛ لم يُعثر إلا على واحد وعشرين جزءًا منها. وقد قام أحد الناسخين لكتاب الأغاني، ويدعى: محمد بن أبي طالب البدري بتزويق نسخة من هذا الكتاب بالصور، ولكن لم يعثر إلا على ستة أجزاء من هذه النسخة المصورة ".

وسبب شهرة مخطوطة كتاب الأغاني هذه التي أنجزها البدري فيما بين عامي (٦١٤هـ/١٢١٧م) و(٦١٦هـ/١٢١٩م)[٢٩] هو التزويق الفائق والرائع والجميل خطًا ورسمًا وتذهيبًا. وقد استقطبت جمالية هذه المخطوطة اهتمام مؤرخي الفن الإسلامي ونقاده المستشرقين وغير المستشرقين؛ اهتمامًا فلسفيًا كبيرًا منذ اكتشافها الفني على يد بشر فارس الذي خصص لها كتابه النقدي الموجز البليغ:[٣٠] (الشكل ٧).

الشكل ٧

مخطوطة كتاب الأغاني، تزويق: محمد بن أبي طالب البدري

دار الكتب الكتب المصرية، آداب رقم ٥٧٩ . مكتبة فيض الله أفندي إستانبول، رقم ١٥٦٦

وتحتفظ دار الكتب المصرية بأربعة أجزاء في أربعة مجلدات من هذه النسخة الخطية البدرية. وهي:

(١) الجزء الثاني، أوله في الصفحة الأولى ذكر عديّ بن زيد، وينتهي هذا الجزء بأخبار بشار بن برد الشاعر ونسبه. ويقع هذا الجزء في ١٧٣ صفحة. ويبلغ طول الصفحة منه ٣٢ سنتيمترًا، وعرضها ٢٣ سنتيمترًا، وطول ما كتب منها ٢٤ سنتيمترًا بعرض ١٦سنتيمترًا، وفي كل صفحة ١٥ سطرًا.

التزويق: رسم بوجه الصفحة الأولى صورة ملوّنة بالأحمر والأخضر والأسود واللازوردي، وفيها بعض التذهيب. هذه الصورة تمثل مجلسًا من مجالس الرقص والغناء؛ وقد ضم عددًا من الجواري والقيان. وفي هامش ظهر هذه الصفحة طبع خاتم لم يظهر منه إلا (أبو الحسن علي الشريف) وبدائرته (لا إله إلا الله وحده صدق وعده). أما خط هذا الجزء فهو خط النسخ المعتاد

(المعهود). وهو خط واضح متقن، وأوله محلى بالذهب وتراجمه كذلك، وقد ضبطت ألفاظه بالحركات.

(٢) الجزء الرابع، وأوله أخبار طويس ونسبه، وينتهي إلى آخر نسب إبراهيم الموصلي وأخباره. وأوصافه من جهة الخط والمقياس تنطبق على أوصاف المجلد السابق لأنه مخطوط بخط الناسخ المتقدّم، ويقع في ٢٠٥ صفحة، وبه خروم في الوسط.

التزويق: رسم بوجه الصحيفة الأولى منه صورة بالألوان كالسابقة إلا أنها تخالفها في الوضع. وهي تمثل أميرًا وحوله الغواني والقيان وفي أيديهنّ العود والدف والقيثارة.

(٣) الجزء الحادي عشر، وأوله خبر أساقفة نجران مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وينتهي إلى أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضًا، وأوصافه كأوصاف سابقيه ويقع في ٢٠٨ صفحة.

(٤) الجزء الثالث عشر وهو مخروم من الأول والأثناء والآخر، وأول ما فيه من أثناء أخبار عبد الله بن الزبير، وينتهي إلى أثناء أخبار عمرو بن بانة. وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضا، وأوصافه كأوصاف الأجزاء السابقة. والموجود منه ١٧٢ صفحة[٣١].

● كتاب خواص العقاقير لديسقوريدس (Dioscorides):

من بواكير الكتب اليونانية التي ترجمت إلى العربية. ويعتقد البعض بأن هناك أكثر من ترجمة عربية لهذا الكتاب الذي تداوله العديد من المخطوطات العربية بعناوين متقاربة نوعًا ما؛ مثل: (الحشائش) أو (هيولي الطب) أو (الأدوية المفردة). ولكن تبقى الترجمة البغدادية التي قام بها اصطفان بن بسيل في عهد الخليفة المتوكل العباسي (ت: ٢٤٦هـ/٨٦١م)، وتصفَّحها حنين بن إسحاق (ت: ٢٩٨هـ/٩١٠م) فصحَّحها وأجازها[٣٢] هي الترجمة الأشهر التي تداولتها المخطوطات العربية الاولى بالأسلوب الذي كان سائدًا في المخطوطات البيزنطية من تصاوير الأعشاب الطبية والأشخاص الآدمية. وظهرت هذه التصاوير التوضيحية لأول مرة في نسخة عربية مخطوطة من هذا الكتاب؛ مؤرخة بعام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، ومعتمدة على نسخة عربية سابقة مؤرخة بعام ٣٨٠هـ/٩٩٠م. وهذه النسخة محفوظة ضمن مقتنيات مكتبة جامعة ليدن بهولندا. وهناك نسخ خطية محفوظة في بعض مكتبات العالم ومتاحفه؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: دار الكتب المصرية، والمكتبة الوطنية بمدريد، ومكتبة خدا بخش بتنه بالهند، ومتحف فرير جاليري للفنون بواشنطن، ومتحف المتروبوليتان للفن بنيويورك، ومتحف اللوفر.

ولكن ما يعنينا هنا هو المخطوطات الموصلية من هذا الكتاب، ولعل أبرزها:

◄ المخطوط المحفوظ في إستانبول (أيا صوفيا: تحت رقم ٣٧٠٢، و٣٧٠٣، و٣٧٠٤ في ٣٧٢ ورقة)، وكان قد "أنهاه نسخًا عبد الله ابن الفضل بن سبط الأعز حامدًا لله ومصليًا على رسوله وذلك في شهر رجب المبارك من سنة إحدى وعشرين وستمائة، وحسبنا الله" (٦٢١هـ/١٢٢٤م).

وقد صنف بعض الباحثين هذا الناسخ بأنه من أبرز مصوري مدرسة بغداد، إذ تبدو هذه النسخة الخطية ذات أسلوب عربي أكثر نضجًا وتطورًا وتزويقًا من غيرها من مخطوطات هذا الكتاب الأخرى، لاسيما وإنها تشتمل على كم هائل من أشكال النباتات وصورها البرية التي تجعل هذه المخطوطة " فريدة من نوعها بين المخطوطات العلمية. وسبب ذلك يعود إلى جمالها الزخرفي، وإلى دقة ملاحظة الفنان، وإلى الصفة الواقعية لرسومها. فهذه الأمور تجعل موطنها موضوعًا له أهميته الخاصة "[٣٣].

◄ النسخة الخطية المزوقة المحفوظة في إستانبول (متحف طوبقبو سراي: السلطان أحمد الثالث رقم ٢١٢٧) التي كان بهنام بن موسى بن يوسف الموصلي قد نسخها وزوقها فيما بين العامين (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) و (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) (الشكل ٨)، وقدمها إلى شمس الدين أبو الفضائل محمد ناصر الدين أتابك الموصل (فيما بين (٦١٦هـ/١٢١٩م) و(٦٣١هـ/١٢٣٣م)[٣٤]..

الشكل ٨

مخطوطة خواص العقاقير، الناسخ: بهنام الموصلي، المقياس: ١٩٢× ١٤٠ ملمتر

متحف طوبقبو سراي: السلطان أحمد الثالث رقم ٢١٢٧

• كتاب الترياق لجالينوس:

مؤلف هذا الكتاب مجهول، وبصورة أدقّ، يقدم الكتاب بوصفه ترجمة لتعليق على كتاب جالينوس كتبه يحيى النحوي في القرن السادس في الإسكندرية: كتاب في المعجونات. وهناك العديد من المخطوطات المزوقة لهذا الكتاب؛ منها نسخة مصورة من الجزء الثاني من الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت الرقم ١٣٨٠ في مكتبة بودليان في جامعة أكسفورد.

◄ ولعل أشهر النسخ الخطية لهذا الكتاب؛ تلك المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت الرقم (عرب ٢٩٦٤). وهذه النسخة مؤرخة بعام ٥٩٥هـ/١١٩٩م. أما ناسخها فهو محمد ابن أبي الفتح عبد الواحد ابن أبي الحسن ابن أبي العباس أحمد.

وهذا الخطاط هو أيضًا مصور هذه المخطوطة التي تتألف من ثلاث عشرة صفحة مصورة لأشكال النباتات، أو راسم المنمنمات فيها لما بين الكتابة والصورة من ترابط فني لما كان سائدًا في شمال العراق؛ وتحديدًا في الموصل في القرن السابع الهجري من تزويق المخطوطات وأساليبه التي اعتبرها إيتنغهاوزن[٣٥] تعبيرًا عن الواقعية في رسم الأشخاص والحيوانات والنباتات؛ حيث تعكس بعض صور هذه المخطوطة مظاهر الحياة الاجتماعية الريفية في منطقة الموصل بما يتضمنه من الأساليب المتبعة في الزراعة والحراثة والبذار والحصاد وأزياء الفلاحين. ولكن ما هو أجمل من الرسم والتصوير هو الخط الذي لا يعكس جمالية المخطوط فحسب، ولكنه يعكس التطور الفني الكبير الذي بلغه الخط الكوفي تحديدًا في هذا القرن (الشكل٩).

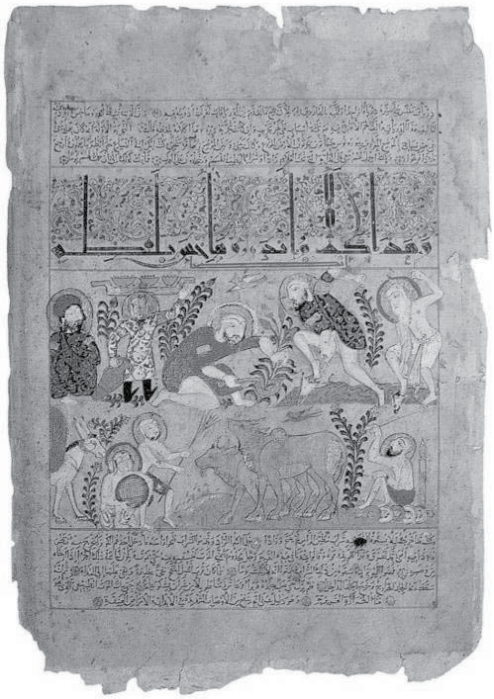

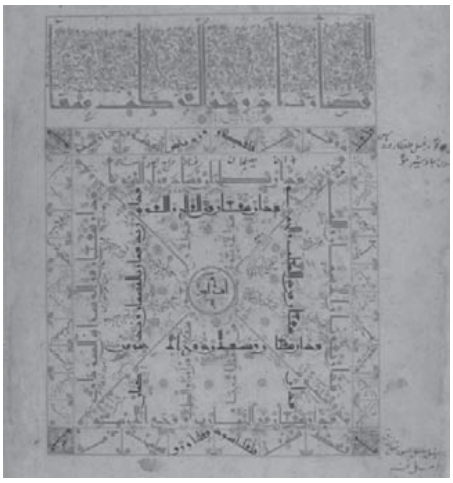

الشكل ٩

صفحات من مخطوطة كتاب الترياق، الموصل ٥٩٥هـ/١١٩٩م، المقياس: ١٦٥× ٢١٠ ملمتر
المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم ٢٩٦٤

◄ وثمة نسخة خطية موصلية أخرى محفوظة في المكتبة الملكية بفيينا تحت الرقم (١: ف: ١٠). " ومن سوء الحظ؛ أن هذه النسخة الثانية من كتاب الترياق غير مؤرخة. ويمكن الافتراض بأنها تعود إلى منتصف القرن الثالث عشر (الميلادي/ السابع الهجري). والمعتقد بصفة عامة: أنها كانت قد أنجزت في الموصل أيضًا "[٣٦].

● الكتاب الجامع بين العلم والعمل النافع؛ لابن الرزاز الجزري (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م):

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه رائدًا في أفكاره الهندسية الميكانيكية, وفي رسومه الخيالية العجيبة لأشكال الساعات المائية التي تجعل من مخطوطته المزوقة تحفة فنية نادرة في تجلياتها العلمية والفنية التي ارتبطت بمدرسة الموصل لتزويق المخطوطات، وفضائها الثقافي الممتد إلى ما حولها من المدن والأقاليم؛ ومنها: ديار بكر (آمد) التي قام أحد حكامها الأراتقة عام ٥٧٧ هـ/١١٨١م؛ بتكليف العلامة اسماعيل بن الرزاز الجزري (ت: ٦٠٢هـ/١٢٠٦م) أن يكتب مقالًا عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية، فأتم الجزري كتابه سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٦م، وأطلق عليه اسم (الكتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل).

لم تصل إلينا مخطوطة المؤلف، ولكن وصلت نسخ عنها متأخرة عن تاريخ تأليفها، وتتشابه صور جميع النسخ مما يدل على أنها جميعها منقولة عن الأصل. منها على سبيل المثال لا الحصر: نسخة خطية مزوقة يعود تاريخها إلى عام ٧١٤هـ/١٣١٥م، يحتفظ متحف المتروبوليتان للفن. وأخرى مماثلة لها؛ مؤرخة بعام ٦٣٥هـ/١٢٥٤م، يحتفظ بها متحف طوبقبو سراي: أحمد الثالث ٣٤٧٢.

تتميز صور هذه المخطوطة بالألوان القوية البراقة وبظهور الألوان: الأزرق والأحمر والبنفسجي الداكن والأصفر والأسود فضلًا عن المبالغة في استخدام الذهبي والفضي مما يدل على أنها نفذت بأمر ملكي٣٧ [٣٧]. ومن هنا؛ نلحظ فيها سمات مدرسة الموصل رغم وجود بعض التأثيرات الغريبة تلك التأثيرات التي تعد هي الأخرى من خصائص هذه المدرسة(الشكل١٠)[٣٨].

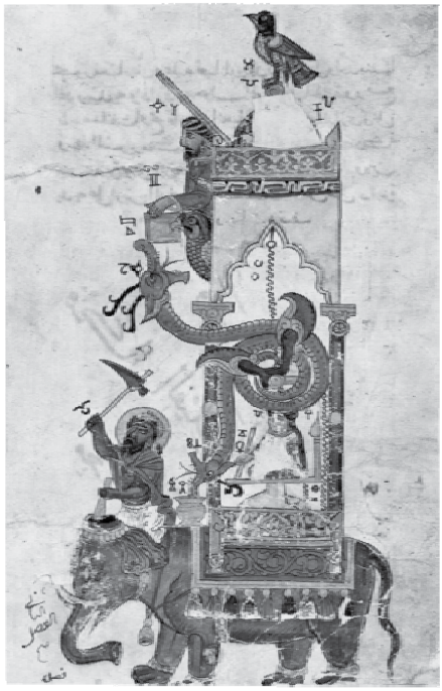

الشكل ١٠

لوحات من مخطوطة الكتاب الجامع للجزري، دياربكر، ٧١٥هـ/١٣١٥م، قياس: ٣١٠×٢١٩ ملمتر
متحف المتروبوليتان للفن، رقم ٥٧-٥١-٢٣

الخاتمة:

ارتبط مفهوم التزويق ومصطلحه الفني بالمخطوطات العربية أكثر من ارتباطه بأي شيء أو مجال آخر، حتى كاد التزويق أن يصبح المصطلح المكافيء لما يعرف اليوم اصطلاحا بالفن بعامة، وفن الكتاب بخاصة، لاسيما وأن التزويق هو المرحلة التحسينية المتقدمة لصيرورة المخطوط كائنًا معرفيًا كاملًا متكاملًا قائمًا بذاته؛ قابلًا للدراسة والتحليل والتقويم النقدي.

وقد حاولنا ذلك في هذا البحث المتواضع الوقوف على ظاهرة التزويق في المخطوطات العربية بعامة، وفي المخطوطات الموصلية المصنوعة في القرن السابع الهجري بخاصة، فتوصلنا إلى النتائج البارزة الآتية:

- أن التزويق كظاهرة وظيفية (التأليف) وجمالية نشأت وتطورت في البيئة الحضارية والثقافية العراقية (بغداد) بشكل عام، والموصل بشكل خاص. ولعل أبرز العوامل المساعدة على ذلك هي: الورق والحبر والخط المحقق المنسوب الوراقي الذي نشأ في بغداد، وارتحل إلى الموصل مع أعلامه الرواد مثل ابن مقلة وأخيه وغيرهما، فضلًا عن التنوع الحضاري والثقافي واللغوي لمدينة الموصل التاريخية

التي تميزت بأسلوبها الفني المدرسي الخاص لتزويق المخطوطات، وفضلًا عن ظهور أعلام الخطاطين المواصلة مثل: ياقوت النوري (ت: ٦١٨هـ/١٢٢١م) المعروف بالملكي نسبة إلى الملك نور الدين الأول أتابك الموصل (ت: ٦٠٧هـ/١٢١٠م).

- القرن السابع الهجري هو العصر الذهبي لتزويق المخطوطات، فقد ورث هذا القرن العناية الفائقة بالمخطوطات من القرون الثلاثة السابقة، وأفضى إلى ما بعده من القرون أروع صور هذه العناية وفنونها الجميلة التي أنتجت أكبر المخطوطات الخزائنية حجمًا، وأجملها خطًا، وأكثرها تذهيبًا على يد كبار الخطاطين وأعلام المزوقين.

الحواشي

(١) الحضارة الإسلامية، ١: ٧

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٣: ٣٧

(٣) المعجم الوسيط، ٣٨٧

(٤) أخبار مكة، ١: ١٩٧

(٥) لسان العرب، ١٠: ١٥٠

(٦) تلخيص كتاب الشعر، ٧١

(٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ٢: ٣٤٦

(٨) رسائل أبي بكر الخوارزمي، ١٥٠

(٩) معجم الأدباء، ٥: ٣٨٤

(١٠) المخطوط العربي، ١٨٥

(١١) مدخل إلى علم المخطوط، ١٩٩

(١٢) تراث الرسم البغدادي، ٧

(١٣) المعجم الوسيط، ١: ٤٢٢

(١٤) قصة الورق، ١٣٦

(١٥) علم المخطوطات الجمالي، ١٦٨

(١٦) فن التصوير عند العرب، ٦١

(١٧) مقامات الحريري، ٢٦١

(١٨) الواسطي موصليًا، ٣٣

(١٩) معجم البلدان، ٥: ٣٥٣

(٢٠) التصوير الاسلامي في العصور الوسطى، ١٥٥

(٢١) الفنون الإسلامية، ٤٥

(٢٢) مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي، ١١

(٢٣) أعلام الصناع المواصلة، ٢٠٥

(٢٤) فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ١٣١

(٢٥) مدرسة الموصل في التصوير، ص ٢٣٦

(٢٦) تراث الرسم البغدادي، ١٦

(٢٧) الوافي بالوفيات، ١٧: ١٣

(٢٨) التصوير عند العرب، ٢٠٤

(٢٩) المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي، ١٣

(٣٠) الفن القدسي في التصوير الإسلامي الأول، القاهرة، ١٩٥٥، ٢٨ ص، صور ولوحات

(٣١) الأغاني، ٢: ٣٢٦

(٣٢) تفسير كتاب ديسقوريدس، ١٠٥

(٣٣) التصوير عند العرب، ٩٠

(٣٤) التصوير عند العرب، ٢٠٤

(٣٥) التصوير عند العرب، ٨٣

(٣٦) التصوير عند العرب، ٩٢

(٣٧) المخطوطات العراقية المرسومة، ٦٣

(٣٨) التصوير عند العرب، ٩٦

المصـــادر والمراجع

- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثـار، أبـو الوليد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت: دار الأندلس للنشر، ٢٠٠٥.
- أعلام الصناع المواصلة، سعيد الديوجي، الموصل: مطبعة الجمهور، ١٩٧٠.
- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥ هـ.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٦.
- تراث الرسم البغدادي، محمد مكية، بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٢.
- التصوير الاسلامي في العصور الوسطى، حسن الباشا، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩.
- تفسير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار، مصطفى الشهابي، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، مايو ١٩٥٧م.
- تلخيص كتاب الشعر، تحقيق: تشارلز بترورث وأحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسـلام، آدم متز، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٤٧.
- رسائل أبي بكر الخوارزمي، تقديم: نسيب وهيبة الخازن، بيروت: دار ومكتبة الحياة، ١٩٧٠.
- فن التصوير عند العرب، ريتشارد اتنغهاوزن، ترجمة: عيسى الخطاط وسليم التكريتي، بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٤.
- الفنون الإسلامية، ديماند، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٣.
- فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، نعمت إسماعيل علام، القاهرة: دار المعارف، ط٦/٢٠٠٦.
- قصة الورق، جوناثان بلوم، ترجمة: أحمد العدوي، الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع، ٢٠٢١.
- علم المخطوطات الجمالي، إدهام محمد حنش، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠١٧.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر، ط٣/١٤١٤هـ.
- المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي، خالد الجادر، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٢.
- المخطوط العربي، عبد الستار الحلوجي، القاهرة: الدار المصرية، ٢٠٠٢.
- مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومير، ترجمة: مصطفى الطوبي، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٦.
- مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي، زكي محمد حسن، بغداد: مجلة سومر، المجلد ١١، العدد الأول، ١٩٥٥.
- مدرسة الموصل في التصوير، عادل نجم عبو، فصل في: موسوعة الموصل الحضارية (مج٣)، جامعة الموصل، ١٩٩٢.
- مقامات الحريري، آدم جاسك، ترجمة: بلال محمد الخليلي، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٥٨، ج ٢، نوفمبر ٢٠١٤.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.
- معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٧٧.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٩.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤.
- الواسطي موصليًا، يوسف ذنون، الموصل: مركز دراسات الموصل، ١٩٩٨.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أبو عبد الله الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠.

النظام الحربي في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٥٠ - ٨٣٦م)

دراسة تاريخية

د. محمد حسن محمد امام الباشا
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
الجامعة الإسلامية بمينيسوتا
فرع الهند

لم يعتد العرب في حروبهم في شبه الجزيرة العربية على الجيوش المنظمة، كما هو سائد في الأمم الأخرى مثل الفرس والرومان، وكان الجيش الإسلامي في صدر الإسلام يعتمد على العنصر العربي بشكل رئيس، ولما جاء العصر الأموي اعتمد أيضًا على العنصر العربي، ولكن منذ أواسط العصر الأموي ضعفت الدوافع المحركة للأمة المقاتلة، وضعف تماسكها، وثارت العصبية القبلية، مما أدى إلى انفراط عقد الأمة المقاتلة.

وقد تنبه العباسيون منذ بدء دعوتهم لهذه المساوئ، وتنبهوا إلى ضرورة وجود الترابط بين المقاتلين، وسارعوا إلى تسجيل الجنود في ديوان حسب قراهم ومدنهم، لا حسب قبائلهم وعشائرهم، فأصبح جيشًا نظاميًا يعتمد على الانتماء للدعوة لا للقبلية.

وتبدو أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على إحدى الجوانب الحضارية المهمة عند المسلمين في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٥٠ - ٨٣٦م)، والذي يعد أكثر العصور ازدهارًا وحضارة في تاريخنا الإسلامي المجيد.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز الدور العباسي في النظام الحربي، لما له من دور في إبراز هيبة الدولة المترامية، والدفاع عن حدودها من خلال دراسة تنظيمات الجيش وقيادته وأسلحته وصنوفه وتعبئته، ودور الجند في الحياة السياسية.

الدراسات السابقة:

- توزيع العطاء على الجند في فترتي صدر الإسلام والعهد العباسي الأول للباحث عبد الوهاب الحربي، وهو بحث منشور بوزارة

الثقافة والإعلام بالعراق، ١٩٨٨، يتناول أعطيات وأرزاق الجند في الفترة الزمنية المذكورة.

- تاريخ الجيش الإسلامي في صدر الإسلام حتى نهاية الدولة العباسية للباحث محمد صالح نصر، وهو بحث منشور بمجلة جامعة سنار، ٢٠١١م، يتناول مراحل تأسيس الجيش حتى نهاية العصر العباسي.

- الأجور والرواتب في العراق خلال العصر العباسي للباحث دريد عبد القادر نوري، وهو بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي، بغداد، ١٩٨٧، يتناول رواتب جند العراق خلال العصر العباسي.

- الجند الأموي والجيش العباسي للباحث فاروق عمر فوزي، وهو بحث منشور بمجلة آفاق عربية، بغداد، ١٩٧٩م، يتناول لمحات عن الجند في العصرين الأموي والعباسي.

وتدور محاور تلك الورقة البحثية حول النقاط الآتية:

التمهيد: تطور الجيش منذ نشأته حتى العصر العباسي الأول

المبحث الأول: عناصر الجيش وفئاته

المبحث الثاني: قيادة الجيش وتنظيمه وأسلحته

المبحث الثالث: الأسطول العباسي

المبحث الرابع: ديوان الجيش

المبحث الخامس: دور الجند في الحياة السياسية والقضاء على محاولات الانقلاب

المنهج المستخدم:

يتناول موضوع البحث مادة تاريخية حضارية، فبالتالي يتناول الباحث المنهج التاريخي نسبة إلى تسلسل الأحداث التاريخية مع المنهج الوصفي، وذلك لوصف بعض العوامل السياسية والدينية لدعوة العباسيين، مع استخدام الموضوعية الكاملة في نقل ما جاء على لسان المؤرخين، كما استخدم المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على شمولية النظرة، وكذلك المنهج التحليلي.

التمهيد: تطور الجيش منذ نشأته حتى العصر العباسي الأول

لم يكن للمسلمين جيش نظامي في عهد الرسول -ﷺ-، ولكن إذا أراد الرسول -ﷺ- خوض غمار حرب دعا الناس إلى الذهاب إليها، وكان لا يُلزم أحدًا، بل كان يحض المؤمنين على القتال، ومن المعروف أن الرسول لم يضع رواتب للجند، بل كان يعتمد على الغنائم الحربية، وعندما تنتهي المعركة يتفرق الجند إلى أعمالهم الخاصة، واستمر الحال على ذلك حتى إذا ما جاءت خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[١] عمل ديوانًا للجند، للإشراف عليهم بتقييد أسمائهم وأوصافهم ومقدار رواتبهم[٢].

ولما كثرت الفتوح خارج شبه الجزيرة العربية، قسم عمر بن الخطاب الجند إلى وحدات، وكل جند وحدة؛ حيث كانوا ينقسمون على أساس القبائل والبطون، والسبب في ذلك أن أغلب عناصر الجيش الإسلامي في ذلك الوقت من القبائل العربية، كما كانت هناك ثكنات عسكرية في عصر الخلفاء الراشدين في المدن الكبرى بالدولة الإسلامية، ويوجد في كل مركز حربي مكتب تسجيل ومخزن للمؤن، وشخص يوزع الرواتب يطلق عليه عريف[٣].

ولما أفضى الأمر لبني أمية اهتموا بأمر الجند، وأضافوا إليه كثيرًا من التنظيم، حتى بلغ جيشهم ٦٠,٠٠٠ جندي تدفع لهم الدولة مرتباتهم التي بلغت ٦٠ مليون درهم في العام[٤].

ولكن الناس مالوا للعمل في الأرض وغيرها من الأعمال، وانصرفوا عن الجندية وتقاعدوا عن الحرب، فأدخل الخليفة عبد الملك بن مروان[٥] التجنيد الإجباري، فأصبح الجيش فئتين: نظاميين ومتطوعين، إضافة لجماعة من الموالي والعبيد[٦].

ولما آلت الخلافة لبني العباس تأثر الجيش بمؤثرات فارسية وتركية، وابتعد عن الروح العربية البحتة، وقد تنبه العباسيون منذ بدء دعوتهم إلى ضرورة وجود الترابط بين المقاتلة، وسارعوا إلى تسجيل الجنود في ديوان حسب قراهم ومدنهم، لا حسب قبائلهم وعشائرهم كما فعل الأمويين، فأصبح جيشًا نظاميًا يعتمد على الانتماء للدعوة لا للقبيلة[٧].

المبحث الأول: عناصر الجيش وفئاته

أ - عناصر الجيش

لقد استفاد العباسيون من أخطاء الأمويين، وذلك بتسجيل المقاتلة العرب من أهل خراسان[٨] حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم[٩]، وقد تكون الجيش العباسي من عناصر متعددة منها: العرب، والخراسانية، والموالي، والأتراك والأبناء وغيرهم[١٠]. ويمكننا أن نحدد عناصر الجيش العباسي كالآتي:

• العرب

شكلت القبائل العربية أغلبية الجيش العباسي، حيث كان معظم قادة الجيش في تلك الفترة من العرب، وعلى الرغم من أهمية العنصر العربي في تكوين الجيش العباسي، فقد حرصت الخلافة العباسية على ألا تقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بني أمية من قبل، فذكر فان فلوتن[١١] أن الحكومة العباسية كانت لا تدخر وسعًا في القضاء على الجيوش العربية أو إقصائها عن البلاد إذا ما أبت النزول عن امتيازاتها التي كانت لها في عهد بني أمية.

• الخراسانية

كانت خراسان وعلى وجه التحديد مدينة مرو مهد الدعوة العباسية، فالخراسانيون هم المؤسسون الحقيقيون للدولة العباسية، ومنهم تشكلت نواة الجيش، ولقد اهتم العباسيون بهم، حيث أفردوا لهم كتيبة خاصة بهم، وسجلوا في الديوان حسب قراهم ومدنهم(١٢)، وخصوا بالأعطيات والأرزاق، فضلًا عن ملابسهم الخاصة التي تميزهم عن باقي الجند، وقد أوصى الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ / ٧٥٣ – ٧٧٤م)[١٣] ولي عهده بهم خيرًا، فقال: أوصيك بأهل خراسان خيرًا، فإنهم أنصارك وشيعتك، الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودمائهم دونك[١٤].

• الموالي [١٥]

لقد فطن العباسيون لمعاناة الموالي في عصر بني أمية، لذلك جمعوا حولهم عناصر مختلفة منهم، وأقاموا بينهم رابطة الولاء، وتم تكليفهم بالإدارة في البداية لمهارتهم في التسيير[١٦]، ثم تحولوا لخدمة القصور، ومن ثم تدريجيًا إلى الجيش[١٧].

كما أن المنصور نظم الموالي وسجلهم في الديوان، وأشرف على تدريبهم، ولم تكن ثقة

العباسيين بهم في غير محلها، بل على العكس تمامًا، فقد عرفوا بشدة إخلاصهم وتفانيهم في تنفيذ المهمات، لذلك جعل لهم المنصور حيًا خاصًا بهم سماه درب الموالي[١٨].

• الأبناء [١٩]

ظهرت عناصر جديدة في الجيش العباسي أواخر عهد الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ / ٧٧٥ – ٧٨٥م)[٢٠]؛ حيث بدأت بوادر ظهور كتلة جديدة في الجيش وعرفوا بالأبناء، وكان من أبرز العرب الأبناء عبد الله بن حميد الطائي، ومن أبرز العجم الأبناء يحيي بن خالد البرمكي[٢١]، وقد سكن الأبناء بعض مدن العراق، وقد ورث الأبناء مراكز آباءهم في الجيش، وما لبثوا أن مالوا إلى الاستقرار والدعة، بالإضافة إلى معارضتهم السياسية والعسكرية للخلفاء، كما عارض الأبناء سياسة الخليفة الرشيد، مما أدى الصدام بين الجند العباسية والأبناء؛ حيث تم إعادة تنظيم الجيش وتسريح هؤلاء الأبناء[٢٢].

• الأتراك

كانت بداية تقلدهم للمناصب العسكرية زمن الخليفة المأمون[٢٣]، لأنهم كانوا من القوي التي ساندته ضد أخيه الأمين، فقربهم إليه، فظهر منهم الأفشين وأشناس وطولون، وتعمد المأمون إقحامهم في الديوان، ليحفظ التوازن بين كافة الأجناس المشكلة للجيش[٢٤].

وعندما تولى الخليفة المعتصم بالله[٢٥] اتجه إلى مماليكه الأتراك، وكون جيشًا عظيمًا منهم، ليقف ضد المد الفارسي ونفوذه في الدولة، وضد العرب الرافضين لخلافته، وقد استكثر منهم حتى بلغ عددهم سبعون ألفًا، وقد أطلق المعتصم يد قادته الأتراك بشكل تام؛ حيث كان توغلهم في قيادة الجيش والخلافة تعبيرًا عن تحول الجيش العباسي إلى جيش يخدم الأمراء أولًا ثم الخلافة[٢٦].

ولم يقتصر عناصر الجيش العباسي على التشكيلات السابقة، وإنما كان هناك عناصر أخري مرافقة للجيش، إذ انضم للجيش عدة فئات مثل: الغلمان، والشاكرية، والمغاربة، والصعاليك، والزنج، والأطباء وغيرهم[٢٧].

أ- فئات الجيش

الجيش النظامي: يتكون من الجند الذين يتلقون رواتب ثابتة مقابل خدمتهم في الجيش، ومسجلون في الديوان، وقد اشترط العباسيون للالتحاق بالديوان عدة أشياء أهمها: الذكورة، والحرية، والإسلام، والشجاعة[٢٨].

جيش المتطوعة: هم الجنود الذين يتطوعون أيام الحروب، وقد استخدم هؤلاء إما للإحاطة بجناحي العدو، دون الاختلاط بالجنود النظامية، أو للإغارة على العدو قبل نشوب الحرب، وكانوا عناصر فعالة، حيث يقدمون على الحرب لحماسهم الديني ورغبتهم في الثواب[٢٩].

المبحث الثاني: قيادة الجيش وتنظيمه وأسلحته

كانت قيادة الجيش في العصر العباسي الأول من أهم مناصب الدولة، وقد تولى الخلفاء العباسيون الأوائل منصب قائد الجيش، فقد كان الخليفة المنصور قائدًا عسكريًا قبل أن يتولى الخلافة، كما اهتم بإسناد مهمات قتالية لولده المهدي، كما توجه الأخير عام ١٦٣هـ / ٧٨٠م لغزو الروم ومعه ابنه هارون الرشيد وعمره

لا يزال سبعة عشر عامًا، ولما تولى هارون الخلافة كان يحج عام ويغزو عام[٣٠].

كما قاد المأمون الجيش بنفسه عام ٢١٥هـ / ٨٣١م إلى بلاد الروم غازيًا، وقاد الخليفة المعتصم الجيوش في فتح عمورية[٣١] عام ٢٢٣هـ / ٨٣٨م بعد أن حاصرها خمسة وخمسين يومًا[٣٢].

وكان الجيش يتألف من عدة صنوف من المقاتلين وفق أسلحة كل منهم وهم:

• الفرسان:

هم الصنف الأقوى في القتال، وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالفرسان الذين منهم الخيالة، حيث كانت فرق الفرسان تشكل العمود الفقري للجيش العباسي، فقد كان يعتمد عليهم اعتمادًا رئيسًا في تقرير نتائج الحروب[٣٣].

وتجدر الإشارة أن ظهور الأتراك في الجيش العباسي، أعطى دفعًا جديدًا للفروسية، ذلك أن الأتراك لا يحبون شيئًا أكثر من ركوب الخيل والغزو، وبظهورهم أصبحت فرقة الفرسان هي الفرقة المحورية في الجيش العباسي[٣٤].

• المشاة

هم القوة العظمى في الجيش، ويقع على عاتقهم عبء القتال، ويقاتلون راجلين، ويلبسون الدروع ويضعون الخوذ على رؤوسهم لحمايتهم، غير أن العباسيين لم يستعملوا المشاة في حروبهم بشكل دائم، بل اعتمدوا على الفرسان، رغم كفاءة مشاة العباسيين، وتحليهم بالقوة والصبر في قطع مئات الأميال قبل لقاء العدو، مثلما حدث في فتح عمورية[٣٥].

• الهجانة

هم الذين يركبون الإبل، ويقاتلون بالسيوف والرماح كالفرسان، وقد استعملت الإبل في الأصل لحمل متاع المحاربين ومؤنهم دون القتال، غير أنها يمكن أن تستعمل في ساحة المعركة داعمة للخيل[٣٦].

• الرماة

ينقسم الرماة إلى قسمين: أ- رماة السهام والنشاب: كان لهم دور مهم في الحرب؛ لأنه عادة ما تبدأ المعارك بالتراشق بالنبال، وقد تفوق الرماة في الجيش العباسي، في الرماية خاصة بالقوس والسهام، ونجحوا في كثير من المعارك في خلق الاختلال في صفوف الأعداء وهزيمتهم[٣٧].

ب- رماة المنجنيق: استخدم الرماة المنجنيق إما بالرمي بالسهام أو النبال أو الأحجار وقدور النفط[٣٨].

• أسلحة الجيش

استخدم الجيش العباسي الأسلحة التي استخدمت في صدر الإسلام والعصر الأموي، وقد استخدم بعض الأسلحة المستحدثة في العصر العباسي الأول كنيران النفط المحرقة والمجانيق التي استخدمها المأمون في حصار بغداد خلال حربه مع أخيه الأمين[٣٩].

ومن أهم الأسلحة التي استخدمها الجيش العباسي: الأسلحة المعنوية كالقرآن الكريم وسلاح الإيمان؛ لذلك يرافق الجيش حفاظ القرآن والوعاظ، أما الأسلحة المادية فأهمها: السيف، والرمح، والحربة، والقوس، والسهم وغيرها[٤٠].

المبحث الثالث: الأسطول العباسي

يبدو أن الخليفة المنصور اهتم بالبحرية، فقام ببناء أسطول حربي؛ حيث حاول استرجاع الأندلس إلى حظيرة الدولة العباسية عن طريق الغزو بالبحر، ففي عام ١٤٦هـ / ٧٦٤م شجع الخليفة العلاء بن مغيث اليحصبي ليعبر إلى الأندلس في قوة بحرية كبيرة، وانضم إليه خصوم عبد الرحمن الداخل[٤١]، إلا أن الداخل تمكن من القضاء على هذه القوة[٤٢].

لقد حاولت الدولة العباسية في عهد المنصور أن تحافظ على سيطرتها على بحار الهند؛ حيث قاموا بفتح بعض مناطق في الهند، فبعد قضاء هشام بن عمرو التغلبي والي السند على الفتن والثورات بالسند، فكر في مد النفوذ الإسلامي إلى بلاد الهند، فجهز السفن وسار إلى قندهار[٤٣] ففتحها، وهدم بيت الصنم وبنى موضعه مسجدًا[٤٤]، وكذلك وجه جيشًا بقيادة عمرو بن جبل في بوارج إلى باربد[٤٥]، ويبدو أن هذه الحملة كانت استكشافية بهدف جمع المعلومات تمهيدًا لفتح بعض المناطق الهندية[٤٦].

وعندما تولى المهدي الخلافة عام ١٥٨هـ / ٧٧٤م، قام في السنة الثانية لحكمه بإرسال أسطول تحت قيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى مدينة باربد – شمال الكجرات بالهند، وكان هذا الجيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وصل إلى المدينة عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م واستطاع المسلمون فتحها، وأثناء عودتهم ظافرين أصيبوا بوباء أهلك عدد كبير منهم[٤٧].

وفي عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨–٢٢٧هـ / ٨٣٣ – ٨٤١م) استطاع محمد بن الفضل بن ماهان بفتح بعض المناطق الهندية المجاورة لمدينة سندان[٤٨]، وجهز أسطول بحري عظيم يتكون من سبعين سفينة، كما حرص على تأمين الطرق التجارية أمام القوافل، فقد وجه قوة بحرية للقضاء على القراصنة الميد[٤٩] الذين كانوا يسببون خسائر فادحة للتجار، وقتل منهم خلقًا كثيرا حتى أخضعهم، وسيطر على منطقتهم، وأمن لنفسه الطريق، فتقدم نحو مدينة فالي[٥٠] الهندية وفتحها وضمها لولايته[٥١].

وقد استخدمت البحرية نفس الأسلحة البرية، ويضاف إليها أسلحة يختص بها الأسطول مثل: أسلحة القذف والصدم والكلاليب والتوابيت والمنجنيق والنار الإغريقية والمرايا المحرقة وغيرها[٥٢].

المبحث الرابع: ديوان الجيش

سار ديوان الجيش منذ تأسيس الخلافة العباسية حتى عصر الخليفة المعتصم على نفس الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب، وكان يحوي هذا الديوان سجلات بأسماء المقاتلين وأعطياتهم، وقد تطور هذا الديوان خلال العصر العباسي الأول، وكان طبيعيًا أن تهتم الدولة العباسية بالجند الذين قامت الدولة على أكتافهم، وزادت في أعطياتهم؛ حيث بلغ راتب الجندي في عهد الخليفة السفاح ٨٠ درهمًا في الشهر، ونال الفارس ضعف ذلك، ثم انخفضت الرواتب في عهد المأمون إلى ٢٠ درهمًا، و٤٠ درهمًا للفارس، ثم رفعها بعد ذلك إلى ٨٠ درهمًا في الشهر[٥٣]، ويذكر المؤرخون أن المعتصم أسقط العرب من الديوان[٥٤].

وكان أهم تطور في تنظيم ديوان الجيش زمن

العباسيين، هو التخلي عن تسجيل الجنود على أساس القبائل والأنساب، فأصبح ترتيب الجند بحسب الجنس أو البلد، وفي عهد الخليفة المعتصم أصبح ترتيب الجيش حسب فرق الجند[٥٥].

ويحدد التسجيل في الديوان مقدار العطاء، ووقت استحقاقه، وقد أحدث العباسيون دمجًا بين العطاء والرزق، وذلك برفع رواتب الجند، والكف عن تقديم الأرزاق الشهرية، وظهور نظام إقطاع خراج الأراضي الزراعية كان كفيلًا بالتعويض عن الأرزاق الشهرية، وبالنسبة للجيش النظامي لجأ العباسيون إلى الأرزاق، أما المتطوعون من القبائل العربية فقد حددت لهم العطاء السنوي[٥٦].

ومن أهم قواعد ديوان الجيش إذا مات الجندي صرفت مستحقاته على أهله، وإذا مرض يصرف له راتبه، ولا يجوز إسقاط بعض الجند من الديوان إلا إذا ظهر منهم ما يوجب ذلك، وإذا أتلف سلاح الجندي، أو ماتت دابته عوض عنها[٥٧].

المبحث الخامس: دور الجيش العباسي في الحياة السياسية والقضاء على محاولات الانقلاب

بعد أن أصبح الداعي الكبير أبو مسلم الخراساني[٥٨] رئيسًا للدعوة العباسية في خراسان، وكان الوضع المتدهور هناك، بسبب التصادم بين نصر ابن سيار[٥٩] الوالي الأموي وشيخ قبائل الأزد اليمانية جديع بن علي الكرماني[٦٠]، عاملًا ساعد الدعاة العباسيين على تركيز جهودهم عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م، لجذب الأنصار، واستطاعوا جذب شيخ الأزد وأتباعه إلى صفوف الدعوة، مما رجح كفة العباسيين، وسببًا في نهاية نصر ابن سيار، بل والأمويين في خراسان[٦١].

كما نجح قحطبة بن شبيب الطائي[٦٢] قائد الإمام في خراسان من فتح الري[٦٣] وأصبهان[٦٤]، وأما في العراق فقد نجح رئيس دعاة العباسيين أبو سلمة الخلال[٦٥] من خلق حالة من الفوضى داخل العراق لزعزعة السيطرة الأموية، فحرض العديد من رجال القبائل على التمرد ضد الأمويين[٦٦].

وكان الإمام إبراهيم قد أوصى لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بإمامة الدعوة العباسية، وكان الأخير قد هرب من الحميمة بعد اعتقال أخيه وتوجه إلى الكوفة، حيث تمت له البيعة في ربيع الأول عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م، وكان أول عمل يواجه الخليفة العباسي هو التصدي لمروان بن محمد آخر خليفة أموي، وبالفعل نجح العباسيون في هزيمته في معركة الزاب، ثم قتله وسقوط خلافته لتبدأ الدولة العباسية عهدها[٦٧].

فقد أسهم الجيش العباسي منذ تأسيسه في خراسان عام ١٢٩هـ / ٧٤٧م بالعمل على قيام الدولة العباسية بعد القضاء على الأمويين عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م، إذ كانت العلاقة بين أبي العباس والجيش علاقة تعتمد على الثقة، وهذا ما جعله ينقل مقر إقامته، ويقيم في معسكرات الجند، ولكن عندما اصطدمت مصالح قادة الجيش بمصالح الخليفة المنصور، عمل الأخير على تصفية القادة الذين اختلفوا معه، وكان من أبرزهم أبو مسلم الخراساني[٦٨].

كان هناك صراعًا بين العلويين المطالبين بحقهم في الخلافة والعباسيين، فلما قام محمد النَّفْس الزَّكِيَّة[٦٩] بثورته في المدينة المنورة عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م، فقبض على أمير المدينة

المنورة، وبايعه أهلها بالخلافة، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة، فغلب عليها وعلى الأهواز وفـارس، وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكها، وبعث عاملًا إلى اليمن، وكتب إليه الخليفة أبو جعفر المنصور يحذّره عاقبة عمله، ويمنّيه بالأمان وواسع العطاء، فأجابه : (لك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك) وتتابعت بينهما الرسل، فانتدب المنصور لقتاله ولي عهده عيسى بن موسى العباسي، فسار إليه عيسى بأربعة آلاف فارس حتى قتل النفس الزكية في نهاية الأمر[٧٠].

وعندما عَلِم الخليفة الرشيد بأمر جيش العباسية - الذي سمّاه البرامكة[٧١] بالكرمينية - استدعى الفضل بن يحيى البرمكي إلى بغداد دون عزله، ليستطلع أمره، فقدم الفضل إليه مع فرقة مسلّحة من جيشه عددها عشرون ألف جنديّ، نزلت في معسكر الرّصافة، في الوقت الذي كان عليه أن ترجع، بعد إيصال الفضل إلى بغداد آمنًا، وفيما بعد سكنه في جانب من جوانب قصر الرشيد الخلد، ليكونوا حرسًا على الرشيد وأسرته، وعلى استعداد للانقلاب السريع على الرشيد، فرأى الرشيد أنه بات أمام انقلاب عسكري وشيك، فخطط الرشيد بذكاء لتمزيق جيش العباسية في خراسان، والقضاء على البرامكة دون إحداث ضجة تلفت الخصوم إليه، حتى جاءت ساعة نكبة البرامكة، بدأ الرشيد يعد لنكبة البرامكة بعد عودته من الحجّ عام ١٨٦هـ / ٨٠٢م، وفي آخر ليلة من محرّم عام ١٨٧هـ / ٨٠٣م، أرسل الرشيد خادمه مسرور ومعه حماد بن سالم في جماعة من الجند، فأحاطوا بجعفر بن يحيى، وأحضروه إلى منزل الرشيد الذي حبسه وقيده ثم أمر بضرب عنقه، وأمر الرشيد في تلك الليلة بالقبض على من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه، وحبس الفضل بن يحيى في جهة من منازله، ويحيى بن خالد في منزله، وأخذ وصادر كل ما ملكوه من مال ومتاع وضياع وغير ذلك، كما وجه الرسائل إلى عمّاله في جميع البلدان بالقبض على البرمكيّين ومصادرة أموالهم[٧٢].

كذلك شهد بداية عهد الخليفة المعتصم محاولتين انقلابيتين فاشلتين، وهي محاولة الجند تحويل الخلافة إلى العباس بن المأمون، والمحاولة الثانية أثناء غزوة عمورية، فقد كان المعتصم حاسمًا في إحباط المحاولة[٧٣].

الخاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع وتحليل جزئياته المختلفة برزت أمام الباحث مجموعة من الحقائق والنتائج وهي كما يأتي:

أولًا: استطاع العباسيون تأسيس جيش نظامي يتبع السلطة المركزية، بعكس الدولة الأموية التي كانت تفتقر لجيش نظامي.

ثانيًا: وضع خلفاء العصر العباسي الأول نظام استخباراتي دقيق وفعال، كما أشرفوا عليه بشكل مباشر.

ثالثًا: كان العرب العنصر الرئيس الذي قامت عليه الدعوة العباسية، وقد أطلق عليهم أهل خراسان الذين سكنوا بلاد فارس بعد الفتوح

الإسلامية.

رابعًا: سيطرة الخلفاء العباسيون الأوائل على النظام الحربي، وتنكيلهم بأبرز القادة المنافسين والمتمردين مثل: أبي مسلم الخراساني، والبرامكة، واحباط محاولتين انقلابيتين فاشلتين لبعض الجند في عهد الخليفة المعتصم.

خامسًا: أعطى العباسيون الموالي مكانتهم المرموقة بجانب العرب في الجيش، لاسيما استفحل نفوذ العنصر التركي في خلافة المعتصم، الأمر الذي مكنهم بعد ذلك من مقاليد الحكم.

سادسًا: شكل النظام الحربي تحولًا في المؤسسة العسكرية، فقد تنبه العباسيون منذ بدء دعوتهم إلى موقع الترابط بين المقاتلة؛ حيث سارعوا إلى تسجيل المقاتلة في ديوان حسب قراهم ومدنهم، لا حسب قبائلهم وعشائرهم.

سابعًا: أحدث العباسيون دمجًا بين العطاء والأرزاق، وذلك برفع رواتب الجند، وأيضًا ظهور نظام إقطاع خراج الأراضي الزراعية.

ثامنًا: كان العباسيون روادًا في المحافظة على حقوق الإنسان التي يتشدق بها الغرب اليوم، ويتضح ذلك من الحفاظ على حقوق الجندي وأهله أثناء الخدمة العسكرية، وفي حالة الإصابة أثناء القيام بالواجب.

تاسعًا: اعتمد العباسيون في حروبهم على المشاة بشكل رئيس، وكان معظمهم من خراسان، وبرز أيضًا سلاح الفرسان الذي كان فيه الترك القلب النابض، كما أنهم أولوا عناية لخطوط الاتصال والإمداد.

عاشرًا: اعتنى العباسيون بالجانب المعنوي للمقاتلين، فكان يرافق الجيش الدعاة والوعاظ، من أجل رفع معنويات المقاتلين.

الحادي عشر: كان للجيش العباسي دورًا كبيرًا في الحياة السياسية والقضاء على محاولات الانقلاب التي هددت الدولة العباسية.

الملاحق

ملحق (١) جدول بأسماء خلفاء العصر العباسي الأول

(١٣٢ – ٢٣٢هـ / ٧٥٠ – ٨٣٦م)[٧٤]

اسم الخليفة	مدة الحكم
أبو العباس السفاح	١٣٢ – ١٣٦هـ/ ٧٥٠ – ٧٥٤م
أبو جعفر المنصور	١٣٦ – ١٥٨هـ/ ٧٥٤ – ٧٧٥م
المهدي	١٥٨ – ١٦٩هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٦م
موسى الهادي	١٦٩ – ١٧٠هـ/ ٧٨٦ – ٧٨٧م
هارون الرشيد	١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٧ – ٨٠٩م
الأمين	١٩٣ – ١٩٨هـ/ ٨٠٩ – ٨١٤م
المأمون	١٩٨ – ٢١٨هـ/ ٨١٤ – ٨٣٣م
المعتصم بالله	٢١٨ – ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ – ٨٤٢م
الواثق بالله	٢٢٧ – ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ – ٨٧٤م

ملحق (٢) الأسلحة

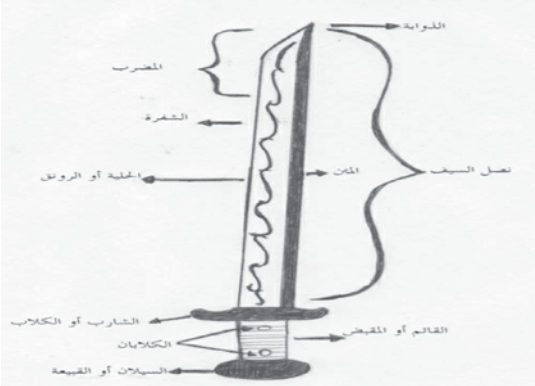

شكل (١) أسماء لأجزاء السيف

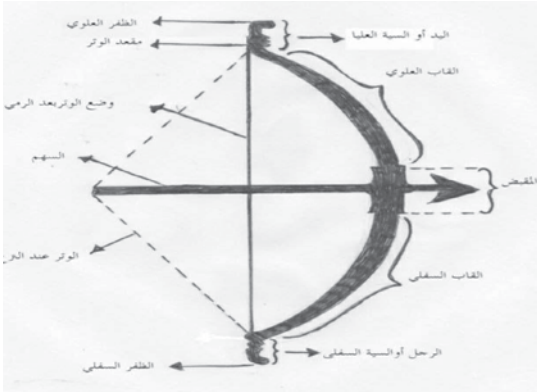

شكل (٢) القوس الأصلي

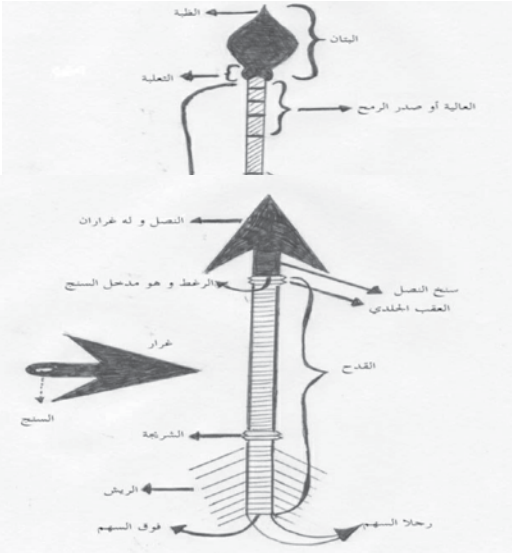

شكل (٤) السهم

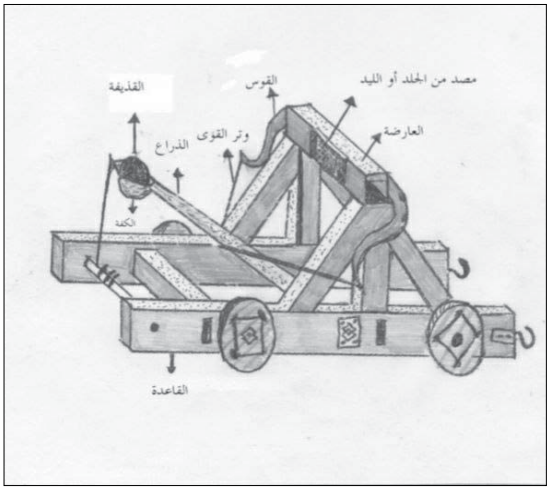

شكل (٥) المنجنيق[٧٥]

الحواشي

أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، الملقب بالفاروق، ولد سيدنا عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وأسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وتولي الخلافة بعهد من أبي بكر في سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكثرت الفتوح في أيامه، حتى قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣هـ / ٦٤٤م. انظر: ابن سعد (أبو عبد الله البصري، ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤ م)، الطبقات الكبري، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، جـ٣، ص ٢٦٥- ٢٧٤؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد بن شعبان، القاهرة، مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٠٦- ١٢٥.

(١) حسن إبراهيم وعلي إبراهيم : النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص١٧٩.

(٢) محمد صالح نصر: تاريخ الجيش الإسلامي في صدر الإسلام حتى نهاية الدولة العباسية، مجلة جامعة سنار، مج١، ع٢، ٢٠١١م، ص١٠٦ – ١٠٧.

(٣) علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت)، ص ٥٨.

عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي (٢٦ - ٨٦هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥م)، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكًا، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارا على معانديه، قويّ الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير. انظر: الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، جـ٤، ص١٦٥.

(٤) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، راجعه: حسين مؤنس، القاهرة، دار الهلال، (د.ت)، جـ١، ص ١٧٠.

(٥) فاروق فوزي: طبيعة الدعوة العباسية، بيروت، دار الارشاد للطباعة، ١٩٧٠م، ص٩.

(٦) خراسان: بلاد واسعة في فارس، وتشتمل على كور عظام وكانت تسمى في القديم أشرينة، من شرقها سجستان وبلاد الهند، وغربها نواحي جرجان وشمالها بلاده ما وراء النهر، خرج منها كثير من اهل العلم. انظر: الحميري (محمد عبد المنعم، ت: ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م): الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م، ص٢١٤.

(٧) فاروق فوزي : طبيعة الدعوة العباسية، ص٩.

الجاحظ (أبو عمرو عثمان، ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): رسائل الجاحظ (رسائل الترك)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م، جـ٣، ص١٦٧؛ الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٣٨٠.

(٨) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، محمد زكي، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٣٤م، ص١٣٣ – ١٣٤.

(٩) فاروق عمر فوزي: الجند الأموي والجيش العباسي، مجلة آفاق عربية، ع ٢، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٣١.

(١٠) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفًا بالفقه والأدب، محبًا للعلماء، ولد في الحميمة، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح عام ١٣٦هـ / ٧٥٣م، وهو باني مدينة "بغداد" أمر بتخطيطها عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م، وجعلها دار ملكه بدلًا من "الهاشمية" التي بناها السفاح، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعًا، وكان أفحلهم شجاعة وحزمًا، توفي ببئر ميمون من أرض مكة محرمًا بالحج، ودفن في الحجون بمكة، ومدة خلافته ٢٢ عامًا. انظر: الزركلي، الأعلام، جـ٤، ص ١١٦ – ١١٧.

(١١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٨، ص١٠٨.

(١٢) الموالي: هم أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام، ومنهم العبيد الذين يمن عليهم بفك رقابهم وعتقهم من أصحابهم. أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٦م، ص٢٥٠.

(١٣) فاروق عمر فوزي: الجند الأموي والجيش العباسي، ص ٣٣.

(١٤) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت، دار الطليعة للنشر، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٣٩.

(١٥) يوسف فويل: تنظيمات الجيش في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ٢٠١٠م، ص ٤٤.

(١٦) يرجع أصل هؤلاء إلى خراسان، أي أنهم أبناء وأحفاد أهل خراسان جند الدعوة العباسية، ولما

كان أهل خراسان عربًا وعجمًا، فالأبناء كانوا مزيجًا من الجنسين، وقد أسماهم ابن طيفور (أبناء أصل خراسان المولدون). انظر: ابن طيفور (أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب، ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، كتاب بغداد، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٢٧.

(١٧) هو محمد بن عبدالله بن محمد علي بن عبدالله بن عباس، أبو عبدالله المهدي، لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به، وان اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل، تولى الخلافة عام ١٥٨هـ / ٧٧٤م، وكان جوادًا محببًا إلى الرعية، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقًا كثيرًا، وتوفي عام ١٦٩هـ /٧٨٥م. انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٤- ٢١٧ ؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، جـ٧، ص ٤٠٠ – ٤٠٣.

(١٨) أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، وكان جدهم برمك من مجوس بلخ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته، وكان برمك عظيم المقدار عندهم، وساد ابنه خالد وتقدم في الدولة العباسية، وتولى الوزارة لأبي العباس بعد أبي سلمة حفص الخلال، وأما يحيى فإنه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال، وكان الخليفة المهدي قد ضم إليه ولده هارون الرشيد، وجعله في حجره، فلما استخلف هارون عرف له حقه، وقال له: يا أبت، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر، ودفع له خاتمه، ثم نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٦، ص٢٢٧.

(١٩) محمد عبد الحفيظ المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ، الأردن، ط١، ١٩٩٩م، ص١١٣.

(٢٠) عبدالله المأمون، أبو العباس بن الرشيد، ولد عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، كان أفضل رجال بني العباس حزمًا وعلمًا وشجاعة، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول في خلق القرآن، تولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين، وكانت البلاد مزدهرة في عهده من جميع نواحي الحياة إلى أن توفي عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م. انظر: السيوطي، المصدر السابق، ص٢٣٦ - ٢٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٢٧٢ - ٢٩٠.

(٢١) يوسف فويل: تنظيمات الجيش في العصر العباسي الأول، ص٤٧.

(٢٢) هو المعتصم بالله أبو اسحاق محمد بن الرشيد، ولد عام ١٧٩ هـ / ٧٩٦م، بويع بالخلافة عام ٢١٨ه/ ٨٣٣م، وهو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان، وكان يتشبه بملوك الأعاجم، قام بفتح بلاد كثيرة من الروم وشتت جموعهم إلى أن توفي عام ٢٢٧هـ / ٨٤٢م . انظر: الذهبي، المصدر السابق، جـ١٠، ص ٢٩٠ - ٣٠٦ ؛ السيوطي: المصدر السابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٣٢٦هـ، جـ ١، ص٥٨٩ ؛ شاكر مصطفى: دولة بني العباس، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م، ص٦٢٧ – ٦٢٨.

(٢٣) يوسف فويل: المرجع السابق، ص٥٠ – ٥٤.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: ٢٨٣هـ / ٨٩٦م): تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (د. ت)، جـ٢، ص ٦٥٦.

البيهقي (أبي الفضل محمد بن حسين، ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م): تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيي الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د . ت)، ص٤٦.

(٢٤) محمد عبد الحفيظ المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول، ص٨١.

عَمّورِيةُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، بلد في بلاد

الروم غزاه المعتصم حين سمع شراة العلويّة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام. انظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله، ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، جـ٤، ص١٥٨.

(٢٥) محمد عبد الحفيظ المناصير: المرجع السابق، ص٨١.

(٢٦) نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية، راجعه : عبد الستار القرغولي وابراهيم الزهاوي، القاهرة، مطبعة أسعد، ١٩٥٧م، ص ١٧٩.

(٢٧) يوسف فويل: المرجع السابق، ص٥٩.

(٢٨) جهادية القرة غولي: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ١٣٢ – ٢٣٢هـ، دائرة الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٦م، ص١٦٣.

(٢٩) نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية، ص ١٢٠.

(٣٠) محمد عبد الحفيظ المناصير: المرجع السابق، ص١١٨- ١٢٠.

(٣١) فخري الزبيدي: الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد، ودولة وجند العرب في خلافة بني العباس، الدار العربية للموسوعات، ١٩٩٠م، ص٧٥.

(٣٢) سمير سليم شما: أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود، الأردن، ١٩٩٥م، ص١٨.

(٣٣) محمد عبد الحفيظ المناصير: المرجع السابق، ص٢٧٠- ٢٩٣.

(٣٤) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان (١١٣ - ١٧٢هـ / ٧٣١ - ٧٨٨م)، الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم، ولد في دمشق، ونشأ يتيمًا فتربى في بيت الخلافة، ولما انقرض ملك الأمويين في الشام، وتعقب العباسيون رجالهم بالفتك والأسر، أفلت عبد الرحمن، والمنصور العباسي أول من لقبه بصقر قريش، ولقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ٣، ص٣٣٧ – ٣٣٨.

(٣٥) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص٧٥؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ١٩٤٣م، ص١٦٦-١٦٧.

(٣٦) قندهار: اسم عدد من المدن الهندية القديمة، وإحداها تلك المعروفة بهذا الاسم حتى الآن في أفغانستان، والثانية بمقاطعة الحدود الشمالية في باكستان، والثالثة المقصودة هنا هي المدينة الساحلية بجوار ميناء بهروج أو بروص في ولاية كجرات علي الساحل الغربي للهند، انظر: سيد رضوان علي، تعريف مدن الهند وتحديدها في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، مجلة العصور، مج٢، جـ ٢، ١٩٨٧م، ص ١٤٥.

البلاذري (أبو العباس احمد بن يحي بن جابر، ت: ٢٧٩هـ /٨٩٢م): فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٣٩٢.

(٣٧) نارند (باربد): لم يرد هذا الاسم في المصادر الجغرافية العربية، ولاشك أنه تحريف من النساخ لاسم "باربد"، وهو تعريب لاسم بهاربهوت بجوار ميناء بهروج أو بروص بإقليم كجرات. سيد رضوان علي، تعريف مدن الهند وتحديدها في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، ص ١٤٥.

(٣٨) محمد حسن الباشا: إقليم المَنْصُورَة بالسِّنْد في عصر السيادة العربية (١٢١ – ٤١٦هـ / ٧٣٨ - ١٠٢٥م) دراسة تاريخية حضارية، دمشق، دار نور حوران، ط ١، ٢٠٢٠م، ص٦١-٦٢.

(٣٩) الطبري: المصدر السابق، جـ ٨، ص ١١٧، ١٣٨.

(٤٠) سَنْدَانُ : مدينة من سواحل الهند، ملاصقة للسند تبعد ثلاثة أيام من تانة، بينها وبين الدّيبل والمنصورة نحو عشر مراحل، ومدينة سندان مجمع الطرق وهى بلاد القسط والقنا والخيزران. انظر: ياقوت

الحموي، المصدر السابق، جـ ٣، ص٢٦٦ – ٢٦٧؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٥٩، وهى اليوم تسمى سنجان باللغة المحلية في الهند، وتقع حاليًا في مدينة بومباي. انظر: المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، القاهرة، دار الأنصار، ط١، ١٣٩٨هـ ـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٤.

(٤١) الميد: ويطلق عليهم الميذ، وهم جماعة من أهل السند، ضمهم الفرس إلى جيوشهم قديمًا، وكانوا يعيشون على سواحل بلاد السند، وضفتي نهر مهران حتي مكران، وكانوا قراصنة وأصحاب خبرة في الحروب البحرية، حيث كانوا يتعرضون للسفن العربية في المحيط الهندي ويستولوا عليها. انظر: المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، جـ ٢، ص ٩٩ ؛ الإدريسي (أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت: ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ت)، المجلد الأول، ص ١٧٨- ١٧٩؛ سيف المريخي: القرصنة في الخليج العربي والبحر الأحمر في العصور الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد (٥٨) ٢٠٠٨م، ص١٨- ١٩.

(٤٢) فالي: لم يتم تحقيقها، ولكنها مدينة هندية تقع بالقرب من سندان .

(٤٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٤.

(٤٤) يوسف فويل: المرجع السابق، ص٢١٧ – ٢٢٠.

(٤٥) دريد عبد القادر نوري: الأجور والرواتب في العراق خلال العصر العباسي، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٢، ١٩٨٧، ص٢٤٠.

(٤٦) شاكر مصطفى: دولة بني العباس، جـ١، ص٦٣٩.

(٤٧) يوسف فويل: المرجع السابق، ص١١١.

(٤٨) عبد الوهاب الحربي: توزيع العطاء على الجند في فترتي صدر الإسلام والعهد العباسي الأول، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج ١٧، ع ٣، ١٩٨٨، ص٢٤؛ محمد أبو محمد إمام: نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م، ص١٥٥ – ١٥٦.

(٤٩) يوسف فويل: المرجع السابق، ص١١٢.

(٥٠) هو عبد الرحمن بن مسلم: صاحب الدعوة العباسية، وأحد كبار القادة، خطب باسم الخليفة السفاح العَبَّاسي بعد قتل مروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية) عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ ٣، ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

(٥١) نصر بن سيار بن رافع الكناني (٤٦ - ١٣١هـ / ٦٦٦ - ٧٤٨م): كان شيخ مضر بخراسان، ثم ولي إمرة خراسان عام ١٢٠هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة - وهو بواسط - يستمده، وكتب إلى مروان - وهو بالشام - وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الريّ وهمذان، ومات بساوة. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ ٨، ص٣٣.

(٥٢) جُدَيْع بن علي الأزدي الكَرْماني (٠٠٠ - ١٢٩هـ / ٠٠٠ - ٧٤٧م) شيخ خراسان وفارسها في عصره، وأحد الدهاة الرؤساء، ولد بكرمان، وأقام في خراسان إلى أن وليها نصر بن سيار، فخاف شرَّ الكرماني فسجنه، فغضبت الأزد، فأقسم لهم نصر أنه لا يناله منه سوء، وفرَّ جديع من السجن، فاجتمع معه ثلاثة آلاف، فصالحه نصر، فأقام زمنا يؤلف الجموع سرا، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو، فصفت له، وظهر أبو مسلم الخراساني، فاتفق معه على قتال نصر، فكتب نصر إلى جديع يدعوه إلى الصلح، فرضي به، وخرج ليكتبا بينهما كتابا (معاهدة) ومعه مئة فارس، فوجه إليه نصر

ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة. انظر: الطبري، المصدر السابق، جـ ٩، ص٩١ ؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الملقب بعز الدين، ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٥م، جـ ٥، ص ١٣٥- ١٣٦.

(٥٣) عبد الجبار الجومرد : داهية العرب أبو جعفر المنصور، مؤسس دولة بني العباس، بيروت، دار الطليعة للنشر، ط١، ١٩٦٣م، ص٧٠.

(٥٤) قحطبة بن شبيب الطائي (٠٠٠ - ١٣٢هـ / ٠٠٠ - ٧٤٩م): قائد شجاع، من ذوي الرأي والشأن، صحب أبا مسلم الخراساني، وناصره في إقامة الدعوة العباسية بخراسان، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي، ممن استجاب له في خراسان ١٠٣هـ وقاد جيوش أبي مسلم، وكان مظفرًا في جميع وقائعه. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ ٥، ص١٩٠ – ١٩٠.

(٥٥) الري: بفتح أوله وتشديد ثانية، مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الخيرات تقع في فارس بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخًا، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٩ أو ٢٠هـ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، جـ ٣، ص١٦؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ص ٣٧٥.

(٥٦) أصبهان: ليست هذه الباء بخالصة، ولذلك يكتبها بعض الناس بالفاء، وهي مكسورة الأول، سميت بأصبهان بن نوح وهو الذي بناها، وقيل سميت أصبهان لأن اصبه بلسان الفرس البلد وهان الفرس، معناه بلد الفرسان، ولم يكن يحمل لواء الملك منهم إلا أهل اصبهان لنجدتهم، وكانوا معروفين بالفروسية والبأس، وهي من بلاد فارس، انظر: الحميري، الرو المعطار، ص٤٣.

(٥٧) أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيع وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس؛ وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول، وكان السفاح يأنس به، لأنه كان ذا مفاكهة حسنة وممتعًا في حديثه، عالمًا بالسياسة والتدبير، وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر. انظر: ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد، ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، جـ٢، ص١٩٥- ١٩٦.

(٥٨) الطبري: المصدر السابق، جـ ٧، ص٢٢٨

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) : المعارف، مصر، ١٩٥٣م، جـ٢، ص ٢٣٢.

(٥٩) يوسف فويل: المرجع السابق، ص٤٥٣ – ٤٥٤.

(٦٠) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بالأرقط وبالمهديّ وبالنفس الزكية: أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجدّاته لم يكن فيهن أمّ ولد، وسماه أهل بيته بالمهديّ، ولما علم محمد (النفس الزكية) بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائرًا، في مئتين وخمسين رجلا. وللمزيد من التفاصيل عن شخصيته وطبيعة حركته. انظر: الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت: ٣٥٦هـ / ٩٦٧م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٣٣٠ وفيه أن الإمامين مالكًا وأبا حنيفة كانا يريان إمامة النفس الزكية أصح من إمامة المنصور، وعرف المنصور ذلك عنهما فآذاهما: ضرب مالكًا على الفتيا في طلاق المكره، وحبس أبا حنيفة على القضاء. انظر: الزركلي، المرجع السابق، جـ ٦، ص ٢٣٠ ؛ سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراة، جامعة سانت كليمنتس العالمية، ٢٠١٠م، ص ١٢١ – ١٢٦.

ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي، ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية، القاهرة،

مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، جـ ١٠، ص٨٧- ٨٨.

(٦١) كان جدهم برمك من مجوس بلخ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته، وكان برمك عظيم المقدار عندهم، وساد ابنه خالد وتقدم في الدولة العباسية، وتولى الوزارة لأبي العباس بعد أبي سلمة حفص الخلال، وأما يحيى فإنه كان من النبل والعقل، وكان الخليفة المهدي قد ضم إليه ولده هارون الرشيد، وجعله في حجره، فلما استخلف هارون عرف له حقه، وقال له: يا أبت، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر، ودفع له خاتمه، ثم نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٦، ص٢٢٧.

(٦٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٨، ص ٢٨٧- ٢٩١؛ الذهبي: المصدر السابق، جـ٩، ص٦٤-٦٥.

(٦٣) محمد عبد الحفيظ المناصير: المرجع السابق، ص٤٧٦.

(٦٤) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرون، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٠، ص٢-٣.

(٦٥) للاطلاع على هذه الأشكال انظر: محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص٩٨-١٠١.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية القديمة

١. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الملقب بعز الدين، ت: ٦٣٠هـ /١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٥م.

٢. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد، ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م..

٣. ابن طيفور (أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب، ت: ٢٨٠هـ / ٨٩٣م): كتاب بغداد، القاهرة، ١٩٤٩م.

٤. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): المعارف، مصر، ١٩٥٣م.

٥. ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي، ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، القاهرة، مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٦. الإدريسي (أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت: ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ت).

٧. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت: ٣٥٦هـ / ٩٦٧م): مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٤٩م.

٨. البكري (أبي عبيد الله، ت: ٤٨٧هـ / ١٠٨٥م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد، تحقيق : مصطفي السقا، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٩. البلاذري (أبو العباس احمد بن يحي بن جابر، ت: ٢٧٩هـ /٨٩٢م): فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.

١٠. البيهقي (أبي الفضل محمد بن حسين، ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م): تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيي الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د . ت).

١١. الجاحظ (أبو عمرو عثمان، ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): رسائل الجاحظ (رسائل الترك)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م.

١٢. الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت: ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار،

تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م.

١٣. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

١٤. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد بن شعبان، القاهرة، مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٥م.

١٥. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٦. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د. ت) .

١٧. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٨م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٨. المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد، ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

١٩. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله، ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٢٠. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: ٢٨٣هـ / ٨٩٦م): تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (د. ت)

ثانيًا : المراجع العربية الحديثة.

٢١. أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٦م.

٢٢. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، راجعه : حسين مؤنس، القاهرة، دار الهلال، (د.ت).

٢٣. جهادية القرة غولي: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ١٣٢ – ٢٣٢هـ، دائرة الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٦م .

٢٤. حسن إبراهيم وعلي إبراهيم: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت).

٢٥. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس: الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م .

٢٦. سمير سليم شما: أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود، الأردن، ١٩٩٥م.

٢٧. شاكر مصطفى: دولة بني العباس، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م.

٢٨. عبد الجبار الجومرد: داهية العرب أبو جعفر المنصور، مؤسس دولة بني العباس، بيروت، دار الطليعة للنشر، ط١، ١٩٦٣م.

٢٩. عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، دار الطليعة للنشر، ط١٩٨٦،١م.

٣٠. ----------: العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت، دار الطليعة للنشر، ط٢، ١٩٨٨م .

٣١. علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت).

٣٢. فاروق عمر فوزي: تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية - الإسلامية، بغداد، مكتبة النهضة،١٩٨٨م .

٣٣. ----------: طبيعة الدعوة العباسية، بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

٣٤. فخري الزبيدي: الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد، ودولة وجند العرب في خلافة بني العباس، الدار العربية للموسوعات، ١٩٩٠م.

٣٥. المباركبوري (أبو المعالي أطهر، ت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م): رجال السند والهند إلى القرن السابع، القاهرة، دار الأنصار، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م.

٣٦. محمد حسن الباشا: إقليم المَنْصُورَة بالسِّنْد في عصر السيادة العربية (١٢١ – ٤١٦هـ / ٧٣٨ - ١٠٢٥م) دراسة تاريخية حضارية، دمشق، دار نور حوران، ط ١، ٢٠٢٠م.

٣٧. محمد عبد الحفيظ المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.

٣٨. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ١٩٤٣م.

٣٩. محمود شيت خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣م

ثالثًا: المراجع المعربة.

٤٠. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرون، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٠،.

٤١. فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، محمد زكي، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٣٤م

رابعًا: الدوريات .

٤٢. دريد عبد القادر نوري: الأجور والرواتب في العراق خلال العصر العباسي، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٢، ١٩٨٧.

٤٣. سيد رضوان علي: تعريف مدن الهند وتحديدها في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، مجلة العصور، مج٢، جـ ٢، ١٩٨٧م.

٤٤. سيف المريخي: القرصنة في الخليج العربي والبحر الأحمر في العصور الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد (٥٨) ٢٠٠٨م.

٤٥. عبد الوهاب الحربي: توزيع العطاء على الجند في فترتي صدر الإسلام والعهد العباسي الأول، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج ١٧، ع ٣، ١٩٨٨ .

٤٦. فاروق عمر فوزي: الجند الأموي والجيش العباسي، مجلة آفاق عربية، ع ٢، بغداد، ١٩٧٩م.

٤٧. محمد صالح نصر: تاريخ الجيش الإسلامي في صدر الإسلام حتى نهاية الدولة العباسية، مجلة جامعة سنار، مج١، ع٢، ٢٠١١م

خامسًا: الرسائل العلمية.

٤٨. سامي محمد يوسف الجعفري: التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراة، جامعة سانت كليمنتس العالمية، ٢٠١٠م .

٤٩. محمد أبو محمد امام: نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م.

٥٠. يوسف فويل: تنظيمات الجيش في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ٢٠١٠م

الفن الصخري مدخل أساسي لكتابة التاريخ والتراث بالمغرب القديم وبشمال إفريقيا

رشيـــد صديـــق
دكتور وباحث في التراث والآثار
المركز الوطني للنقوش الصخرية أكادير
المملكة المغربية

يُعد الفن الصخري تراثا ثقافيا وحضاريا يشـــهد على قدم المجتمعات الإنســـانية والبشرية عبر التاريخ. ويعتبر المغرب من بين الدول الواقعة في شمال إفريقيا التي تختزن الكثير من أسرار الفن الصخري، وهو من أصعب وأكثر مباحث غموضا في تاريخ البشـــرية، لكونه يوجد في المجالات الصحراوية والشـــبه صحراويـــة ويتداخل فيها علـــم التاريخ والانتروبولوجيـــا والبليونتولوجيا والجيولوجيا وعلم اللغات القديمة والجغرافيا الطبيعية وعلم الاجتماع...الخ.

لقد شغل الفن الصخري في بلاد المغرب القديم الكثير من الأدبيات والعلوم المختلفة والمتنوعة بحكم أنها تساعد الدارس الوقوف على مختلف الظواهر والإشكالات المعرفية التي يمكن من خلالها تتبع هجرات وتحركات المجموعات البشرية المستقرة في المغرب والصحراء وفي شمال إفريقيا عموما، في علاقتها مع مختلف المجالات والدول القريبة والمجاورة.

ويوجد الفن الصخري بالمغرب في أماكن ومواقع إستراتيجية متفرقة على تراب واسع وعلى مساحات كبيرة وبالقرب من الأودية الكبيرة والصغيرة وفي قمم الجبال والهضاب، بحيث قاومت هذه الرسوم والنقوش الصخرية مجموعة من العوامل الطبيعية والتحولات المناخية لقرون طويلة الأمد. فهي اليوم شواهد تاريخية وأثرية حية تنم عن التطورات والتغيرات المناخية التي عرفتها هذه المجالات الصحراوية والشبه صحراوية. ومن السهل أن ندرك اليوم أن المجموعات البشرية التي رسمت هذه الرسوم والنقوش الصخرية لها أساطير ومعتقدات وأسرار خاصة.

تمثل النقوش الصخرية والمقابر الجنائزية القديمة نسبة كبيرة خاصة الحيوانات المتوحشة وقطعان عديدة من الماشية المستأنسة والجمال والخيليات ومختلف الطيور والأشكال الآدمية. إلا أنها اليوم من الصعب وضع تواريخ مطلقة لهذه الثروة الأثرية والثقافية، بالرغم من بعض المحاولات الكثيرة التي جاءت حسب إجراءات معلمية معتمدة على حقائق مبنية على اختبارات الراديو كربون.

عموما، يزخر المغرب القديم على مقومات تاريخية وأثرية متنوعة ومتعددة من ألوان هذا الفن الصخري وثـراء مجالاته الواسعة الصحراوية والشبه صحراوية. ويمكن اعتبارها مدخل أساسي لفهم وتحليل مجموعة من القضايا التاريخية والانتروبولوجية والأثرية التي يمكن أن تساهم في كتابة تاريخ المغرب القديم خاصة وشمال إفريقيا بشكل عام. وأمام هذه المقاربة سوف نحاول في هذا المقال العلمي الإجابة على هذه التساؤلات المعرفية: ماذا نقصد بالفن الصخري؟ أين تكمن أهمية الفن الصخري في الدراسات والأبحاث؟ ما هو السياق التاريخي لظهور البحث حول الفن الصخري بالمغرب القديم؟ ما هي عوائق وإشكالات الكتابة التاريخية بالمغرب وبـلـدان المغارب مـن خـلال الفن الصخري؟ وأخيرا، ما هي علاقة الفن الصخري بالكتابة التاريخية في المغرب وبشمال إفريقيا؟.

يشكل الفن الصخري بالمغرب في وقتنا الحاضر تـراث ثقافي بأبعاد إنسانية عالمية مشتركة. فهو يعد ثروة ثقافية وذاكرة جماعية تختزل هوية وأبعاد وأمجاد الحضارات البشرية المادية القديمة. لكنه اليوم يعتمد عليه كرافد من روافد التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ونظر لهذا الاهتمام المتزايد عليه خـلال السنوات الأخيرة، أعطت له المنظمات الدولية والعالمية والمؤسسات الدولة عناية كبيرة ومتزايدة من خلال إصدار اتفاقيات ومواثيق دولية والمصادقة على المعاهدات الدولية الخاصة بالتراث الثقافي، ووضـع قوانين وسياسات وبـرامـج من أجل المحافظة عليه وحمايته وتوظيفه وتثمينه.

يمكن اعتبار الفن الصخري كنموذج حي وفريد لهذا التراث الأثري والتاريخي الضارب في القدم، غير أنه يعاني اليوم من اختلالات كثيرة واكراهات وتحديات متنوعة. فبالرغم من أهميته التاريخية والعلمية لهذا الفن، يبقى مستوى الاهتمام به بدول المغارب مازال محتشما وغير كافي على الصعيد الوطن العربي.

صورة رقم١: خريطة توزيع مواقع الفن الصخري بالمغرب

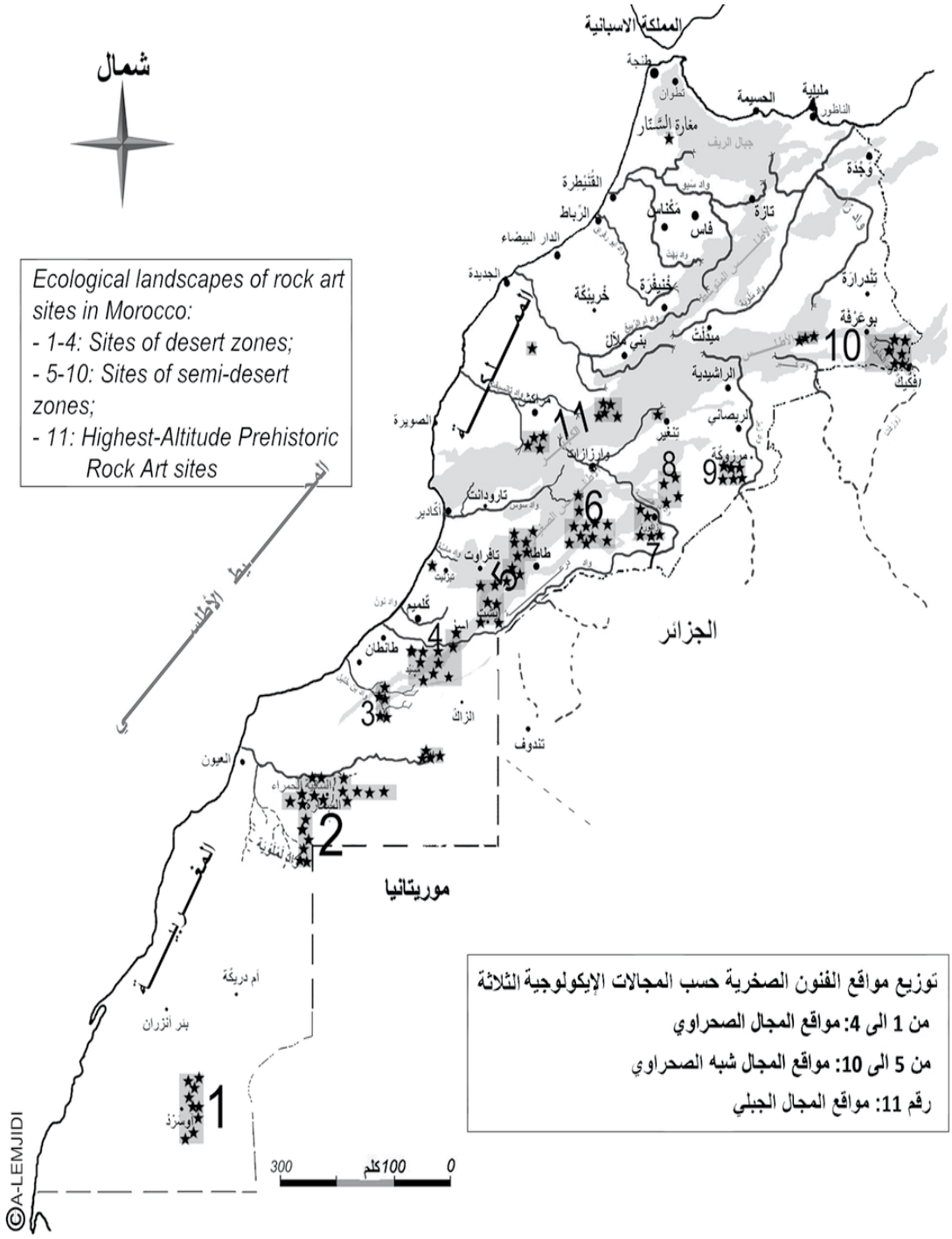

المصدر: عبد الخالق المجيدي، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث الرباط، المملكة المغربية ٢٠٢٢م

ا- ؟"ءا؟ ص"؟ ص""""ا؟

هو شكل من أشكال التراث الثقافي المادي. ويعتبر الفن الصخري أحد مكونات التراث الأثـري والتاريخي المغربي العريق[١]. فهو عبارة عن مجموعة من إبداعات إنسان ماقبل التاريخ وما قبيل التاريخ رسمها على واجهة الصخور أو جدران المغارات أو المخابئ، حيث عبر من خلالها على فكره وثقافته وعقيدته قبل ظهور الكتابة، ونظرا لأهميته فقد نعته بعض الباحثين بالوثائق الصخرية الصامتة[٢].

يعد الفن الصخري بالمغرب جزءا لا يتجزأ من التاريخ العام للمجتمعات البشرية. ويعتبر خلال الفترة الراهنة من بين المباحث المعرفية الحديثة من حيث الدراسة والتنقيب والبحث، نظرا لقلة الأبحاث الاركيولوجية والأثرية وتطبيق المناهج التقليدية الكلاسيكية في الحفريات والمسوحات الأثرية الميدانية.

ويتكون هذا الفن الصخري من أربعة جوانب أساسية وهي كالتالي: **أولا**، النقوش والرسوم الصخرية[٣] التي تعتبر أحد جوانب التراث الصخري الغني بالشهادات التاريخية والوثائق عن حضارات قديمة تطورات عبر صيرورة كرونولوجية[٤]. كما تعكس جانب من حياة الإنسان القديم، ونمط عيشه وسلوكه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي السائد خلال تلك الفترات الغابرة. **ثانيا**، المقابر الجنائزية[٥]، فهي عبارة عن بقايا مباني كانت تبني فوق القبور والمدافن على شكل أهرامات. وتتكون عادة من كومة من الأحجار أو التراب، وقد عرفت هذه المقابر باسم بازينة الأمازيغية أو باسم "أكركور[٦]" أو "ترجمت أو رجم[٧]" أو تيميلوس باللغة الفرنسية. وتتواجد بقايا هذه القبور في مختلف أنحاء بلاد المغرب القديم، وفي الغالب الأحيان على حافات التلال والأودية وفي الفجاج. وتتنوع هذه المقابر بين قبور على شكل دائري عادي ومستدير وعلى شكل هلالي، وهي متفاوتة الأحجام حسب منطقة تمركزها. **ثالثا**، الرسوم الصباغية، إذ تحتوي على مشاهد الحياة اليومية مثل تربية قطعان الماشية، القنص والصيد، الحرب والمعارك، التزين والزينة، الحلي والمجوهرات. إضافة إلى أشكال غير مفهومة لا يمكن تفسيرها إلا عن طريق التأويل. فهي رموز فنية تعد مصدرا هاما لمعرفة تاريخ البشرية وطرق العيش وأنماط الحياة والأنشطة اليومية المعاشة خلال فتراث وعصور ما قبل وما قبيل التاريخ. وتنجز بواسطة ألوان وصباغات طبيعية زاهية وواضحة تعبر عن الواقع المعاش لتلك المجموعات البشرية. **رابعا**، اللقى والأدوات الأثرية، وهي عبارة عن أدوات وبقايا أثرية غنية ومتنوعة استعملها الإنسان القديم في الأنشطة اليومية والحياتية من أجل ضمان موارد عيشه وبقاءه. ومن أهم هذه الأدوات المعروفة والمستعملة من طرف الإنسان القديم نجد: الصوان، نوات، المحك، المتقب، قطع فخار، أداة التزين، مكشط، محك، قشر بيض النعام، قطع الرحى، سهام، أداة حادة، فأس....الخ.

عمومـا، إن الفـن الصخري هو أحـد الفنون القديمـة التـي عبـر من خلالها إنسـان مـا قبل

التاريخ عن نمط عيشه وحياته ومعتقداته وأسراره الميثولوجية. وقد تطورت هذه اللوحات الفنية المصبوغة والمنقوشة على الصخور خلال آلاف السنين مند عصور ما قبل التاريخ أي من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث وصولا إلى الفترات التاريخية الإسلامية وأهم أنشطته اليومية والحيوانات المختلفة التي كانت مصدر عيشه والرأسمال وقوة اقتصاده[٨].

صورة رقم٢: بعض مواضيع النقوش الصخرية بالمغرب القديم

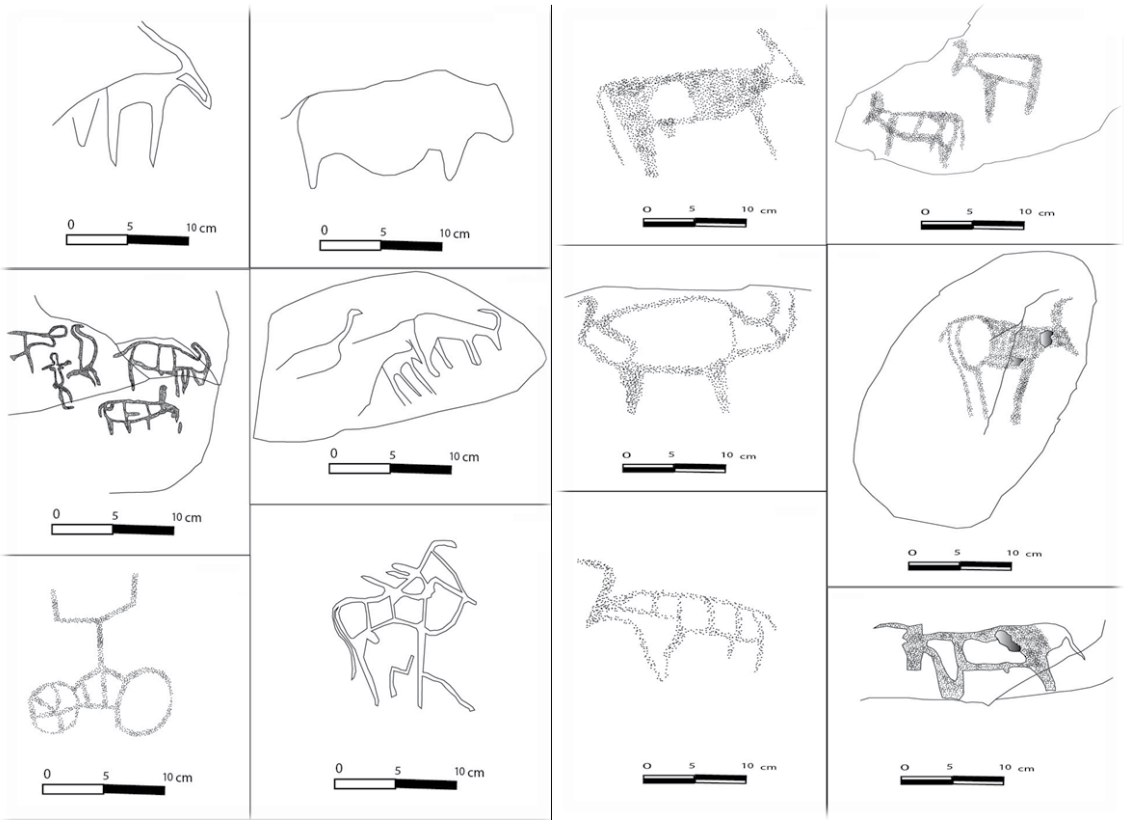

المصدر: تصوير وإنجاز شخصي، ٢٠٠٩-٢٠١٥م

٢- ص؟اؤ صص؟؟ ص؟ ص؟ؤ صصصب صصص؟

ظهرت الأبحاث الأثرية بشكل عام وأبحاث ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا مند الغزو الاستعماري للقارة الإفريقية، انطلاقا من العلاقة القائمة والطردية المتينة بين تقدم الأبحاث والاكتشافات الأثرية. ففي بداية الأمر، مر البحث الأثري بالمغرب بمرحلة تمهيدية تمثلت أساسا في الاستكشافات الاستعمارية الفرنسية والاسبانية التي كانت تهدف إلى جمع المعطيات وإنجاز دراسات ومونوغرافيات حول المجتمعات والمجالات المغربية المختلفة، ومعرفة خصائصها الاجتماعية والثقافية للمجموعات البشرية المستقرة في المغرب إبان الفترة الاستعمارية.

لقد ارتبط البحث الأثري حول الفن الصخري على الصعيد الوطني، منذ فترة الحماية الاستعمارية الفرنسية والاسبانية، حيث صدر أول ظهير للحفاظ على التراث الثقافي خلال ٢٠ نونبر ١٩١٢م، ونتج عنه تطبيق سياسية الترخيص عن الحفريات الأثرية من طرف السلطات[٩]. وبعد ذلك، بدأت الأبحاث مع بداية الحقبة الكولونيالية، على يد ثلة من الباحثين أمثال: (Ci depertet, Olenz). لكن الانطلاقة الفعلية لدراسة المغرب عامة والجنوب المغربي خاصة لم تنطلق إلا بعد استقلال المغرب بفترة طويلة، كالأعمال والتحريات الأثرية التي قام بها الأستاذ عبد الله صالح بمنطقة السمارة وطرفاية وغيرها[١٠].

وخلال الأربعينيات من القرن الماضي، بدأت تظهر اهتمامات من طرف البعثات الفرنسية والمتجولين والهواة أمثال سيمونو وبيكادو، وولف، برتي، لافانشير، لوت[١١]،... الخ. وفي سنة ١٩٨٥م، أسس المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، بمبادرة من وزارة الثقافة المغربية، حيث أشرف على تكوين باحثين في عدة تخصصات مرتبطة بالآثار والتراث والعمارة، وإنجاز دراسات وأبحاث أثرية على المستوى الوطني وبالجنوب المغربي على وجه الخصوص.

ومع بداية التسعينيات، ظهرت دراسات وأبحاث جامعية من طرف باحثين مغاربة حول الفن الصخري والأركيولوجيا[١٢]، حيث أثار هذا الموضوع انتباههم وشغفهم، فشكلت هذه المرحلة البدايات الثانية لفتح مجال البحث والتنقيب عن مواقع أثرية أخرى لم تكتشف بعد بالمغرب. وفي نفس الوقت، فهي محطة هامة ودعوة لتأسيس المنتزه الوطني للنقوش الصخرية في مراكش سنة ١٩٩٤م من طرف وزارة الثقافة، وهي بمثابة خطوة أساسية لدراسة وتعميق البحث حول الفن الصخري بالمغرب. لقد أسفرت هذه التجربة العلمية رغم الصعوبات إلى إنجاز دراسات جماعية وفردية، أسهمت بشكل كبير في إبراز بعض جوانب من الفن الصخري بالجنوب المغربي[١٣]. وإلى جانب ذلك، أثمرت هذه المرحلة إنجاز أطروحات وطنية داخل الجامعة المغربية حول التاريخ القديم وعلم الآثار، نذكر على سبيل المثال: أطروحة مصطفى أعشى[١٤]،

والمحفوظ أسمهري[١٥]، الحسن بودرقا[١٦]، خديجة قمش، عبد المجيد أمريغ...الخ.

عموما، تميزت الدراسات الأثرية خلال ماقبل التاريخ في شمال إفريقيا والمغرب خاصة، بالانحياز لخدمة مصالح وأجندة الاستعمار خلال العقود الأولى من ظهورها، وقد استمر ذلك حتى فترة استقلال المغرب سنة ١٩٥٦م. لكن شكلت مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي المرحلة الفاصلة في تاريخ البحث الأثري بالمغرب، إذ فتح المجال للباحثين المغاربة لخوض غمار التجربة الميدانية والأكاديمية.

٤- ,,؟ ,؟,؟؟ ,؟,,,,ب ,ب ,,,,؟؟ ,؟,,,,,؟ ص ص ص ص؟ ص ص ص؟ا؟ا؟

يصعب على الباحث في علم الآثار والتراث جمع ودراسة هذه الوثائق الصامتة (النقوش الصخرية والرسوم الصباغية)؛ لأن المجال الجغرافي المغربي والمغاربي واسع وشاسع مما يدل على وجود صعوبة جغرافية ميدانية تقف عائق أمام عمليات الجمع والتوثيق والدراسة العلمية. ويعتبر المجال المغربي من أغنى تمركزات الفن الصخري في شمال إفريقيا، لكن ورغم ذلك تبقى الدراسات والأبحاث الأثرية حول الفن الصخري قليلة جدا نظرا لفقر البحث والتنقيب والحفريات وقلة الاهتمام على المستوى الوطني مقارنة مع بلدان المغارب التي تشهد طفرة نوعية على مستوى الأبحاث الاركيولوجية والأثرية.

يعد الفن الصخري مصدر مهم لمعرفة تاريخ الإنسان القديم وسكان شمال إفريقيا بشكل عام، والكشف عن حياة الإنسان خلال العصور الحجرية القديمة، حيث تتجلى أهمية الفن الصخري في الدراسات السابقة، في كونه له أبعاد ودلالات عالمية متعددة ومتنوعة يمكن اعتبارها قيمة مضافة لتاريخ الإنساني وللمجتمعات البشرية، رغم اختلاف الباحثين في معاني الفن الصخري وتضارب أراءهم حولها فإنها تساهم بشكل أو بآخر في غنى الدراسات الأثرية والتاريخية والانتربولوجية السابقة دون إحداث قطيعة مع الماضي أو إقصاء أو تهميش بين المجالات الجغرافية المغاربية أو المناهج العلمية المعتمدة في هذا الميدان. فهو يحظى بقيمة أساسية لمعرفة تاريخ الحضارات القديمة والثقافات المادية واللامادية بشمال إفريقيا وبالمغرب بالتحديد.

إن الدارس في علم الآثار والتراث يسعى دائما إلى تقديم مقاربات علمية ومنهجية جديدة في مجال تخصصه واشتغاله. فلا شك أن الباحث الأثري يساهم في إغناء الدراسات والأبحاث الأكاديمية باكتشافاته وإسهاماته العلمية الجديدة في هذا المجال. وعلى أية حال، تكمن أهمية دراسة موضوع الفن الصخري بشمال إفريقيا في معرفة والكشف عن أهم خصائص ومميزات الثقافات المادية واللامادية للمجتمعات البشرية خلال العصور القديمة، والقواسم المشتركة والتشابهات بين هذه الحضارات الإنسانية العريقة.

صورة رقم ٣: بعض الدراسات الأكاديمية والأبحاث العلمية حول الفن الصخري بالمغرب وبشمال إفريقيا.

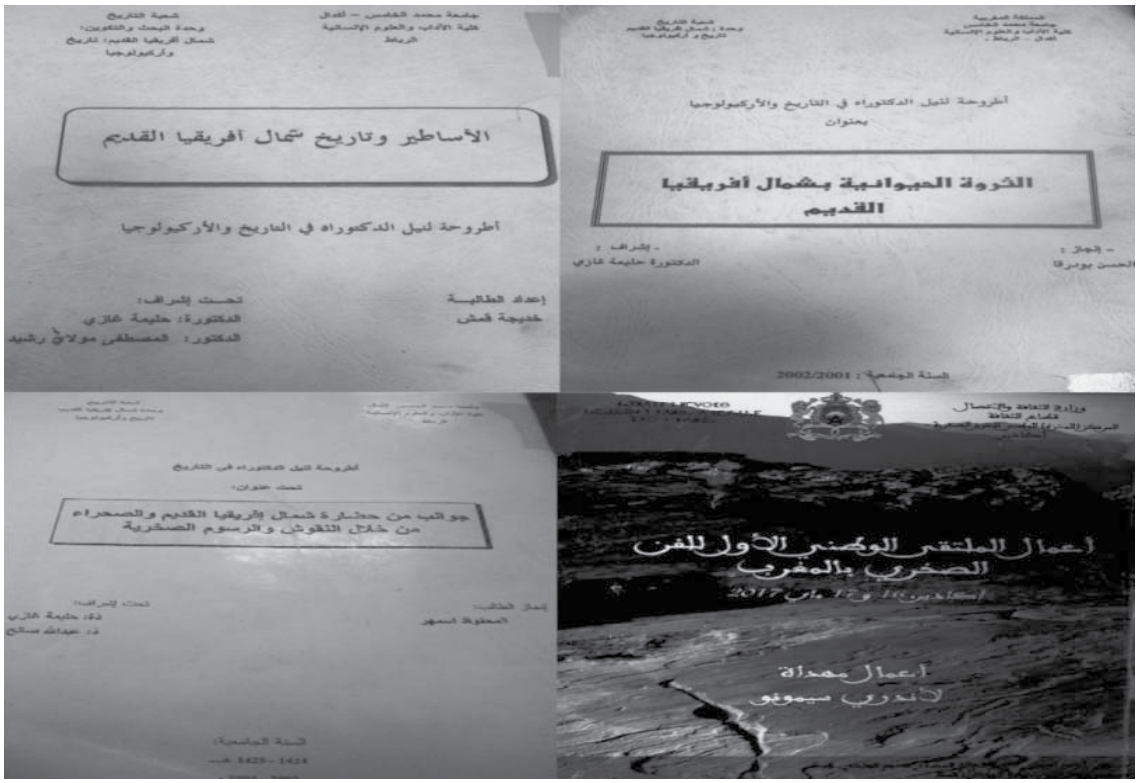

المصدر: أرشيف خاص ٢٠١٢-٢٠١٨م

٦-ص ص ص ص ب ص ص ص ص ص ص؟ا؟ا؟: ؟ژژ؟ژ؟ ص ص ژ؟ ؟ژ؟ژژء؟

ظل ميدان الآثار والتراث في المغرب خلال السنوات الماضية حكرا على الباحثين الأجانب والمستعمرين الفرنسيين والإسبان. لكن ومع استقلال المغرب بدأت الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية ترى النور من خلال محاولتها الإلمام بمختلف القضايا والمظاهر والقضايا المرتبطة بالفن الصخري من زوايا وجوانب مختلفة ومتنوعة.

كما حاول الانثروبولوجين والمؤرخون والآثاريين مقاربة موضوع الفن الصخري من كل الزوايا كل واحد حسب تخصصه وتعمقه. فقد بادر في بداية الأمر بعض المؤرخين إلى الإشارة لهذه الحلقة المفقودة في التاريخ العام (المرحلة القديمة). ثم جاءت بعد ذلك محاولات كثيرة لمجموعة من الآثاريين لنفض الغبار عن هذا المجال الخصب بالاكتشافات، إذ قدموا فرضيات وتخمينات كثيرة حول تاريخ الاستقرار البشري وأصل الإنسان. لكن حدث اصطدام بين الانتروبولوجين والأثريين في أصل تطور الإنسان الحجري الحديث، إذ وقع اختلاف بين الفرضيات المشيرة إلى أن أصل الإنسان البشري

من القارة الإفريقية.

وعلى أية حال، إن هذا التضارب المعرفي في العلوم الإنسانية أدى إلى ظهور مناهج وتقنيات متعددة تقارب موضوع الفن الصخري من خلال إشكالات معرفية راهنة ومعاصرة، ليصبح هذا الميدان بكرا وحديثا لمستقبل للدراسات الأكاديمية والعلمية[١٧]. من جهة أخرى، يعد الفن الصخري بالمغرب وبشمال إفريقيا مصدرا من مصادر التوثيق والتدوين والتحيين لكتابة التاريخ والتراث القديم بواسطة استعمال وتوظيف وسائل البحث العلمي الميداني خاصة مناهج الجرد والتوثيق والنظم المعلوماتية الخاصة بالتحليل والاستقراء. وأخيرا، المناهج الجديدة في التحقيب والتأريخ المطلق بالراديوكمياء وتخصصاته المتشعبة[١٨].

وأمام التحولات السريعة التي يعرفها البحث العلمي على الصعيد العالمي في الآونة الأخيرة، أصبح من اللازم طرح تصورا جديدا لكتابة تاريخ وتراث المغرب القديم وبشمال إفريقيا والصحراء الكبرى عموما، مما يحث العلماء والباحثين في التاريخ القديم على بناء منهج جديد وفق المؤهلات والمميزات العلمية التي يتوفر عليها الباحثون المغاربة والأفارقة والعرب والأجانب لتدارك النقص الحاصل في الدراسات الأثرية والاركيولوجية على المستوى الدولي. وهذا ما نسعى من خلال هذا المقال إلى توجيه الباحثين لدراسة عصور ماقبل التاريخ والتاريخ القديم وفق مقاربة جديدة توظف كل المناهج والعلوم والتقنيات الحديثة في مجال التكنولوجيا والاتصال والمعلوميات الحديثة. إضافة إلى إنجاز إسهامات علمية جديدة كالندوات العلمية والأيام الدراسية الوطنية والدولية وفتح أوراش علمية متخصصة في التراث القديم كالحفريات والتنقيبات وعقد مشاريع أبحاث مشتركة بين دول المغارب والوطن العربي، ثم نشر مقالات علمية في مجالات محكمة دولية وطنية وكتب فردية وجماعية متخصصة في الكتابة التاريخية والأنتربولوجية انطلاقا من مدخل أو موضوع الفن - التراث الصخري.

صورة رقم٤: بعض المنشورات التاريخية والأثرية حول المغرب القديم

المصدر: أرشيف خاص ٢٠٢٢م

٥- ؟,,,؟؟ ,,,,,,؟,؟؟ ,؟,,,؟؟ ,؟,,,ا؟ا؟ ,,؟,,,؟ ,؟,,ا؟ ,؟ ,؟,؟ ,؟,؟ ,؟,,,,ب

شهدت عملية كتابة التاريخ بالمغرب القديم في السنوات الأخيرة تحولات مهمة بفضل أعمال وجهود كثيرة استطاعت أن تحقق انجازات وتراكمات معرفية وتحولات منهجية ونظرية. إن معظم الدارسين لعلم التاريخ والتراث بالمغرب القديم قد أثاروا ملاحظات واستنتاجات كثيرة حول أهم القضايا والإشكالات التاريخية التي يطرحها الإنسان والمجال بالمغرب القديم مند العصور الحجرية القديمة حتى مرحلة ما قبل الإسلام. وفي هذا الصدد سنحاول الوقوف على بعض مشاكل وعراقيل الكتابة التاريخية بالمغرب القديم وهي كالتالي:

٥-١ ؟,,؟ ,؟,,,,؟:

عرفت الكتابة التاريخية بالمغرب القديم تطورا نوعيا وكيفيا خلال مرحلة ما بعد التسعينيات من القرن الماضي. وقد تطورت الكتابة التاريخية من خلال الحقبة الاستعمارية الكولونيالية. لكن تمت عراقيل وإشكالات كثيرة تُطرح خلال عملية قراءة الشواهد الأثرية والتاريخية. ويعد هذا المشكل (قراءة الشواهد الأثرية) أحد المشاكل الكبرى التي واجهت الباحثين في التاريخ القديم، مما جعلهم يقعون في هفوات كثيرة انعكست سلبا على مجمل التاريخ المغربي والمغاربي. وبفضل انفتاح الباحثين على مختلف المناهج الإنسانية والاجتماعية والطبيعية خاصة المساعدة لعلم التاريخ والتراث والآثار، وحنكتهم تم تمحيص وقراءة الإرث التاريخي القديم قراءة جديدة تواكب تطورات الوقت والزمن. وقد اكتملت الرؤى والتصورات حول تاريخ المغرب القديم مند إصدار كتاب تاريخ المغرب: تحيين وتركيب[١٩]. إذ أسهم هذا الإصدار في إعادة كتابته كتابة ذات مصداقية خالية من الشواهد الاستعمارية والإيديولوجية للتاريخ العام.

٥-٢ ,,,,؟ ,؟,,,ا؟:

برزت كتابات علمية ذات قيمة حول تاريخ المغرب القديم منذ مطلع القرن ٢١م، بحيث تنادي بإعادة كتابة تاريخ المغرب وبلدان المغارب وتصحيح بعض الأخطاء والمغالطات التاريخية والأثرية حول تاريخ الاستقرار البشري والاستيطان القديم[٢٠]. لقد تم تأويل بعض الكتابات والأفكار حسب المعرفة المسبقة من طرف الباحثين. هذا ما أسهم في الحكم على بعض المعطيات والمعلومات التاريخية بالمطلق والقطعية دون وضعها في محك التحقيق والتمحيص والتأويل وتوليد الأفكار والمعاني. ومنذ مرحلة استقلال المغرب بدأ الباحثون المغاربة إلى كتابة التاريخ القديم والوطني القومي من منظور شمولي وعام. وبالرغم من هذا، فقد وقع بعض الباحثون في تأويلات خاطئة حول التاريخ القديم خاصة في قضايا التجارة والسلطة خلال المرحلة القديمة، حيث زعموا أن شمال المغرب هو مركز القرار ومنشئ الحضارة المغربية ومحور التقاء الحضارات القديمة. في حين أثبتت الدراسات والأبحاث الأثرية الجديدة أن الجنوب المغربي[٢١] شكل محطة وحلقة رئيسية في التاريخ المغربي

الصحراوي القديم، باعتباره يضم العديد من الشواهد الأثرية الاركيولوجية كالمقابر الجنائزية والنقوش الصخرية والبنايات المجهولة الغير معروفة.

٥-٢ ؟,,؟ ,؟,,,,؟ ,,؟,,,,؟:

اتسمت الكتابات الكولونيالية حول المغرب القديم بالتشكيك والتزييف في عدة مفاهيم ونظريات حول الدولة والمدينة. وقد فسرت بعضها بمصطلحات غربية تم إسقاطها على المجتمع المغربي دون احترام خصوصياته المتعددة والمتنوعة. وأمام هذا الإشكال المعرفي «التفسير الخاطئ» استطاع الباحثون المغاربة الجدد من تجاوز ذلك الانزلاق في محاولة تفسير بعض الأحداث والكتابات الاستعمارية حول المغرب القديم بمجموعة من الإيديولوجيات الغربية. كما ذهب بعض المؤرخين والاركيولوجين المغاربة إلى البحث والتنقيب في المواقع الأثرية القديمة وفي الخزانات العامة والخاصة المحلية والدولية لإعادة كتابة التاريخ الوطني يأخذ بعين الاعتبار إحياء التراث القديم والاستفادة من النصوص القديمة بهدف تأويله ونقده وتعميق البحث والتحري في تاريخ وتراث المغرب القديم، رغم وجود بعض الصعوبات المنهجية والمعرفية والزمنية التي واجهتهم أثناء عملية تفسير وتحليل المعطيات التاريخية القديمة.

٥-٤ ,,,,؟ ,؟,,,,؟:

تعتبر عملية التأريخ من أعقد المشاكل والتحديات التي تقف أمام المعرفة التاريخية والأثرية بالمغرب القديم وبالصحراء الكبرى[٢٢]، حيث ما تزال عملية التأريخ المطلق نادرة ونسبية بالرغم من بعض المحاولات القريبة التي تعتمد على عمليات التأريخ الحديثة باستخدام الكربون (C١٤) المعتمد في الحفريات الأثرية خاصة في المغارات والكهوف التي تعود إلى مرحلة العصر الحجري القديم أو الأوسط أو الأعلى. لكن رغم هذه النسبية في المعرفة التاريخية إلا أنها تقدم رؤى ونظريات معرفية لأبأس بها من حيث المعلومة والمنهج والأسلوب. وأمام هذه الإشكالية التاريخية يبدو أن كتابة التاريخ بالمغرب القديم تظل محدودة أمام قلة تدوين وتوثيق تاريخ الإنسان بشكل عام. لكنها تفتح آفاق جديدة وواسعة أمام البحث الأثري للكشف عن خبايا والغاز التاريخ والتراث القديم[٢٣]. إن عملية التأريخ المطلق بالمغرب وبدول شمال إفريقيا ما تزال تحتاج إلى سنوات كثيرة من التحصيل العِلمي والعَملي وتراكم الخبرات والانتاجات العلمية للوصول إلى المعرفة التاريخية الصحيحة. فهي في أوج الاهتمامات والعناية بها خلال السنوات الماضية من خلال ظهور اكتشافات جديدة في مجال الآثار والتراث القديم.

٦- ,؟,؟؟ ,؟,,,,؟ب ,,؟,,,؟؟ ,؟,,؟ا؟: ,,,؟ ؟,,,ب ,,,,؟,؟ ,,,,,,ا؟ ,,,,,,؟

يعكس الفن الصخري تَيمات وموضوعات عديدة ومتنوعة تدل على أهمية الحيوانات في حياة الإنسان القديم. وتتركز هذه الثروة الصخرية بالمغرب القديم في مجموعة من المناطق المتخمة للصحراء وفي المناطق الجبلية ومضايق الأودية والأنهار. ويشكل بذلك ثروة حضارية وثقافية

كبيرة عبر مختلف جهات ومناطق المغرب والتي تنتمي إلى مراحل تاريخية قديمة.

والى جانب هذا، يوحي الفن الصخري بالعالم بشكل ايجابي على أنماط عيش الإنسان وأهم أنشطته اليومية والخصائص البيئية والمناخ القديم. فهو يدل على تاريخ وتراث مشترك غني ومتعدد الجوانب والحلقات المهمة من التاريخ العام للإنسانية. وبالرغم من صعوبة تأريخ هذا الفن الصخري بشكل عام والنقوش الصخرية بشكل خاص، فإن الباحثين والدارسين للتاريخ القديم يعتمدون على الملاحظة والمقارنة والتأويل من أجل وضع تصور شامل وإطار كرونولوجي تقريبي[٢٤] لمختلف المراحل التاريخية القديمة، وأهم التحولات الطبيعية والمناخية التي طرأت على الوسط البيئي والطبيعي بالمغرب القديم والمشرق العربي[٢٥]، مع التنويع والانفتاح على المصادر والمراجع القديمة المغربية والأجنبية. ولهذا، فالفن الصخري مازال يتعرض بشكل مستمر لأشكال التدمير والتخريب والاتجار الدولي في الممتلكات الثقافية وبالآثار والتراث[٢٦]، إذ يعتبر التدخل البشري من أعقد الأنواع والمخاطر التي تهدد التراث الصخري حيث تنم عنه ممارسات غير واعية بالأهمية التاريخية والأثرية والثقافية لهذا التراث في حياة الإنسان القديم.

وأحيانا، نجد أفعال وممارسات واعية ممنهجة تستهدف هذا الميدان بشكل مباشر. إن هذه الأخطار والمشاكل التي تهدد هذا النوع من التراث الثقافي العالمي، يجب العمل على توحيد جهود وتصورات المتدخلين في الشأن الثقافي والتراث المادي بالمغرب والعمل على محافظته وحمايته وإدماجه في مسلسل التنمية المستدامة، نظرا لأبعاده وقيمه الإنسانية العالمية المشتركة.

ونتيجة لهذه الأعمال والأفعال التي يتعرض لها التراث القديم (الفن الصخري)، فإنه يجب إعطاء الاهتمام الكبير لعلميات التنقيب والتوثيق العلمي والحماية القانونية والمؤسساتية، ومختلف الإجراءات العملية التي يمكن من خلالها إعادة الاعتبار لهذا التراث عبر إدماجه في مخططات التنمية والتهيئة الترابية وفي برامج التأهيل والتثمين والتوظيف عبر إحداث مشاريع تنموية مستدامة في مجال السياحة الثقافية والتضامنية التي يمكن أن تعتمد على التسويق والترويج لمواقع الفن الصخري بشمال إفريقيا.

إجمالا، يعتبر المغرب من أقدم مناطق الاستقرار البشري بشمال إفريقيا التي تتوفر على العديد من المؤهلات الاركيولوجية والأثرية والتاريخية، بحيث تشهد على تعاقب حضارات إنسانية عريقة وعلى استيطان بشري قديم. وهي كلها مقومات حضارية وأثرية من شأنها تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة في حالة حسن استغلالها واستثمارها وتوظيفها وتثمينها. ويعكس الفن الصخري جانبًا من جوانب الحضارة الإنسانية القديمة بشمال إفريقيا، وتراثًا تاريخيًا وثقافيًا، نظرا لقيمته الفنية والجمالية التي تشهد على تواجد الحضارات الإنسانية القديمة منذ أزمنة غابرة.

؟،،،،

يتضمن الفن الصخري بالمغرب القديم مواضيع وتَيمات عديدة ومتنوعة، وتختلف حسب التوزيع الجغرافي والمجالي. لكنها تتوحد في مواضيع مهمة وهي الحيوانات البرية والأشكال الآدمية والبقريات التي تعد من أهم المواضيع الأكثر انتشار في قائمة الفن الصخري بالمغرب القديم. إلى جانب مواضيع مختلفة ذات بعد حربي وديني كالطقوس التعبدية التي كان الإنسان القديم يمارسها والآلهة التي يقدسها، ومواضيع اجتماعية كاللباس والزينة وأنشطة المرأة والرجل في المجتمع القديم.

وبحكم التقارب الجغرافي بين مراكز المغرب القديم والتشابه الحاصل في هذه المواضيع بالمجالات الصحراوية وشبه الصحراوية والجبلية، يمكن الحديث عن وجود تواصل بين المجموعات البشرية القديمة، فهي تظل فريدة على مستوى الأسلوب والتقنيات المستعملة في هذا الفن. أمام هذه التحولات المناخية والبيئية التي تعرفها دول شمال إفريقيا يجب توفير المحافظة لهذا الإرث الثقافي والإنساني من الاندثار والزوال وضمان حمايته وتوظيفه وتثمينه، لكونه تراث ثقافي للإنسانية.

أصبح من الواجب على خبراء وعلماء التراث والآثار المغاربة والعرب الذين يشتغلون على الدراسات الأثرية القديمة الكشف عن المعلومات التاريخية والاثنوغرافية التي تتعلق بماضي البشرية، قصد الاستفادة منها في معرفة مقومات الحضارات القديمة والأنشطة اليومية وأهم التأثيرات والتفاعلات بين الإنسان والمجال والبيئة مند العصور الحجرية القديمة، مع الإلمام بمختلف المناهج الأثرية والتاريخية والانتربولوجية والباليونتولوجية لغرض الحصول على المعلومات والمعطيات التي يمكن أن تساهم في الكشف عن خبايا وأسرار الحضارات القديمة قصد إنتاج كتابة تاريخية جديدة من منظور الرؤية والمنهج والأسلوب.

ويتطلب الوصول إلى المعرفة التاريخية والأثرية الدقيقة حول المغرب القديم وبشمال إفريقيا خضوع الدراسات الميدانية إلى التحريات والبحث والتقصي الميداني وصولا إلى الحفريات والتنقيبات الأثرية لغرض جمع المادة العلمية ودراستها ومقارنتها مع مختلف الدراسات السابقة سوءا كانت عربية أو أجنبية في هذا الميدان، بعيدا عن توظيف التوجه الايديولوجي. لهذا يبقى الرهان على الباحثين الجدد المتخرجين من الجامعات والمؤسسات والمعاهد البحثية الوطنية والدولية فتح مسار جديد من البحث الأثري وخلق تواصل وتكامل فعال بين جل الباحثين والمهتمين بالتاريخ القديم المغاربي والعربي قصد كتابة صفحات من التاريخ الجديد الدقيق ومقاربة إشكالات كبرى اعتماد على قراءة النصوص الأدبية والبقايا الأثرية للتأكد من التأويلات الخاطئة التي وضعها الأجانب حول المجتمعات القديمة، بل فحسب نحو تأسيس **مدرسة عربية جديدة لدراسة الفن الصخري**.

عموما، إن البحث التاريخي والأثري بالمغرب يحتاج إلى قراءات وتأملات في عوائق وإشكالات البحث التاريخي بالمغرب

القديم، بل إلى جهود كبيرة على مستوى التأطير والبحث والانفتاح على اللغات الأجنبية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، واستنطاق الإنتاج الكولونيالي الاستعماري قصد السير بالمعرفة التاريخية إلى الأفضل لتحقيق نتائج ايجابية على مستوى المعلومة والمنهج والنظرية. ويبقى الغموض الذي يكتنف موضوع الفن الصخري وقلة المصادر والمراجع في التاريخ القديم من أهم المشاكل والمعيقات التي تواجه المعرفة التاريخية بالمغرب القديم.

وعلى سبيل الختم، إن الحفاظ على تراثنا الحضاري والتاريخي القديم، يجب أولا العناية بالدراسات الميدانية والمسوحات الأثرية التي تعتبر مفتاحا أساسيا لفهم طبيعة العلاقات بين الإنسان والمجال عبر العصور والأزمنة الغابرة، فهي جزء من الدراسات المعمقة حول الفن الصخري التي تحاول إعطاء صورة شاملة وعامة حول مميزات ومكونات التراث القديم مع ضرورة الانفتاح على العلوم الأخرى لتجاوز دائرة التخصص الضيق بغية تحقيق التراكُمات والنظَريات المعرفية والانـجـازات الفِكرية والعِلمية الجَديدة.

الحواشي

(1) 1-Mustapha Nami, Art rupestre: Des documents archéologiques précieux en voie de disparation, Patrimoine et musées Du Maroc Publication IRCAM, série colloques et séminaires N 11, 2007 p 20.

(٢) المحفوظ أسمهري، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، ضمن كتاب: أضـواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضاراته، تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق: حليمة غازي بن ميس والبيضاوية بلكامل، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر الرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص ١٠٢.

(٣) للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص١٤٩-١٦٥.

(٤) رشيد صديق، النقوش الصخرية بـوادي صياد بجهة كلميم واد نون: من الجرد والتوثيق إلى الدراسة ورد الاعتبار، مجلة سلسلة تراث وفنون الجنوب المغربي، العدد ٠١، خريف ٢٠٢١م، مطبعة أمين كراف، ص ٣٤.

(5) Maurice Reygasse, Monuments funéraires pré-islamiques de l›Afrique du Nord, paris, éd arts et métiers graphiques, 1950.

(٦) اسـم ومصطلح أمازيغي، يطلق على القبور الجنائزية القديمة بالمغرب القديم خاصة في الجنوب المغربي.

(٧) الاسم المحلي للقبور الجنائزية المعروف لدى أوساط الساكنة (واحات وادي صياد جنوب المملكة المغربية).

(٨) أحمد أموس، الفن الصخري بالمغرب، تراث ثقافي عريق بين تحديات المحافظة ورهانات التنمية، مؤتمر الطائف حول امن وسلامة الآثار والمنشات السياحية، منشورات كلية العلوم الأمنية بالمملكة السعودية، بدون تاريخ، ص ١.

(9) Ahmed Skounti, Abdelkhalek lemjidi, Mustapha Nami, Tirra: aux origines de l'écriture au Maroc, Publication IRCAM, Rabat 2004, P 20.

(١٠) عبد الله صالح، "لمحة عن التاريخ القديم"، ضمن كتاب: الصحراء الاطلنتية: المجال والإنسان، تنسيق رحـال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ٣٣.

(١١) للمزيد من المعلومات يجب الاطلاع على، فهرس

النقوش الحجرية بالجنوب المغربي، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ١٩٧٧، ص ١٢٣-١٢٤.

(١٢) نذكر أعمال وأبحاث الأستاذ المحفوظ أسمهري، عبد الخالق المجيدي، نعيمة أولمكي، وأعمال وتحريات الفريق الاركيولوجي سوس ثكنة ...وغيرها.

(١٣) نسجل هنا أعمال الأستاذ صالح، والسكونتي، المجيدي، النامي، أولمكي ...وغيرهم.

(١٤) أنظر: مصطفى أعشي، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، فاس ١٩٩٨-١٩٩٩ (غير منشورة).

(١٥) أنظر: المحفوظ أسمهري، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص التاريخ والاركيولوجيا، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط ٢٠٠٤-٢٠٠٣ (غير منشورة).

(١٦) أنظر: الحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة لنسل شهادة الدكتوراه في التاريخ والاركيولوجيا، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط ٢٠٠١-٢٠٠٢ (غير منشورة).

(١٧) انظر:

عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠١٦، ص٧٨.

سيدي محمد العيوض، مدن ومراكز المغرب القديم، مطبعة رباط نت، الرباط، الطبعة الأولى٢٠١١، ص ١١٣.

المغرب القديم: قضايا تاريخية ومنهجية، تنسيق مصطفى بودريبيلة وعبد السلام التايب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر اكادير، مطبعة سوس، أكادير، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٠٣.

سمير أيت أمغار، الماء في المغرب القديم، مطبعة باب الحكمة، تطوان المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص ٢٩.

(١٨) عبد الخالق المجيدي، جوانب من تاريخ الجنوب المغربي القديم من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، ضمن كتاب: المغرب القديم، قضايا تاريخية ومنهجية، تنسيق مصطفى بودريبيلة، عبد السلام التايب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامع ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس أكادير، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص٧٢.

(١٩) تاريخ المغرب: تحيين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١١.

(٢٠) محمد بوعجاجة، "الاستيطان البشري بالمغرب ماقبل التاريخ"، ضمن كتاب دراسات حول الجنوب والصحراء، تنسيق: أحمد المقري، جامعة ابن زهر أكادير، منشورات مختبر الأبحاث حول الصحراء، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص ٧٧- ٧٨.

(٢١) عبد الخالق المجيدي، جوانب من تاريخ الجنوب المغربي القديم من خلال الرسوم والنقوش الصخرية، ضمن كتاب: المغرب القديم، قضايا تاريخية ومنهجية، تنسيق مصطفى بودريبيلة، عبد السلام التايب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامع ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس أكادير، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص ٥٩-٧٢.

(٢٢) الكبرى: المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة ليبيا، المجلد الأول، العدد الحادي عشر، سبتمبر ٢٠١٨، ص ٢٥٣-٢٨٥.

(٢٣) عمار أكراز، عبد العزيز الخياري، «البحث الاركيولوجي والتاريخي المتعلق بالمغرب القديم»، مجلة أمل، عدد ٢٧، ٢٠١٢، ص ١٢٣.

(24) Henri Lahote, Chronologie de l›art rupestre nord-africain et saharien, L›Anthropologie, Paris, 1984, P29.

(٢٥) انظر:

- غيات كلسلي، المناخ ودوره في تطور مجتمعات ما قبل التاريخ في المشرق العربي، مجلة مهد الحضارات، العدد المزدوج ٢١-٢٢، ص ٤١-٤٥.

- سمير أيت أومغار، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم، مجلة أسطور، العدد ٣، كانون الثاني، يناير ٢٠١٦م، ص ٥٢-٦٦.

(26) Bokbot Youssef, Tourisme, patrimoine et développement dans les zonés sahariennes du Maroc; in tourisme saharien et développement durable enjeux et approches comparution, colloque internationale a tozenr Tunisie 9-11 Novembre, imprimer officielle de la république tunisienne 2007, p 373.

قائمة المصـــادر والمراجع

١- **باللغة العربية:**

- أحمد أمـوس، الفن الصخري بالمغرب، تراث ثقافي عريق بين تحديات المحافظة ورهانات التنمية، مؤتمر الطائف حول امن وسلامة الآثار والمنشئات السياحية، منشورات كلية العلوم الأمنية بالمملكة السعودية، بدون تاريخ.
- تاريخ المغرب: تحيين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
- الحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة لنسل شهادة الدكتوراه في التاريخ والاركيولوجيا، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط ٢٠٠١-٢٠٠٢م (غير منشورة).
- رشيد صديق، النقوش الصخرية بـوادي صياد بجهة كلميم واد نون: من الجرد والتوثيق إلى الدراسة ورد الاعتبار، مجلة سلسلة تراث وفنون الجنوب المغربي، العدد ٠١، مطبعة أمين كراف، خريف ٢٠٢١م.
- سمير أيت أمغار، الماء في المغرب القديم، مطبعة باب الحكمة، تطوان المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
- سيدي محمد العيوض، مدن ومراكز المغرب القديم، مطبعة رباط نت، الرباط، الطبعة الأولى٢٠١١.
- عبد الخالق المجيدي، جوانب من تاريخ الجنوب المغربي القديم من خـلال الـرسـوم والنقوش الصخرية، ضمن كتاب: المغرب القديم، قضايا تاريخية ومنهجية، تنسيق مصطفى بودريبيلة، عبد السلام التايب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامع ابن زهر أكادير، طباعة ونشر سوس أكادير، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسـلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠١٦م.
- عبد الله صالح، "لمحة عن التاريخ القديم"، ضمن كتاب: الصحراء الاطلنتية: المجال والإنسان، تنسيق رحـال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- عمار أكـراز، عبد العزيز الخياري، "البحث الاركيولوجي والتاريخي المتعلق بالمغرب القديم"، مجلة أمل، عدد ٢٧، ٢٠١٢م.
- غيات كلسلي، المناخ ودوره في تطور مجتمعات ما قبل التاريخ في المشرق العربي، مجلة مهد الحضارات، العدد المزدوج.
- فهرس النقوش الحجرية بالجنوب المغربي، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ١٩٧٧م.
- المحفوظ أسمهري، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، ضمن كتاب: أضـواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضاراته، تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق: حليمة غازي بن ميس والبيضاوية بلكامل، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر الرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- المحفوظ أسمهري، جوانب من حضارة شمال

إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص التاريخ والاركيولوجيا، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط ٢٠٠٤-٢٠٠٣م (غير منشورة).

- محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣م.
- محمد بوعجاجة، "الاستيطان البشري بالمغرب ماقبل التاريخ"، ضمن كتاب دراسات حول الجنوب والصحراء، تنسيق: أحمد المقري، جامعة ابن زهر أكادير، منشورات مختبر الأبحاث حول الصحراء، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
- مصطفى أعشي، العقائد والمعبودات في المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، فاس ١٩٩٨-١٩٩٩م (غير منشورة).
- وريدة على المنقوش، الفن الصخري بالصحراء الكبرى: المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة ليبيا، المجلد الأول، العدد الحادي عشر، سبتمبر ٢٠١٨م.

٢- باللغة الأجنبية:

- Ahmed Skounti, Abdelkhalek lemjidi, Mustapha Nami, Tirra : aux origines de l'écriture au Maroc, Publication IRCAM, Rabat 2004.
- Bokbot Youssef, Tourisme, patrimoine et développement dans les zonés sahariennes du Maroc; in tourisme saharien et développement durable enjeux et approches comparution, colloque internationale a tozenr Tunisie 9-11 Novembre, imprimer officielle de la république tunisienne 2007.
- Henri Lahote, Chronologie de l'art rupestre nord-africain et saharien, L'Anthropologie, Paris, 1984.
- Maurice Reygasse, Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord, paris, éd arts et métiers graphiques, 1950.
- Mustapha Nami, Art rupestre: Des documents archéologiques précieux en voie de disparation, Patrimoine et musées Du Maroc, Publication IRCAM, série colloques et séminaires N 11, 2007.

شرح أسماء الله الحسنى

أو

(إعلام اللبيبة الحسنا بمعاني أسماء الله الحسنى)

تأليف

العلّامة المحقق

أبي عبد الله، وليّ الدّين، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف العثمانيّ الدِّيباجي الشافعي، المعروف بالمَلَّوِي، أو بابن المنفلوطي، أو خطيب مَلَّوي

(٧١٣ـ٧٧٤هـ)

دراسة وتحقيق

د. طه محمد فارس

الإمارات

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء الله الحسنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً غيرَ واحدٍ، مَن أحصاها دخل الجنَّة، هو اللهُ الذي لا إله إلَّا هو، الرَّحمنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلَامُ، المُؤمِنُ، المُهَيمنُ، العزيزُ، الجَبَّارُ، المُتكَبِّرُ، الخالقُ، البارئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّار، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرَّافعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميعُ، البَصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغَفورُ، الشَّكورُ، العليُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرَّقيبُ، المُجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشَّهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القويُّ، المتينُ، الوليُّ، الحَميدُ، المُحْصِي، المُبْدِئُ، المُعيدُ، المُحيي، المُميت، الحيُّ، القَيُّومُ، الواجِدُ، الماجِدُ، الواحِدُ، الصَّمدُ، القادر، المُقتدرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الباطنُ، الوالي، المُتعالي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنتقمُ، العفوُّ، الرَّؤوفُ، مالكُ المُلكِ، ذُو الجَلال والإكرام، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغنيُّ، المُغْني، المانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهادِي، البَديعُ، الباقي، الوَارثُ، الرَّشيدُ، الصَّبورُ". [أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٠٧)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٨٠٨)، والحاكم في المستدرك برقم: (٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (١٠١)]

مقدمة

الحمد لله الذي له الأسماءُ الحُسنى والصفات العُلَى كلُّها، والصَّلاة والسَّلام على سيّدنا مُحمّد الذي أخبرنا بها، وبَشَّرنا بأنَّ مَن أحصاها دخل الجنّة وكان من أهلها، وبعد،

فقد اعتنى العلماءُ على مَرّ التاريخ بشرح أسماء الله الحسنى عناية كبيرة، واختلفت مناهجهم في ذلك، بين مُطوّل ومُختصر، وكان من جملة مَن نال شرفَ العنايةِ بها الإمامُ وليّ الدّين المَلّوي، فقد تناول في رسالته التي بين أيدينا الأسماءَ التي ذُكِرت في رواية الإمام الترمذي، وشرحها شرحاً مُوجزًا بعبارة سهلة مُحكمة، وكان ممَّا قاله في مقدمته المختصرة لشرحها: "يَقْرُب تناولها على الأعلى في الذكاء والأدنى"، كما نجده يقول في كتابه "إفهام الأفهام في شرح عقيدة العز بن عبد السلام" (ص: ١٥٢): "وقد ذكرتُ في شرح الأسماء الحُسنى ما يشفي على إيجازه وكفى".

وقد التزم المُؤلّف في رسالته هذه بما وعد به من الاختصار والإيجاز، فجاء شرحه بعبارات موجزة متينة، عميقة المعنى، دقيقة الدلالة.

وقد أخرجتُ هذه الرّسالة مُحقَّقة على ثلاث نسخ خطيَّة، وقَدَّمتُ للتَّحقيق بدراسة جعلتُها في مبحثين، تناولت في المبحث الأوَّل ترجمةَ المُؤلِّف، وأمَّا في المبحث الثاني فَتَحدَّثتُ عن موضوع الرِّسالة ونِسْبَتِها إلى المُؤلِّف، وعن النُّسخ الخَطيّة التي اعتمدتُّها، وعن عملي في التَّحقيق، وأرفقت نماذج من صُور المخطوطات المعتمدة.

هذا، واللهَ أرجو أن يجعلنا ممَّن يُحْصِي أسماء الله الحسنى حفظاً وفهماً وتَخَلُّقاً، وأن يُفيض علينا من أنوارها وأسرارها وبركاتها، إنَّه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

الدراسة

المبحث الأوَّل

ترجمة المؤلِّف[1]

أوَّلًا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف[2]، القرشي[3] العثمانيّ الدِّيباجيُّ[4]، الشَّافعي، الدّمشقي ثمَّ المصري، أَبُو عبد الله، وليُّ الدِّين ، المعروف بالمـلَّويّ[5]، والمنفَلُوطي[6]، أو بابن المنفلوطي، وكان يُعْرَف أيضًا بخطيب مَلّوي، ثمَّ عَرَّف نفسَه بالملّوي[7].

ثانيًا: ولادته ونشأته وأعماله

ولد وليُّ الدِّين الملّوي بدمشق سنة (٧١٣هـ)، ونشأ فيها على خير ودِيَانة وصَلاح[8]، وسمع من

---

(١) ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي ٢: ١٢٠، طبقات الشافعية للسبكي ٩: ٧، الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٤: ١٥٦، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: ٥٦٧)، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، تعريف ذوي العُلا لمن لم يذكره الذهبي من النبلا للفاسي (ص: ٢١٧)، السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٤: ٣٥٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ٣: ١٥١، الدُّرر الكامنة لابن حجر ١: ١١٠، إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة لابن تغري ١١: ١٢٥، الذيل التَّام على دول الإسلام للسخاوي (ص: ٢٦٠)، نيل الأمل في ذيل الدول لابن أبي الصفاء ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، كشف الظنون لحاجي خليفة ١: ٦٤، ٢: ١١٤١ ـ ١١٤٣، شذرات الذَّهب لابن العماد ٨: ٤٠٢، إيضاح المكنون للبغدادي ١: ٤١٦، ٢: ٥١٤، هدية العارفين للبغدادي ٢: ١٦٦، معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٢٧، ٢٨٩، معجم المفسرين لنويهض ٢: ٤٨٣.

(٢) في هدية العارفين ٢: ١٦٦ ذكر اسمه ونسبه فقال: محمد بن جمال الدين أحمد بن عثمان، وما ذكرته هو الأصح الذي اتَّفقت عليه كلمة علماء التراجم.

(٣) ذكر هذه النسبة الفاسي في تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧).

(٤) العثمانيّ الدِّيباجيّ: نسبة إلى الدِّيباج من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد تكون نسبة الدِّيباجيّ إلى صنعة الديباج (الحرير). ينظر: الأنساب للسمعاني ٥: ٤٣٥، ولب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ص١١٠.

(٥) نسبة إلى (مَلَّوَى) وهي اليوم إحدى مدن محافظة المنيا بصعيد مصر، قال السخاوي في الضوء اللامع ١١: ٢٢٨: (الملوي) بِفَتْح ثمَّ بلام مَفْتُوحَة مُشَدّدَة.

(٦) نسبة إلى منفلوط، وهي بلدة بالصعيد في غربي النيل، بينها وبين شاطئ النيل بُعد. ينظر: معجم البلدان ٥: ٢١٤.

(٧) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧)، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٨) ينظر: المصادر السابقة. قال ابن حجر في الدرر الكامنة ٥: ٣٣: "نشأ على قدم صدق في العبادة، والأخذ عن أدب الشيوخ".

جماعة وتفقَّه بهم، وحَدَّث عنهم، وبرع في فنون العلم، ثمَّ توجَّه إلى بلاد الرُّوم وأخذ عن جماعة من عُلمَائها وعاد، ثم طُلِب إلى الدّيار المصريَّة أيامَ النّاصر حسن بن محمد بن قلاوون (من ملوك وسلاطين الدولة القلاوونيَّة بمصر والشَّام: ت٧٦٢هـ)[١]، ودَرَّس الفقه بالمدرسة التي أنشأها النَّاصر حسن، كما درَّس التفسير بالمنصوريّة وغيرها، وأفتى ووعظ وذَكَّر، وحدَّث وأشغل، وجمع وألَّف، وانتفع النَّاس به، ولم يخلف في معناه مثله[٢].

ولوالده أبي العبَّاس، جمالِ الدّين[٣]، أحْمدَ بنِ إِبْرَاهِيم الملَّوي (ت: ٧٣٠هـ) الفقيهِ العالم، أقضى القضاة، الصّالحِ المبارك، نزيلِ دمشق، أثرٌ كبير في تكوين شخصية ولده محمد، فقد أخذ عنه وتفقَّه به وبغيره[٤].

ثالثًا: أخلاقه ومكانته العِلْميَّة

كان وليُّ الدِّين عالمًا مُتفنِّنًا، فاضلًا، صالحًا، خَيِّرًا، ورعًا، زاهدًا، عابدًا، عارفًا ربانيًّا، قليلَ التَّكلُّف، كثير الإنصاف ولو على نفسه، خبيرًا بدينه ودنياه، متواضعًا، مُطّرحًا لنفسه[٥]، من ألطف النَّاس وأظرفهم شكلا[٦].

عُرِف بالتَّفسير، والفقه، والأُصول، والنَّحو، والقضاء، والتَّصوّف، وكان من أعيان فقهاء الدِّيار المصريَّة[٧]، وكانت له اليد الطُّولى في الفقه، والأَصْلَين[٨]، والتَّصوّف، والمنطق[٩].

قال وليُّ الدِّين ابن العِرَاقي (أحمد بن عبد الرحيم ت: ٨٢٦هـ) [١٠]: "حدَّث، وتفقَّه، واشتغل بالعلوم، وبرع في التَّفسير، والفقه، والأصول، والتَّصوّف، وكان مُتَمكِّنًا من هذه العلوم، قادرًا على التَّصرُّف فيها، فصيحًا، حُلْوَ العِبَارة، حَسَنَ الوَعظ، بَصْرِيّ[١١] زمانه، كثيرَ العِبَادة والتّألُّه، جمع وألَّف، وشَغَل

(١) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي ٥: ١٢٥.

(٢) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥١، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ٣: ١١٢، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٣) ذكر ابن الملقن في طبقات الأولياء (ص: ٥٦٧) أنّ لقبه شهاب الدين، وليس كما قال.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩: ٧، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ١٦٥، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: ٥٦٧)، الدّرر الكامنة ١: ١١٠، الدّارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١: ٢٢٤.

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٦) ينظر: الذيل التامّ على دول الإسلام للسخاوي (ص: ٢٦٠).

(٧) ينظر: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥.

(٨) أي: أصول الاعتقاد، وأصول الفقه.

(٩) ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(١٠) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، ولي الدين أبو زرعة، العراقي الأصل، المصري، قاضي القضاة (ت: ٨٢٦هـ). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ١٠٥.

(١١) تشبيه بالحسن بن يسار البصري رحمه الله (ت: ١١٠هـ). ينظر: تهذيب التهذيب ٨: ٤٠٢.

وأفتى، وَوَعظ وذَكّر، وانتفع النّاسُ به، ولم يُخلِّف في معناه مثلَه"[١].

وقال الحافظ شهاب الدِّين ابن حِجّي (أحمد بن حِجّي ت: ٨١٦هـ)[٢]: "كان من ألطف النَّاس وأظرفهم شكلًا وهيئة، يجيد التَّدريس وله تآليف بديعة التَّرتيب، وكان يُصَغِّر عِمَّتَه ويَتَصَوَّف"[٣].

وقال تقيُّ الدِّين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ) عنه: "الإمام العلَّامة العارف الرَّباني..، درَّس وأفتى وأفاد، وانتفع الناس به في العلم والعمل، وكان ذا جلالة عظيمة عند الناس، ولهم فيه حسنُ اعتقاد، وكان الأمير يَلبُغا الخاصكي[٤] مُدَبّر الدّولة بمصر كثيرَ التّعظيم له، واستدعاه من دمشق إلى القاهرة، فحضر إليها، وكَثُر من النَّاس التَّردادُ إليه، والتَّعظيمُ له، والأخذُ عنه"[٥].

ومن كلامه الرَّشيق لَمَّا سُئل: أيُّهما أفضل: الإمامُ أمِ المؤذِّن؟

فقال: ليس الـمُنادِي كالـمُناجي[٦].

رابعًا: تَصَوُّفه

اتَّفقت كلمةُ كلِّ من ترجم لوليّ الدّين الملَّوي على تصوّفه علمًا وسُلوكًا، ولم يُعِب عليه أحدٌ من ذلك شيئًا، بل كان موضعَ ثناء ومَدح، ومؤلّفاته شاهدة بذلك.

إلَّا أنَّ شيخ الإسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ مع ثنائه الكبير على الملّوي في كتابيه إنباء الغمر والدُّرر الكامنة، نجده يقول عنه: "صنَّف عِدَّة تواليف صغار، فيها مُشكلات من تصوُّف الاتحادِيَّة"[٧]، وقال كذلك: "كان يميل إلى مقالة ابن العربي ويُدندن حولها في تواليفه ويُحمحِم[٨]، ولا يُكاد يُفصح"[٩]، وهذه تهمة خطيرة تطعَن في عقيدة الرَّجل وتصوّراته.

وما وقفتُ عليه من كلامه في كلٍّ من كتبه: إفهامُ الأفهامِ في شرح عقيدة العز بن عبد السلام، وتفسير سورة الكوثر وما يليها، وأبهج منهاج المعالي وأبهاها، ينفي هذه التهمة عنه أشدَّ النَّفي، بل إنَّنا نجده

---

(١) ينظر: الذيل على العبر ٢: ٣٥١، وينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حِجّي السَّعدي الحسباني الدمشقي الشافعي (ت: ٨١٦هـ)، ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ١٢.

(٣) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٤) ينظر: أعيان النصر وأعوان النصر ٥: ٥٨٤.

(٥) تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧).

(٦) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٧) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦. وكذا نقل السخاوي هذا الكلام في الذيل التام بحروفه (ص: ٢٦١).

(٨) الحَمْحَمة: صوت دُون الصَّوْت العالي. ينظر: تهذيب اللغة ٤: ١٥، الصحاح ٥: ١٩٠٥، مادة: حمم.

(٩) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣.

يؤكِّد بصريح العبارة فسادَ اعتقاد الحلوليَّة والاتِّحادِيَّة، وأنّ ذلك من عقائد النَّصرانيَّة وفساد تصوّرات الملاحدة.

وسأنقل من كلامه ما يدفع عنه هذه التُّهمة، بل نراه يهاجم جهلة المتصوّفة، وأتباعَ التَّصوّف الفلسفيّ، ويُؤكِّد أنَّهم أبعدُ ما يكونون عن التَّصوّف الحَقّ، فيقول: "وقد تَبِعَ الملاحِدةَ الاتِّحَادِيَّةَ[1] في عَظِيمَتهم بعضُ جَهَلةِ مُتَصَوِّفَةِ فَلْسَفَةٍ بَتْرَى، فظَنَّ قومٌ أنَّ ذلك مذْهَب الصُّوفيَّة، وحاشَ السَّادةَ الكُبَرَاء من ذلك حَاشَاهم، وإنَّ الفَلْسَفة وما استَقَرَّ من قواعدها لَأَبْعَدُ شيءٍ عن ذلك أيضًا"[2]، ثم يقول: "والاعتقادُ الحَقُّ البُرهَانِيّ الكَشْفِيّ: أنَّ الله تعالى مُتَوَحِّدٌ مُتَمَيِّزٌ بذاته عن سائر الذَّوَات"[3].

وقال في نفي الحُلُولِ: "فالعَلِيُّ الكبيرُ ـ سبحانه ـ لا يَحِلُّ حَادِثًا، ولا يَحِلُّهُ حَادِثٌ، لا كَمَا ادَّعَتْه مُشَبِّهَة اليهود، وتبعهم فيه الكَرَّامِيَّةُ الأَغْمَارُ وبعضُ الظَّاهِرية المغْرُورِين، ولا كَمَا تَوَهَّمَه بعضُ سَالِكِي دَرْبِ الفَنَاءِ بِلَا دَليل"[4].

ثمَّ يقول: "وما أسْلَمَ السَّلَفِيَّ من جميع المعَاطِب لسلوكه الدَّرب السُّلطَانيّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. وما نُقِل من مُوْهِم حلولِ الحَوادث أو فيها ونحوه عنِ السَّلف الصَّالح والأخبار النَّبويَّة، فالمراد به من غير شَكٍّ ولا رَيبٍ ما في آيات الكتاب العزيز، الذي ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] تُرَدُّ إلى المحْكَمَات بِحُسْن فَهْمِ الرَّاسِخين في العلم وتفهيمهم"[5]، ثمَّ قال: "والاعتقاد الحَقُّ البُرهَانيُّ الكَشْفِيُّ: أنَّ الله تعالى مُتَوحِّدٌ مُتَفَرِّد بذاته عن سائر الذَّوات، مُتَقَدِّسٌ عن انفعال أُوْلي المزَاجَات، وعن ممَاسَّة الجِسْمَانِيَّات، مُتَكَبِّرٌ عَزِيزٌ عن تَبَعِيَّته لها في الانقسام والحركات، والسَّكنات والانتقالات، ونحو ذلك"[6].

وفي تفسيره للفظ التسبيح من سورة النَّصر نجده يُبين مِلَلَ ونِحَلَ المُنحرفين الذين أرادوا تنزيهَ الله تعالى فعطَّلوا الصّفات أو شَبَّهوا الله بخلقه، وأنَّ قصد التنزيه عند بعضهم أوقعهم في القول بالحلول أو الاتحاد، فيقول: "التَّسبيح سَيرٌ في جلاليَّات الله العظيم، وفيه شِدَّةٌ إلَّا على الصِّديقين، فَقَلَّ السَّالمُ فيه، إمَّا من تعطيلٍ وتعجيز، كَمَن أَوجب لهم التَّبرئة إن وَحَّدوا فَعَطَّلوا الصِّفات وعَدَلوا، فَعَجَزوا عن مِنَح الألطاف ونحوه. وإمَّا من تسفيهٍ وإفحامٍ، كمَن أَوجب لهم التّبرئةَ إن وَحَّدوا، فَسَفِهوا بنفي الحِكمة،

---

(١) وهم القائلون بوحدة الوجود، وأن الخالق اتَّحد بالمخلوق، قال الشوكاني في الصوارم الحداد القاطعة (ص: ١٠٩): "هي قولهم: إنَّ الله سبحانه حقيقة كلُّ موجود من جسم وعَرَض ومخيل وموهوم، ولهذا فرعوا على هذه المقالة الملعونة فروعًا كفريّة منها: تصويب عبدة الأوثان، ومنها: تخطئة الأنبياء في الإنكار عليهم".

(٢) ينظر: إفهام الأفهام شرح عقيدة العز بن عبد السلام (ص:١٠٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص:١٠٦).

(٤) ينظر: إفهام الأفهام (ص: ١٠٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٠٩).

(٦) ينظر: المصدر السابق .

وأُفْحِموا إذْ وَرَّكُوا[1] على الله تعالى أوزارهم، وصاروا خُصماء الله عزَّ وجلَّ. وإمَّا من تشبيه وتشريك، كَمَن أوجب لهم التَّبرئة إن أثبتوا صفاتِ الكمال، فَشَبَّهوا وعَدَلوا، فَشَرَّكوا بخلق الأفعال. وكم أوقع التنزيه في ادِّعاء نحوِ الحُلول والاتِّحاد، والإباحة والإلحاد، والانحلال والزَّندقة، ولعلَّ جميعَ المِلل والنِّحَل دائرةٌ على تحقيق أهلِها تنزيهَ الباري تعالى عمَّا يخالفُ مِلَّتَها أو نِحْلَتَها"[2].

وعندما نقل بعض الألفاظ المشكلة في العقيدة عن بعضهم أكَّد أنَّ في استخدام ألفاظ الكتاب والسنة كفاية فقال:"وفي التَّعبير بألفاظ الكتاب والسُّنة كفايةٌ، مع إيضاحٍ سالمٍ من الإبهام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] فَطُوبى لمنِ اتَّبع ما يُوحَى إليه من ربِّه لا إلَه إلَّا هو، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، ولم تستَهْوِه البِدعةُ، والحائِدُ عن هذا لم يَعْصِم دَمَه ولا عِرْضَه وإن كان صحيح المقاصد"[3].

وقال في تفسيره لسورة الإخلاص: "فكثيرٌ منّ النَّاس وقع له عند ذلك غلطٌ من وجهين، أحدهما: توهُّمه أنَّ ذاك هو الذَّات الأقدس، أو أنَّ ما غمره من غواشي أنوار الحقّ وفاض عليه هو نفس نورِ الحقّ، أو أنَّ ما لَبِسَه عند ذلك من سَنيّ الصِّفات هو نفسُ صفات الحَقِّ تعالى، ولا يُخَلِّصُه من هذه الورطة الاتحاديَّة النَّصرانيَّة إلَّا بذكر قوله الحقّ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] مُتحقِّقًا أنَّ صفات الحَقّ لا تزايله لا حِسًّا ولا حُكمًا، وأنَّ نوره لا تحمله السموات والأرض ومن فيهنَّ"[4].

وقد ردَّ على بعض مُدَّعي التَّصوّف الذين يعتقدون أنَّ وجدان الحقّ تعالى بالمعنى المعروف عند أهله من المُحققين مُتولِّد من أعمال العبد ورياضته، فقال: "تَوهُّمُه أنَّ وُجدَانَه الحَقّ تعالى بالمعنى المعروف عند أهله من الـمُحَقِّقِين، مُتَوَلِّدٌ من أعماله ورِياضته، ولا يُنجِيه من هذه الوَرطَة القَدَرِيَّة المجوسِيَّة إلَّا بِذِكْر قولِه تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، فليس وُجُودُه الذِّهنيُّ أو الخارجِيّ بِمُستَفادٍ ولا مُتَولِّدٍ من غيره، بل إنَّما هو له سبحانَه بِذاته"[5].

وقال في كتابه: "أبهج مناهج المعالي وأبهاها" : "وأهل الاتحاد الإلحاديّ حُجَّتُهم داحضةٌ عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، وما منهم إلّا من هو على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]"[6].

فأين كلامه ممَّا نُسِبَ إليه من مُشكلات الحلوليّة والاتّحاديّة؟! والرَّجل يُحكَم عليه بما قال لا بما قِيل عنه، وإذا كان ذلك كذلك، فكلامُه يُبرِّئُه ممَّا نُسِبَ إليه، والله أعلم.

---

(١) أي: أحالوا، قال الجوهري في الصحاح ٤: ١٦١٤: "ورك ووَرَّكَ فلان ذَنْبه على غيره، أي قَرَفَهُ به"، مادة: ورك.

(٢) ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها [ق١٠٦/ب]، في تفسيره لسورة النصر.

(٣) ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها [ق١٠٧/ب]، في تفسيره لسورة النصر.

(٤) ينظر: المصدر السابق [ق١٧٣/أ]، في تفسيره لسورة الإخلاص.

(٥) ينظر: المصدر السابق [ق١٧٤/ب]، في تفسيره لسورة الإخلاص.

(٦) ينظر: نسخة الخزانة الحمزاوية في الزواية العياشية بالمغرب [ق٦/أ].

خامسًا: شيوخه

سمع وليّ الدِّين الملَّوي من جماعة وتفقَّه بهم، وممّن أخذ عنهم من الشيوخ[١]:

ـ والده أبو العبَّاس، جمال الدِّين، أحْمد بن إِبْرَاهِيم بن يوسف الملَّوي (ت: ٧٣٠هـ)[٢].

ـ وأبو العبَّاس، شهاب الدِّين، مسند الدُّنيا، أحمد بن أبي طالب الصالحي الحَجَّار بن الشّحنة (ت: ٧٣٠هـ)[٣].

ـ وأبو محمد، شرف الدِّين، عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت: ٧٣٢هـ)[٤].

ـ وأسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب بن صَصْرَى (ت: ٧٣٣هـ)[٥].

ـ ونور الدِّين، فرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج الأردبّيلي، نزيل دمشق (ت: ٧٤٩هـ)[٦]، قال العثمانيُّ الصَّفديّ (محمد بن عبد الرحمن ت: بعد ٧٨٠هـ): رأيته شابًا في حلقة النُّور الأردبّيلي، حسنَ الملبوس، مُشرقَ الهيئة[٧].

ـ وفرج بن عبد الله المغربي الصَّفَدِي الزَّاهِد الْفَقِيه الشَّافِعِي نزيل صفد (ت:٧٥١هـ)[٨].

وأخذ كذلك عن جماعة من علماء الرُّوم[٩].

سادسًا: تلامذته

كان وليّ الدِّين الملّويّ منهلًا عذبًا من مناهل العلم والمعرفة، حمل طلبة العلم على الإفادة منه والنّهل من معارفه، ومن هؤلاء:

ـ أبو الفضل، الكمال النُّويريّ، محمد بن أحمد العقيليّ الشَّافعيّ، قاضي مكَّة (ت: ٧٨٦هـ)[١٠].

---

(١) ينظر: الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، الدرر الكامنة ١: ١١٠، ٤: ٢٦٨، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

(٢) ينظر: الدرر الكامنة ١: ١١٠، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

(٣) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ١: ١٦٥، شذرات الذهب ٨: ١٦٢.

(٤) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ٣: ٢٨.

(٥) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ١: ٤٢٩.

(٦) ينظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦٩.

(٧) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧.

(٨) ينظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦٨.

(٩) ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١: ٤٦.

(١٠) ينظر: إنباء الغمر ١: ٢٩٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٢١٧، شذرات الذهب ٨: ٥٠٢.

- وصدر الدِّين، سُلَيْمَان بن يُوسُف بن مُفْلِح بن أبي الْوَفَاء الياسوفيّ الشَّافِعِي (ت: ٧٨٩هـ)[١].

- ومحبُّ الدِّين، خليل بن فرح بن سعيد المقدسيّ ثمَّ الدِّمشقيّ القلعي الشافعي(ت: ٧٨٩هـ)[٢].

- وعماد الدّين، إسماعيل بن أحمد البارينيّ الحلبيّ، الفقيه الشَّافعي (ت: ٧٩٨هـ)[٣].

- وأبو محمد، برهان الدّين، إبراهيم بن موسى الأبناسيّ (ت:٨٠١هـ) [٤].

- وأبو البركات، شرف الدِّين، موسى بن محمد بن محمد الأنصاري الشافعي قاضي حلب (ت: ٨٠٣هـ)[٥].

- وأحمد بن عبد الله بن الحسن شهاب الدين البوصيريّ المصريّ الشّافعيّ (ت: ٨٠٥هـ)[٦].

- ومحمّد بن عبد الله بن أبي بكر الأنصاريّ القليوبيّ ثمّ القاهريّ الشّافعيّ (ت: ٨١٢هـ)[٧].

- وعليّ بن أحمد بن أبي بكر الأدميّ المصريّ الشافعيّ (ت: ٨١٣هـ)[٨].

- ومُساعد بن ساري بن مسعود الهوّاريّ المصريّ الشافعيّ (ت: ٨١٩هـ)[٩].

- ومحمد بن عليّ بن محمد المشهديّ شمس الدِّين بن القطّان (ت: ٨١٩هـ)[١٠].

- ومحمد بن خليل بن هلال، عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي (ت: ٨٢٤هـ)[١١].

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١٥٢، الدرر الكامنة ٢: ٣١١، إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٧.

(٢) ينظر: إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٦. قلت:قد كتب الملوي له إجازة في نهاية تفسير سورة الكوثر وما يليها، وصرّح فيها بلقبه واسمه ونسبته.

(٣) ينظر: إنباء الغمر ١: ٥١٥، شذرات الذهب ٨: ٦٠٢.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥، المنهل الصافي ١: ١٧٨، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ١: ١٧٢، شذرات الذهب ٩: ١٢.

(٥) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٦٧، الضوء اللامع ١٠: ١٨٩، شذرات الذهب ٩: ٦٣.

(٦) ينظر: إنباء الغمر ٢: ٢٣٩، المجمع المؤسس ٣: ٣٨، الضوء اللامع ١: ٣٥٩، شذرات الذهب ٩: ٧٦.

(٧) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥٣، إنباء الغمر ٢: ٤٤٢، والضوء اللامع ٨: ٨٣، شذرات الذهب ٩: ١٤٦.

(٨) ينظر: إنباء الغمر ٢: ٤٧١، المجمع المؤسس ٣: ١٧٦، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين للغزي العامري (ص: ٢٢٩)، الجواهر والدرر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ٥: ١٦٣، شذرات الذهب ٩: ١٥٢.

(٩) ينظر: إنباء الغمر ٣: ١٢١، شذرات الذهب ٩: ٢٠٩.

(١٠) ينظر: إنباء الغمر ٣: ١١٨، والضوء اللامع ٨: ٢١٧، شذرات الذهب ٩: ٢٠٧.

(١١) ينظر: إنباء الغمر ٣: ٢٦٣، شذرات الذهب ٩: ٢٤٤.

سابعًا: مُؤلَّفاته

نقل ابن حجر عن ابن حِجّي ثناءَه على مُؤلَّفات الملّوي بقوله: "وله تآليف بديعة التَّرتيب"[١]، ولم يُذكر في ترجمته وفي فهارس الكتب إلَّا عددٌ يسير من مؤلّفاته، لم تتجاوز الخمسة، قد وقفت بعد التَّقصِّي والتَّمحيص على عدد كبير من تآليفه البديعة، التي تجاوزت الخمسين، من ذلك[٢]:

١ـ أربح مكتسب من الأسواق يومَ التَّلاق[٣] .

٢ـ إرشاد الطَّائِف إِلَى علم اللَّطائف من النفس والقلب والروح والعقل العارف[٤].

٣ـ إزالة الوسن عن الوجه الحسن، أو بيان من الأولى بأن تنكح أوَّلا[٥].

٤ـ إعراب التعوذ والفاتحة[٦].

٥ـ إعلام اللبيبة الحسنا بمعاني أسماء الله الحسنى[٧].

٦ـ إفهام الأفهام فِي معاني عقيدة عِزّ الدِّين بن عبد السَّلام[٨].

٧ـ الأمالي في الأُصول[٩].

٨ـ الإملاء الأكبر[١٠].

٩ـ أبهج مناهج المعالي وأبهاها وأعذب مناهل الموالي وأهناها (تفسير سورة الأعلى)[١١].

١٠ـ بيان أحق حقيقة الاحتفال وأقصد طريقة توصل إلى جميع أنواع الكمال[١٢].

---

(١) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧، وينظر: شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٢) سأذكرها مرتبة على حروف المعجم.

(٣) في الآداب والفضائل، ويوجد منه أكثر من نسخة، وأقوم بتحقيقه.

(٤) في التفسير، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١: ٦٤ له، وذكره البغدادي في هدية العارفين ٢: ١٦٦، وقد عثرت على نسخة منه.

(٥) في الفقه والآداب، عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(٦) من مخطوطات الظاهرية، وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم بن صالح الحندود، نشر في نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط١/ ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

(٧) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٢)، وتوجد منه أكثر من نسخة، وأقوم بتحقيقه.

(٨) قمتُ ـ بحمد الله ـ بتحقيق الكتاب، ونشر في دار جليس الزمان، ودار ضياء الشام، دمشق، سنة ٢٠١٩م.

(٩) ذكره المؤلّف في كتابه: إفهام الأفهام في شرح عقيدة عز الدّين بن عبد السلام (ص: ١٢٩).

(١٠) أشار إليه في نهاية كتابه: "هداية سبيل الرشاد في أقصر الآماد المتضمنة تفسير سورة العصر"، فقال [١٥/ب]: "ومن تَشَوَّف لأوسعَ من هذا فلْيُرَاجِع "**الإملاءَ الأكبر**".

(١١) عثرت على نسخة منه، مقابلة ومصححة بخط المؤلف.

(١٢) في العقيدة، وقد عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

١١ـ بيان الأرضى من العزلة وعِلاج المرضى[١].

١٢ـ بيان الأهدى من التَّعفُّف وقبول الـمُهْدَى[٢].

١٣ـ البيان الجميل لمحاسن (أو لشرف) [٣] القُرآن الجليل[٤].

١٤ـ بيان أُمَّهات المُهِمَّات (الأصغر والأوسط والأكبر)[٥].

١٥ـ بيان السُّنَّة المنصورة فيما سئل عنه من الإتيان والصورة[٦].

١٦ـ بيان شرف العِلم وفضله وأنواع الكرامة لأهله[٧].

١٧ـ بيان ما يصنعه اللّبيب إذا فقد الطَّبيب[٨].

١٨ـ تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني[٩].

١٩ـ تبيين معادن المعاني لمن إلى تبيينها دعاني[١٠].

٢٠ـ تحقيق الرّسالة الإلهية[١١].

٢١ـ تذكير السهوان بأسباب الكرامة والهوان[١٢].

٢٢ـ تفسير سورة العصر المتضمنة هداية سبيل الرَّشَاد في أقصر الآمَاد[١٣].

٢٢ـ تفسير سورة الفتح[١٤].

---

(١) في التصوف، يوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٢) في الفقه الشافعي، يوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٣) كذا قال في إفهام الأفهام.

(٤) شرح لحديث يبيّن مكانة القرآن الكريم، وقد ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٦)، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة، وقد حصلت عليها.

(٥) عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف، والأكبر أوسعها وأشملها.

(٦) في العقيدة، وقد عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(٧) في الآداب، عثرت منه على نسختين، وأعمل على تحقيقه.

(٨) في علم الكلام، توجد منه أكثر من نسخة.

(٩) في مباني الإسلام، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٤)، توجد منه أكثر من نسخة.

(١٠) في علوم القرآن، وهي الرسالة التي بين أيدينا.

(١١) ذكره في كتابه: "تلخيص الكلام في مسألة الكلام"

(١٢) وهو شرح لحديث من سنن الترمذي، ويوجد منه أكثر من نسخة، وأعمل على تحقيقه وإخراجه إن شاء الله.

(١٣) عثرت على نسختين منها.

(١٤) أشار إليه في تفسيره لسورة الكوثر [ق٣٨/أ]، فقال: "كما بُسِط في سورة الفتح".

٢٣ـ تفسيرُ سورة الكوثر وما يليها[١].

٢٤ـ تفسير سورة طه[٢].

٢٥ـ تفقيه البشر في لمح البصر بالإفادة السَّريعة لمهمَّات الشَّريعة[٣].

٢٦ـ تلخيص الكلام على أقسام الكلام[٤].

٢٧ـ جواز الاجتماع على ذكر الله[٥].

٢٨ـ جواهر الكنوز[٦].

٢٩ـ حدائق الحقائق[٧].

٣٠ـ حِصْنُ النُّفوس عند سؤال الملك العبوس[٨].

٣١ـ حلّ الحِبَا لاسترفاع الوبا[٩].

٣٢ـ الرسالة الكاشفة عن أسباب السعادة من التقى والزهادة[١٠].

---

(١) في مجلد ضخم، وقد قمت بتحقيقه، وهو في طريقه للنشر في جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، إن شاء الله تعالى.

(٢) ذكره في تفسيره لسورة النصر [ق١٠٦/أ] فقال: "وفيما كتبتُه على آية: ﴿طه﴾ كفاية للمُوَفّق، وهي قول الله العظيم: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ إلى قوله: ﴿ولا هضمًا﴾".

(٣) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٦٤، ٧٢)، ويوجد منه أكثر من نسخة. وقد قال في إفهام الأفهام (ص:٧٢) بعد ذكر حديث: "أرأيت إذا صليت المكتوبة وصمت رمضان..": وهو قطب رحى (تفقيه البشر في لمح البصر)".

(٤) في العقيدة، ذكره في أول كتاب تبيين معادن المعاني [٣/ب]، فقال: وقد كشفت عن حقيقته في تلخيص الكلام على أقسام الكلام، وقد عثرت عن نسخة كاملة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(٥) في الفتوى، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٦) في العقيدة، ذكره في تفسيره لسورة الإخلاص [ق١٦٥/أ].

(٧) في التفسير، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٧٤) فقال: "كما أنّ المُلقَّب بـ (حدائق الحقائق) يُطْلِع على أسرار سورة الإخلاص ودقائقها"، وذكره في كتابه: "أبهج مناهج المعالي وأبهاها". فقال [٦/ب]: "ومعنى أنَّ الأكوانَ مَظاهِرُ الصّفاتِ العُلَا: أنَّها مُنبِئةٌ عنها، ومُحصِّلَةٌ للعِلْم بها، كما أُوْضِح في "حدائق الحقائق "ليس غير، في تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾".

(٨) في العقيدة، ذكره البقاعي في نظم الدرر ٤: ٤٥٢، وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٩) ذُكِر في: إيضاح المكنون ١: ٤١٦ ، وهدية العارفين ٢: ١٦٦، وتوجد منه أكثر من نسخة مخطوطة، وقد نُشر مؤخّرًا في دار إحياء التراث الإسلامي بمشيخة الأزهر الشريف بمصر في شهر رمضان (١٤٤١هـ)، وطبعة ثانية بتحقيق: أبو عبد الرحمن شوكت بن رفقي شحالتوع، ونشر دار الرياحين، مصر، بعنوان: حل الخباء في الدعاء برفع الوباء! سنة (١٤٤١هـ).

(١٠) ذكره في تفسيره لسورة الناس في المقصد العاشر منها [ق٢١٤/أ].

٣٣ـ رسائل الوسائل[١].

٣٤ـ رِعَة البَارع عن بَلْتَعة البَازع[٢].

٣٥ـ رموز الكنوز[٣].

٣٦ـ سيّدةُ آي القُرآن وأعظمها[٤].

٣٧ـ شرح الأربعين النَّوويَّة[٥].

٣٨ـ شرح كلمتي الشَّهادة والفكر فيما يُثمر لمن شرح الله به صدره من النُّور والعبادة[٦]، أو معنى كلمة الشَّهَادَة والفكر فِيمَا يُثمر لمن شرح الله بِهِ صَدرَه من النُّور وَالْعِبَادَة، أو أبواب السعادة في شرح كلمة الشهادة[٧].

٣٩ـ شرح منظومة ابن فرح الإشبيلي[٨].

٤٠ـ شفاء الشَّقاء[٩].

---

(١) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٧٤، ١٤٠)، وأشار إلى أن من أبوابه: نجائب النجباء، ومناهج المباهج، وذكره كذلك في تبيين معادن المعاني [٢/ب]. قال في إفهام الإفهام (ص:٧٤): "وإملاؤنا الملقب بـ (نجائب النجباء) يُطْلِع على أسرار ذلك ولطائفه وهو أحد أبواب (رسائل الوسائل)".

(٢) في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم أعثر إلا على نسخة واحدة منه. وقد ذُكِر معنى العنوان في صفحة العنوان فقال:"رِعَة: من الورع والتقوى، البَارع: من فاق أقرانه وغيرهم في العلم وغيره، بلتعة: المرأة السليطة الكثيرة الكلام...، البَازع: الذي يتكلم ولا يستحي، ثم قال: وحاصله: ما يُوجب تورّع العالم الخَيّر عن اتّباع الظَّنّ وما تهوى الأنفس..".

(٣) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٨٩) فقال: "المخالفات التي يزع الخوف عنها أُمّهاتها: الكفر والفسوق والعصيان، كالأهواء الزائغة، والأخلاق الدنيئة، والأعمال السيئة، والأقوال الرديئة، وقد جمعها قول النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء" على ما أوضحناه في (رموز الكنوز)".

(٤) في التفسير وفضائل القرآن، ذُكر في إفهام الأفهام (ص: ١١٠) فقال: "الصفات الثبوتية: فَصَدَّرَها الشيخ بذكر الحياة، لأنَّها ينبوع الكمالات ورأسها، كما أوضحته في تفسير: (سيدة القرآن وأعظمها)" وكذلك ذكره في تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني، ولم أعثر عليه بعد.

(٥) في الحديث الشريف وفقهه، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٠٧).

(٦) ذكره في إيضاح المكنون ٢: ٥١٤ وذكر بدايته: "الحمد لله المنفرد في صمديته بكمال جلاله، والمتوحد في قدوسيته بجمال كماله.." وقال: في مجلد لطيف، وهدية العارفين ٢: ١٦٦. وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٧) كذا سمَّاه في تفسيره لسورة الفلق [ق٢٠١/أ].

(٨) في مصطلح الحديث، توجد منه أكثر من نسخة.

(٩) عثرتُ على نسخة منه، وهي مقابلة ومصححة بخط المؤلّف.

٤١ـ شفاء الصُّدور المُبطل لقول الجَبْر والقَدَر الغَرُور[١].

٤٢ـ بيان طريق السَّلامة ونيل الكرامة[٢].

٤٣ـ عِصْمَة الإنسان من لحن اللِّسَان[٣].

٤٤ـ فائدة في الرَّد على الأديان والفرق من آيات سورة الإخلاص[٤].

٤٥ـ فوائد ذكر فوائد الأعمال[٥].

٤٦ـ قصائد شعرية[٦].

٤٧ـ القواعد، أو قواعد الإسلام [٧].

٤٨ـ الكلام على ما هو الأولى والأحرى في طائفتي الأشاعرة والحنابلة[٨].

٤٩ـ لطائف علوم آية الخلائق[٩].

٥٠ـ مَا فِي اللَّيْل من عَظِيم النّيل[١٠].

٥١ـ محاسن الأبرار[١١].

---

(١) في العقيدة، ذكره في إفهام الأفهام، فقال (ص: ٧١): "على ما قررتُه في شفاء الصدور، على قولهم: فأترك ما أريد لما تريد"، وقال في (ص: ١٦٦): "وقد ذكر الأئمَّةُ في حكمة خلق الله تعالى لإبليس وإنظاره فوق ألف حكمة، كما أوضحنا بعضَه في (شفاء الصدور المبطل لقول الجبر والقدر والغرور)، وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٢) في التصوف، ذكره في تفسيره لسورة المسد [ق١٤٤/ب]، وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٣) ذُكر في كشف الظنون ٢: ١١٤١، وفي هدية العارفين ٢: ١٦٦، وهو محقق ومطبوع، وقد شرحه عبد الخالق بن علي بن الفرات المالكي (ت: ٧٩٤هـ) وسَمَّى شرحه: "تيسير عصمة الإنسان من لحن اللسان".

(٤) ذُكِرت في خزانة التراث برقم: (١٢٥٩٥٢)، يوجد منها نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم حفظ ج٣٢٣/٢، وقد عثرت عليها.

(٥) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٩) فقال: "وإنكار الإباحية وقوع التكليف زندقة وإلحاد، وإحالة الجهلة الأغمار له قائلين: (وما أنزل الرحمن من شيء) قد أوضحنا شبهتهم الفاسدة وأجبنا عنها في الكتاب والسُّنَّة أحسن جواب، في "فوائد ذكر فوائد الأعمال".

(٦) يوجد نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود برقم: (٧٠١١).

(٧) ذُكِر في خزانة التراث منسوبًا له برقم: (٥٢٤٥٢)، وهو من مخطوطات تشستربتي ـ إيرلندا، والإسكندرية، وقد عثرت على الأولى منهما.

(٨) توجد نسخة مخطوطة في مكتبة تركية، وقد عثرت عليها.

(٩) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٤٨) فقال: "ثم إن لم يمت أقوام ويحيا آخرون يفسد نظام العالم الدنيوي، كما شرحناه في: "لطائف علوم آية الخلائق"".

(١٠) في الآداب والفضائل، ذكره في هدية العارفين ٢: ١٦٦، توجد منه أكثر من نسخة، وأعمل على تحقيقه.

(١١) ذكره في تفسير سورة العصر المتضمنة هداية سبيل الرشاد في أقصر الآماد [ق٧/أ].

٥٢ـ مَرُّ النَّسيم على الرَّوض البسيم[١].

٥٣ـ مراشد القاصد إلى أسنى المقاصد[٢].

٥٤ـ مريح القلوب من الكروب[٣].

٥٥ـ مزيل الملام عن حكام الأنام[٤].

٥٦ـ مضاعفة المثوبة لا تسقط الفوائت المطلوبة[٥].

٥٧ـ مفتاح الفرج[٦].

٥٨ـ مقدمة في النَّحو[٧].

٥٩ـ الـمُهِمَّات الجامعة للتَّنبيهَات النَّافِعَة[٨].

٦٠ـ الوجوهُ الجميلة في بيان أنَّ أمَّ القُرآن حاويةٌ لمعانيه الجليلة، أو (تفسير سورة الفاتحة)[٩].

هذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلّفات وليّ الدّين الـمَلّويّ، وربما تكشف لنا الأيام مزيدًا من ذلك مع البحث والتَّقصِّي، والله أعلم.

---

(١) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٩١) فقال: "وأما قوله ﷺ: "اللهم بك آمنت ولك أسلمت.." فعجيب في بابه، وفي ضمن سورة النور ما يبين ذلك ويشير إلى بيانه، فاستوضحه إن شئت ممَّا أمليناه في: "مر النسيم على الروض البسيم"، ثم قال بعد ذلك في إفهام الأفهام (ص: ٩٢): واستشرحه إن أردت من "مر النسيم على الروض البسيم" في سورة يوم الجمعة". ولم أعثر عليه.

(٢) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٤٠) فقال: "ونحو ذلك من توجيهه أوامر أسمائه الحسنى لتُبرز لهم الربانية آثار كلِّ اسم منها، كما قررتُه في بعض فصول: "مراشد القاصد إلى أسنى المقاصد".

(٣) توجد منه نسخة في مكتبة خاصة.

(٤) وتوجد منه أربع نسخ، وقد قمتُ بتحقيقه ـ بحمد الله ـ وهو في طريقه للنشر، وقد طُبع بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد على نسخة واحدة، ونُسِب خطأ لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ).

(٥) في القواعد الفقهية، عثرت على نسخة منه، وهي مقابلة ومصححة بخط المؤلّف.

(٦) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٤) فقال: "ومن الفرق بين الصوفي والسلفي يتَّضح هذا جدًّا، وقد بيَّناه أحسنَ بيان في "مفتاح الفرج" و "تبليغ الأماني" فليراجع فيهما".

(٧) يوجد منه أكثر من نسخة.

(٨) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٨٨) في التنبيهات العشر على المقدمة، فقال: "وأما عاشرها: فمن الواضح أن عاقبة ذلك ليس إلا زحزحة عن النار وإدخالًا للجنة، وهما المغفرة والأجر الكريم أو الكبير...، وفي "الـمُهمَّات الجامعة للتنبيهات النافعة" تعزيز لذلك كاف".

(٩) ذكرها في إفهام الأفهام (ص: ٨٨، ١٧٥)، وأشار إليها في تفسير سورة الفلق، وكذلك في تفسيره لسورة الكوثر في تنبيه قارن فيه بين سورة الكوثر والفاتحة [ق٢٤/ب].

ثامنًا: وفاته

توفي وليُّ الدِّين الملَّويُّ ـ رحمة الله عليه ـ في القاهرة ليلة الخميس أو الجمعة، في الرَّابع أو الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل[1] سنة (٧٧٤هـ)، عن بضع وستين سنة، وكان الجمع في جنازته حافلًا مُتوفِّرًا، يُقَال: بلغوا ثلاثين ألفًا، وقد دُفِن بِتُربة الأمير ناصر الدِّين ابن آقبغا آص[2].

وقد كانت مِيتته حَسَنةً، وذُكِرَ أنَّه لَمَّا حضرته الوفاةُ قال: هؤلاء ملائكة ربّي قد حضروا وبشّروني بقَصْر في الجنّة، وشَرَع يُردِّد: السَّلام عليكم، ثمَّ قال: انزعوا ثيابي عنّي، فقد جاؤوا بِحُلَلٍ من الجنّة، وظهر عليه السّرور، ومات في الحال[3].

المبحث الثاني

دراسة لرسالة

(شرح أسماء الله الحسنى)

أوّلًا: موضوع الرسالة

تناول المُؤلِّف في رسالته هذه شرحًا موجزًا لأسماء الله الحسنى التي وردت في رواية الإمام الترمذي في سُننه، فقال في مُقدِّمته: "فهذه تنبيهاتٌ على معاني ما رواه الإمامُ أبو عيسى الترمذي في جامعه من أسماء الله الحسنى، يَقْرُب تناولُها على الأعلى في الذَّكاء والأدنى".

وقد التزم المؤلّف بما وعد به في مقدمته، فجاء الشرح موجزًا وواضحًا.

ثانيًا: عنوان الرسالة ونسبتها إلى مؤلِّفها

لم يذكر المُؤلِّفُ في مقدِّمته عنوانَ رسالته، إلّا أنَّ موضوعها يدلُّ على أنَّها شرح لأسماء الله الحُسنى، وكذا ذُكِر في عنوان نسختي مكتبة أسعد أفندي، والخزانة الحجازية، إلَّا أنَّ ناسخ نسخة الخزانة الحجازيَّة ذكر في نهايتها عنوانًا مختلفًا فقال: "آخِر إعلام اللّبيبة الحَسنا بمعاني أسماء الله الحسنى، تأليف الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل وليُّ الدِّين، أبي عبد الله، محمّد بن أحمد

(١) قال ابن رافع في الوفيات ٢: ٤٠٠: "وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه توفي الشيخ الإمام ولي الدين"، وكذا في الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، وقال ابن حجر في الدرر الكامنة ٥: ٣٣: "مات في ليلة الجمعة خامس عشرين ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ عن ثمانين سنة". قلت: قوله عن ثمانين سنة، لا يصحّ، وقد ذكر هو في إنباء الغمر غير ذلك فقال ١: ٤٧: "مات في شهر ربيع الأول عن بضع وستين سنة"، وهو ما اتفق عليه كلّ من ترجم له.

(٢) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤: ٣٥٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، إنباء الغمر ١: ٤٧، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، إنباء الغمر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥، الذيل التام (ص: ٢٦٠)، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

ابن إبراهيم العثماني المنفلوطيّ الشَّافعيّ، تغَمَّدَه اللهُ برحمته"، ولعلّه وقف على هذا العنوان في نسخة خطيّة لم تصل إلينا.

وأمَّا نسبةُ هذه الرِّسالة للمؤلّف فيدلُّ عليها ما ذكره في كتابه: "إفهام الأفهام شرح عقيدة العز ابن عبد السلام"، فقد قال: "وقد ذكرت في (شرح الأسماء الحسنى) ما يشفي على إيجازه وكفى، والحمد لله وحده"[1]، وكذلك توافق نسختي مكتبة أسعد أفندي التركية، ومكتبة الخزانة الحجازية على نسبة الرسالة إليه.

ثالثًا: المصنفات في شرح أسماء الله الحسنى:

للعلماء على مرّ القرون اهتمام بشرح أسماء الله الحسنى وبيان معانيها، وهم في ذلك بين مطوِّل ومُختصر، وفيما يأتي ذكر لجملة من هذه المصنفات التي سبقت شرح وليّ الدّين المَلَّوي[2]:

- تفسير أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج (ت: ٣١١هـ).
- علم أسماء الله تعالى: لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: لأبي منصور الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: لأبي بكر الجصاص، أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: لأبي سليمان الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٣٨٨هـ).
- شرح أسماء الله: للأستاذ أبو بكر ابن فُورَك، محمد بن الحسن (ت: ٤٠٦هـ).
- الإنباه عن أسماء الله: ابن الحَذَّاء، مُحَمَّد بن يحيى التَّمِيمِي القرطبى المالكى (ت: ٤١٦هـ).
- الأسماء والصفات: لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: لأبي القاسم القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ).
- التحبير في شرح أسماء الله الحسنى: للإمام الواحدي، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ).
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: للإمام أبي حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: لابن برَّجان، أبي الحكم، عبد السلام بن عبد الرحمن (ت: ٥٣٦هـ).
- الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى: لأبي بكر ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت: ٥٤٣هـ).
- الإنباء في شرح حقائق الصفات والأسماء: لأبي العباس الأقليشي، أحمد بن معدّ (ت: ٥٥٠هـ).

(١) إفهام الأفهام (ص: ١٥٢).

(٢) وهي مرتبة على سني وفاتهم، منها المطبوع ومنها المخطوط، ينظر: كشف الظنون، وهدية العارفين.

ـ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: لأبي الفضل البقالي، محمد بن محمد (ت: ٥٧٦هـ).

ـ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات: لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق ابن دهاق، إبراهيم بن يوسف، المعروف بابن المرأة (ت: ٦١٦هـ).

ـ المشهد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: لأبي العباس البوني، أحمد بن علي (ت: ٦٢٢هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لأبي الحسن التجيبي، علي بن أحمد (ت: ٦٣٧هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لأبي الحسن الحَرَالّي، علي بن أحمد (ت: ٦٣٨هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لمحيي الدين ابن عربي، محمد بن علي (ت: ٦٣٨هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لابن المنفلوطي، إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٦٥٢هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: للباخرزي، سعيد بن المطهر (ت: ٦٥٩هـ).

ـ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: للإمام أبي عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لصدر الدين، محمد بن إسحاق القونوي (ت: ٦٧٢هـ).

ـ طوالع الشموس في أسماء القدوس (شرح أسماء الله الحسنى): للناكوري السهروردي الجشتي، محمد بن عطاء (ت: ٦٧٨هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لبرهان الدين النسفي، محمد بن محمد (ت: ٦٨٦هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: للعفيف التلمساني، سليمان بن علي (ت: ٦٩٠هـ).

ـ منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى: لناصر الدين البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٦٩١هـ).

ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: للإمام الديريني، عبد العزيز بن أحمد (ت: ٦٩٤هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لأبي العباس القمولي، أحمد بن محمد (ت: ٧٢٧هـ).

ـ شرح أسماء الله الحسنى: لشرف الدين الطيبي، الحسن بن محمد (ت: ٧٤٣هـ).

ـ أسماء الله الحسنى: لابن قيم الجوزية، أبي عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ).

وهناك آخرون شرحوا أسماء الله الحسنى إلى عصرنا هذا، إلا أنني أكتفي بما ذكرت، مقتصرًا على من سبق وليّ الدّين المَلّوي من العلماء فحسب.

رابعًا: النُّسخ الخطيَّة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على ثلاث نسخ خطية، وهي:

١ـ نسخة الخزانة الحجازية نسبة لصاحب المكتبة فؤاد سليم الحجازي، وهذه النسخة موجودة في مكتبة الملك عبد العزيز العامّة في الرّياض، ضمن مجموع برقم: (٩٤٦)، هي الثانية فيه، وقد حصلتُ على صورة منها من مركز جمعة الماجد بدبي، وهي عندهم برقم: (٣٣٦٦٦٠).

تقع هذه النسخة في (٧) ورقات بما فيها العنوان، في كلِّ صفحة (١٣) سطرًا، وقد كُتِبتْ بخطّ نسخيّ واضح، وهي مضبوطة بالشّكل، وميَّز النّاسخ الأسماء الحسنى باللون الأحمر، وكذا عنوان الرسالة. وقد جعلت هذه النسخة أصلًا لتمامها، ورمزتُ لها بالحرف (ح).

٢ـ نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، وهي عندهم برقم: (٣١٨٨)، وتوجد منها صورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم:(٢٤٤٢٨٣)، إلَّا أنَّها نُسبت خطأ لجلال الدّين السيوطي.

تقع هذه النسخة في ورقتين، في كلِّ صفحة (٣٨) سطرًا، وقد كتبت بخط مغربي، وبيَّض الناسخُ لبعض الكلمات فيها، ورمزت لها بالحرف (ت).

٣ـ نسخة مكتبة أسعد أفندي بتركيا، وهي ضمن مجموع يحمل الرقم: (١٤٩٩)، وهي مخرومة من آخرها، لتداخلها من رسالة أخرى، وتنتهي هذه النسخة عند شرح اسم (المحصي).

تقع هذه النسخة في (٤) ورقات، في كل صفحة (١٥) سطرًا، وقد كُتِبتْ بخطّ نسخيّ واضح، وضُبِطَت كلماتُها بالشَّكل، وميَّز الناسخ الأسماء الحسنى باللون الأحمر، ورمزت لها بالحرف (أ).

ـ وهناك نسخة في مكتبة الأسد برقم: (٩٧٨٤)، إلَّا أنَّه لم يتيسّر لي الحصول عليها.

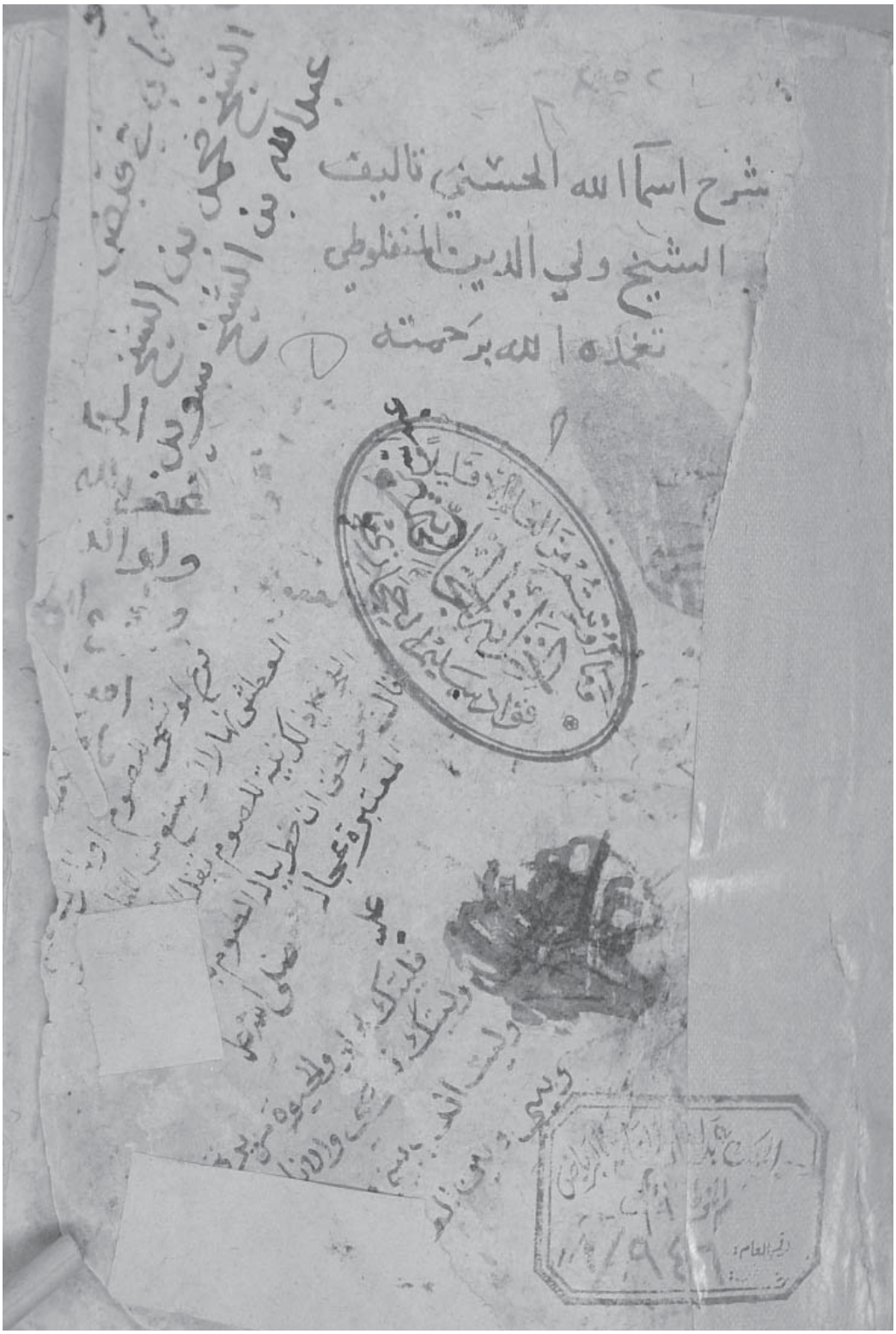

صفحة العنوان لنسخة الخزانة الحجازية، رمزت لها (ح)

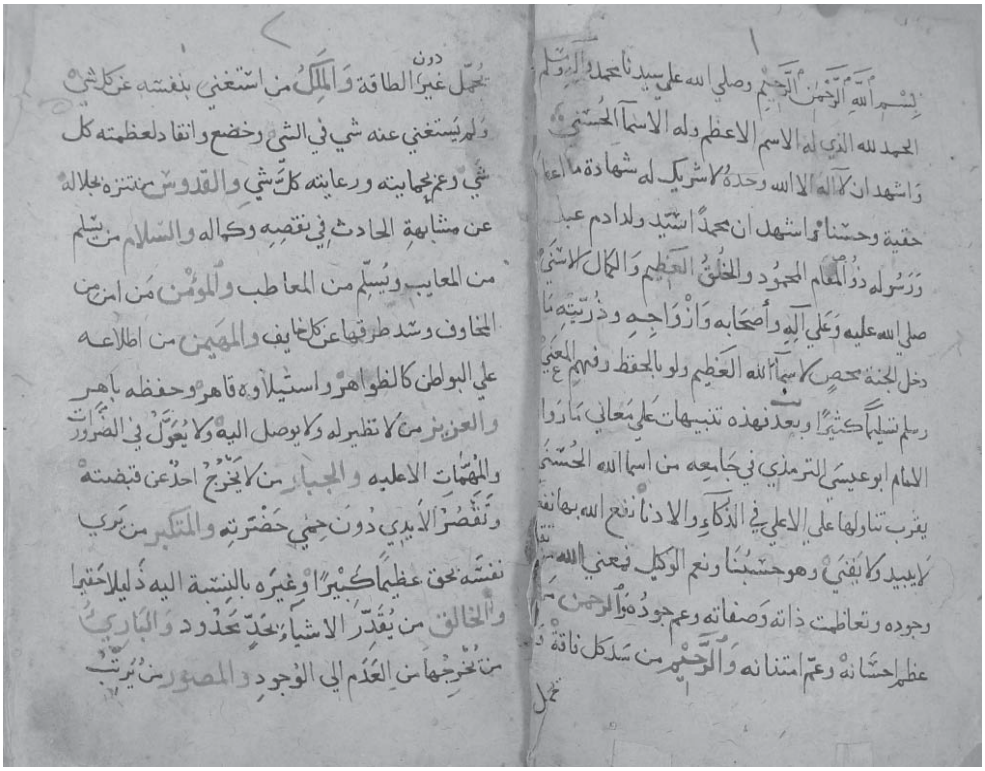

الورقة الأولى من نسخة الخزانة الحجازية (ح)

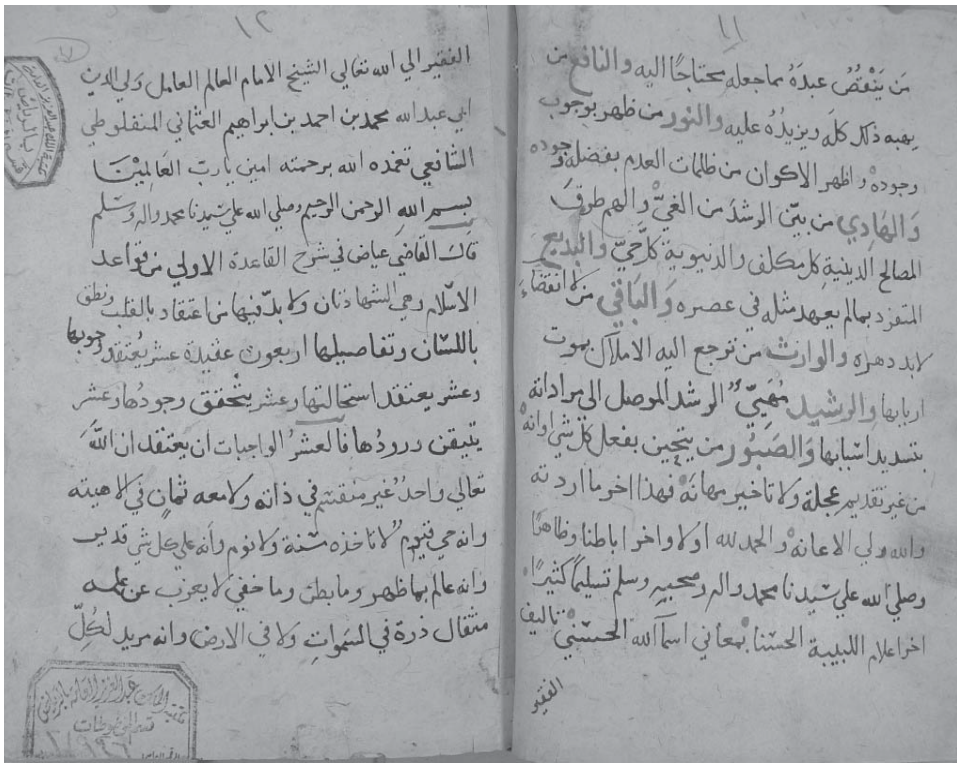

الورقة الأخيرة من نسخة الخزانة الحجازية (ح)

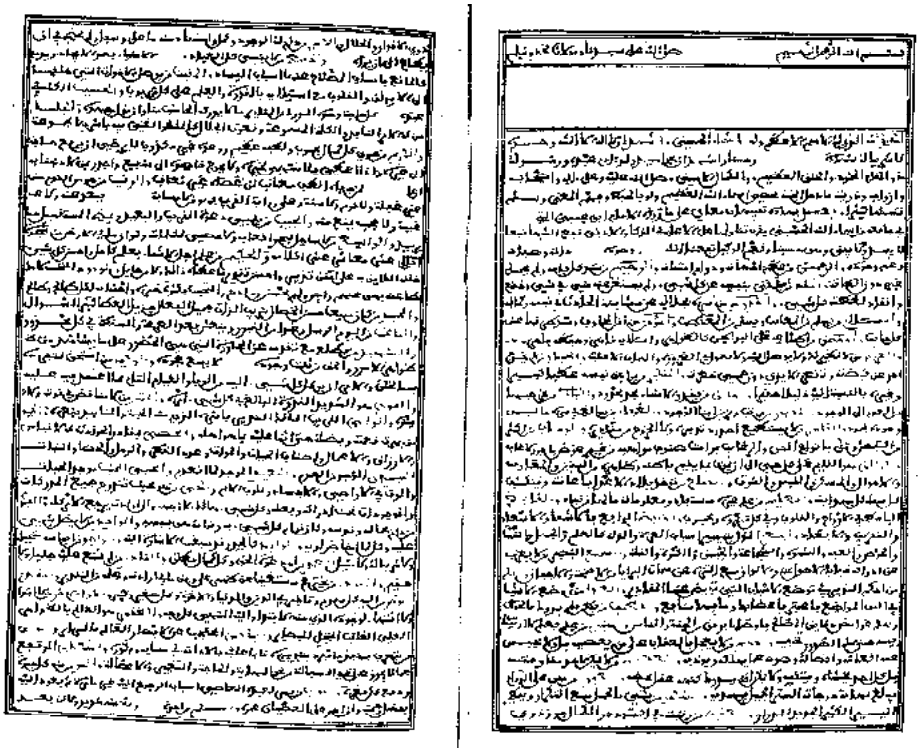

الورقة الأولى من النسخة التونسية (ت)

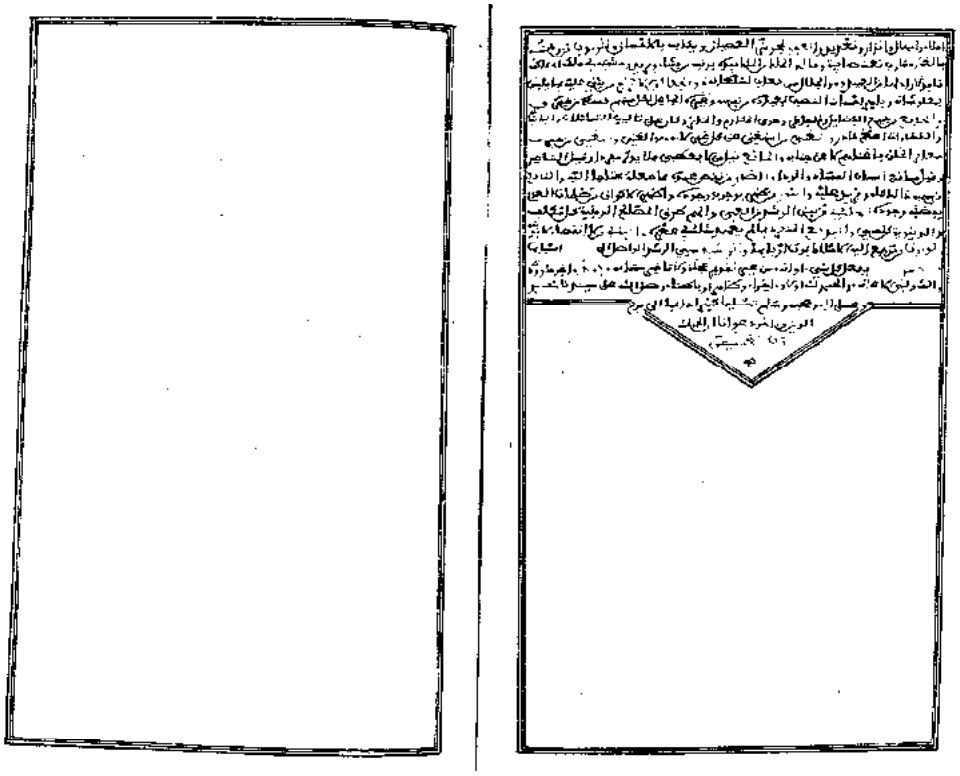

الورقة الأخيرة من النسخة التونسية (ت)

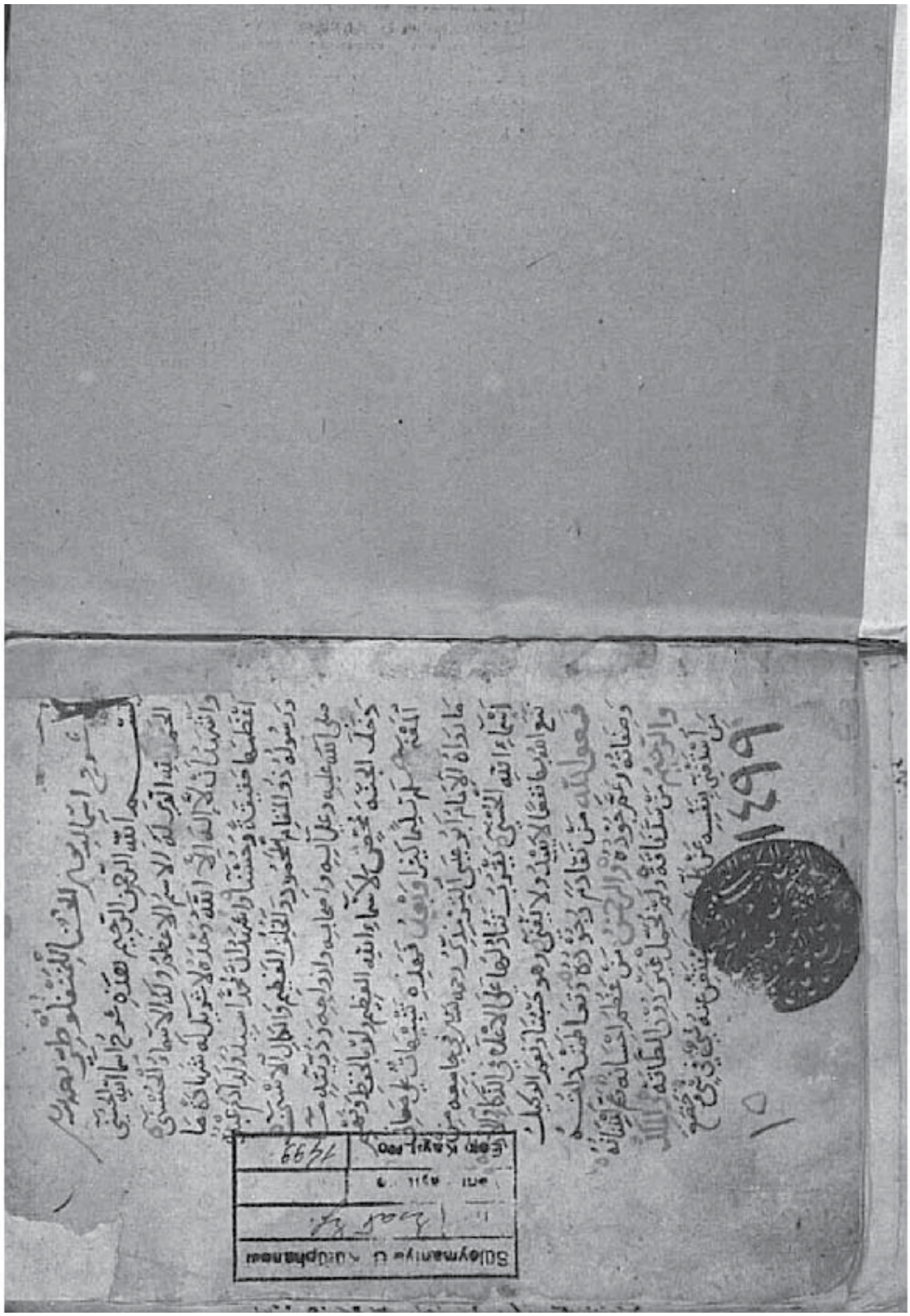

الورقة الأولى من نسخة مكتبة أسعد أفندي (أ)

والمتحبب بكثرة احسانه لكل صالح وطالح والمجيد من
كان معينا حسن الخصال شريف الذات جميل الفعال جزيل
العطاء كثير النوال والباعث من يبعث اليوم الرسل
وغدا من في القبور ويبعث بعد الصرعة والسقطة في كل
محذور والشهيد من يطلع مع تقدسه عن المجاورة
التي هي الحضور على ما يشاهد من ظواهر الامور والحق
من ثبت وجوده ثبوتا لا يسع جحوده والوكيل من استحق
لتفرده بالخلق والامر ان يوكل كل شيء اليه مع الوفاء
والقيام التام بما اعتمد فيه عليه والقوي هو الشديد
القدرة البالغ في كل شيء اثره والمتين من لا ينقص
في قوته ولا فتره والولي القريب المالك للتدبير
باسره الذي منه المحبة والتأييد بنصره والحميد
من تهورت كمالاته ونعمته وفضله حتى اثنى عليه بما
هو اهله والمحصي من احاط بمقادير الحوادث كالانفاس
والارزاق واصناف الحيوان والموات وعدد القطر والرمل

٤

المدبر المانع المولي النصير النور الوتر الواحد
الوارث الواسع الودود الوكيل الولي الوهاب
الوفي الهادي هذه الاسماء واما معانيها فالله
اعلم ولكن نذكر ما نقله العلماء رحمهم الله تعالى فاعلم
ان معنى الله تعالى انه القادر على الاختراع ومعنى
الاحد الذي لا تعليل له ومعنى الواحد الذي لا
يقبل التجزية ومعنى الاول انه كان قبل العالم
بلا ابتداء والاخر ان يبقى بعد فناء الخلق والعالم
يبقى بلا غاية ولا انتهاء والبديع يكون بمعنى المبدع
والخالق والبصير هو راي الموجودات والبر والبارئ
هو فاعل البر وخالقه والبارئ الخالق والباسط
انه يبسط ارزاق العباد ويبسط السماء والارض
كالبساط والظاهر والباطن هو العالم بالظواهر واسرار
العباد وايضا هو ظاهر للمؤمنين بالدليل وباطن عن
الكافر في المعرفة والباعث انه بعث الانبياء الى

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة أسعد أفندي (أ)

سادسًا: عملي في التحقيق:

١ـ نَسخُ المخطوط وكتابته بحسب رسم وقواعد الإملاء الحديثة.

٢ـ مقابلة نصّ الكتاب بالنُّسخ الخطيَّة، وإثبات فروق النسخ.

٣ـ ضبط النَّص ضبطًا يزيل اللّبس والغموض عنه.

٤ـ بيان بعض المفرادات الغريبة بالرُّجوع إلى معاجم اللُّغة.

٥ـ استعمال علاماتِ التَّرقيم المعتادة في النص، والاعتناء بتفقير الكلام فيه.

٦ـ نقل الآيات القرآنيَّة من المصحف الإلكترونيّ للمدينة المنوَّرَة، مع ذكر السُّورة ورقم الآية بعدها مباشرة.

٧ـ تخريج الحديث النبويّ المشار إليه من مصادره في كتب السنَّة حسب أصول التخريج العلمية المعتمدة.

٨ـ استعمال الأقواس المُزهّرة للآيات، وأقواس التنصيص للأحاديث والنصوص، والقوسين المغلقين لصفحات المخطوط.

٩ـ ذكر مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق في نهاية الرسالة.

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم

الحمد لله الذي له الاسمُ الأعظمُ[1]، وله الأسماء الحُسنى[2]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وَحْدَهُ لا شريك له، شهادةً ما أعظمها حَقيَّةً[3] وحُسنًا، وأشهد أنَّ محمَّدًا سيدُ ولدِ آدمَ عبدُه ورسولُه، ذُو المقام المحمود والخُلقِ العظيم، والكمالِ الأسنى، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذُرِّيته ما دخل الجنَّة

(١) فقد رُويَ عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: "اللّهم إنّي أسألك بأنَّك أنت اللهُ الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ: "لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعيَ به أجاب" أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الدعاء ١: ٤٦٩ برقم: ١٤٩٣، والترمذي في الدعوات، باب جامع الدعوات ٥: ٥١٥ برقم: ٣٤٧٥ وقال: حسن غريب، وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "اسْمُ اللهِ الأعظَمُ في هَاتَينِ الآيَتَينِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة ١٦٣] وفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ١، ٢] أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الدعاء ١: ٤٧٠ برقم: ١٤٩٦، والترمذي في الدعوات، باب رقم ٦٥، ج٥: ٥١٧ برقم: ٣٤٧٨ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في باب: اسم الله الأعظم ٢: ١٢٦٧ برقم: ٣٨٥٥. قال ابن حجر في الفتح ١١: ٢٢٤: حسنه الترمذي وفي نسخة صحيحة، وفيه نظر، لأنه من راوية شهر بن حوشب. قلت: وقد اختُلف في اسم الله الأعظم على أقوال كثيرة، ذكرها الإمام الرازي في شرح أسماء الله الحسنى (ص: ٨٨ وما بعدها)، واختار أنَّه لفظ الجلالة (الله)، وهو ما رجَّحه ابن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية (ص: ١١) فقال: "أكثر العلماء أجمعوا على أن لفظ الجلالة اسم الله الأعظم، فهو عَلَم على الذَّات الأقدس المستحقّ لجميع المحامد"، وينظر: فتح الباري لابن حجر ١١: ٢٢٤.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٣) وفي (أ): حقيقة، وفي (ت) بيض بين كلمتي (شهادة) و (وحسنًا).

مُحْصٍ لأسماء[1] الله العظيم[2]، ولو بالحِفظ وفَهْمِ المعنى[3]، وسلَّم تسليمًا كثيرًا....، وبعدُ،

فهذه تنبيهاتٌ على معاني ما رواه الإمامُ أبو عيسى الترمذي [رحمه الله تعالى][4] في جامعه[5] من أسماء الله الحسنى، يَقْرُب تناولُها على الأعلى في الذَّكاء والأدنى، نفع اللهُ بها نفعًا لا يَبيد ولا يَفنى،

---

(١) في (ت): محصي أسماء.

(٢) ففي الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة"، أخرجه البخاري في التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدًا ٦: ٢٦٩١ برقم: ٦٩٥٧، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٤: ٢٠٦٣، برقم: ٢٦٧٧، وروي عند مسلم أيضًا بالرقم نفسه بلفظ: "لله تسعة وتسعون اسمًا، من حفظها دخل الجنة".

(٣) قال البغوي في شرح السنة ٥: ٣١، ٣٥: "قوله: "من أحصاها"، قيل: أراد عدَّها، وقيل: عَرَفها، وعقل معانيها، وآمن بها، وقيل: أطاقها، أي: من أطاق القيام بحقِّ هذه الأسامي، والعمل بمقتضاها، وقيل: معنى قوله: "من أحصاها" أحصى من أسماء الله تعالى تسعًا وتسعين دخل الجنة، سواء أحصى مما جاء في حديث الوليد بن مسلم، أو من سائر ما دلَّ عليه الكتاب، أو السنة" باختصار. وقال النووي في شرح مسلم ١٧: ٥: "وأما قوله ﷺ: "من أحصاها دخل الجنة" فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسرًا في الرواية الأخرى: "من حفظها"، وقيل: أحصاها عدَّها في الدعاء بها، وقيل: أطاقها، أي: أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصَدَّق بمعانيها، وقيل: معناه العمل بها والطاعة بكلِّ اسمها، والإيمان بها لا يقتضي عملًا، وقال بعضهم: المراد حفظ القرآن وتلاوته كله؛ لأنه مستوف لها، وهو ضعيف، والصحيح الأول". وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٤: ٣٢١: "قوله: "من أحصاها" أربعة أقوال: أحدها: من حفظها، فسّره به البخاري في صحيحه، وتقدَّمت الرواية الصريحة به، وأنَّها عند مسلم. ثانيها: مَن عَرَف معانيَها وآمن بها. ثالثها: مَن أطاقها بِحُسن الرِّعاية لها، وتَخَلَّق بما يمكنه من العمل بمعانيها. رابعها: أن يقرأ القرآن حتى يختمه فإنَّه يستوفي هذه الأسماء في أضعاف التلاوة، وذهب إلى هذا أبو عبد الله الزبيري، وقال النووي: الأول هو المعتمد، قلت: ويحتمل أن يراد من تتبعها من القرآن، ولعلَّه مُراد الزبيري". وفي فتح الباري ١: ١٠٦: "قوله: "من أحصاها" أي: حفظها، كذا في الدعوات، وقيل: من أحاط بها علمًا ومعرفةً، وقيل: إيمانًا، وقيل: استخرجها من كتاب الله، وقيل: أطاق العمل بمقتضاها، وقيل: أخطرها بباله، وقيل: من عَرَف معانيَها". وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٢٢، ٢٤).

(٤) زيادة من (أ).

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات ٥: ٥٣٠ برقم: ٣٥٠٧، وقال: "هذا حديث غريب، حدثنا به غيرُ واحد عن صفوان ابن صالح، ولا نعرفه إلَّا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي r، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلَّا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح"، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٣: ٨٩ برقم: ٨٠٨، والحاكم في المستدرك ١: ٦٢ برقم: ٤١ وقال: "هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، والعلة فيه عندهما أنَّ الوليد ابن مسلم تفرّد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة، فإنِّي لا أعلم اختلافًا بين أئمَّة الحديث أنَّ الوليد بن مسلم أوثقُ وأحفظ وأعلم وأجلُّ من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب، ثمَّ نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين، عن أيوب السختياني وهشام ابن حسان جميعًا، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بطوله"، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان ١: ٢٠٧ برقم: ١٠١. ينظر: فتح الباري لابن حجر ١١: ٢١٧.

وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل.

فمعنى الله: مَن تَقَادَم[1] وجودُه، وتعاظمت[2] ذَاتُه وصِفاتُه، وعَمَّ جُودُه.

والرَّحمن: مَن عَظُمَ إحسانُه، وعَمَّ[3] امتنانُه.

والرَّحيم: مَن سَدَّ كلَّ فاقةٍ، ولم/ يُحَمِّل غيرَ دُونَ الطَّاقة[4].

والمَلِك: مَن استغنى بنفسه عن كُلِّ شيء، ولم يَسْتغنِ عنه شيءٌ في شيء[5]، وخضع وانقاد لعظمته كلُّ شيء، وعَمَّ بحِمَايته ورِعايته كلَّ شيء[6].

والقُدُوس: مَن تَنَزَّه بجلاله عن مُشابهة الحادث في نقصه وكماله.

والسَّلام: مَن يَسْلَم منَ المعايب، ويُسَلِّم مِنَ المعاطِب[7].

والمُؤْمِن: مَن أَمَّنَ مِنَ المخاوف[8]، وسَدَّ طرُقَها عن كُلِّ خائف.

والمُهيمن: مَنِ اطِّلاعُه على البواطن كالظَّواهر، واستيلاؤُه قاهر، وحِفْظُه باهر.

والعزيز: مَن لا نظيرَ له، ولا يُوصَل إليه، ولا يُعَوَّل في الضَّرورات والمُهِمَّات إلَّا عليه.

والجَبَّار: مَن لا يَخْرُج أحدٌ عن قبضته، وتَقْصُر الأيدي دُونَ حِمَى حَضْرَته.

والمتكبر: مَن يَرَى نفسَه بحَقٍّ[9] عظيمًا كبيرًا، وغيرَه بالنِّسبة إليه ذليلًا حقيرًا.

والخالق: مَن يُقدّر الأشياء بحَدٍّ مَحدود.

والبارئ: مَن يُخْرِجُها منَ العدم إلى الوجود.

والمُصَوِّر: مَن يُرتِّب/ ويُزَيِّن أجزاءَ الوجود.

والغَفَّار: مَن يُبَالغ في ستر ما ليس ظهورُه بِمَحْمُود.

---

(١) في (ت): بياض.

(٢) في (ت): بياض.

(٣) في (ت): ودوام.

(٤) الطَّاقَة والطَّوْقُ والإِطاقةُ: القدرة على الشيء، وهو في طَوْقي، أَي: في وَسْعي. ينظر: لسان العرب ١٠: ٢٣١، مادة: طوق.

(٥) كذا في (أ) و(ت)، وفي (ح): الشيء.

(٦) هذه العبارة سقطت في (ت).

(٧) العَطب: الهَلاك، والمعاطب: المهالك. ينظر: الصحاح للجوهري ١: ١٨٤، مادة: عطب.

(٨) في (ت): مَن أَمَّنَ المخاوفَ.

(٩) في (ت): من يرى بحقّ نفسه.

والقَهَّار[1]: مَن لا يستطيع أحدٌ رَدَّ تدبيره، ولا الخُرُوجَ مِن مقاديره.

والوَهَّاب: مَن أكثرَ مِنَ التَّفَضُّلِ[2]، ومَنَّ بأنواع المِنَن والرَّغائب[3]، فَدَامَت صُنُوفُ نِعَمِه[4] مِن غير عِوَضٍ ناجِزٍ ولا غائب.

والرَّزَّاق: هو المُوْصِلُ إلى كُلِّ حَيٍّ جميعَ ما ينتفع به ممَّا في المُلك والمَلَكُوت، كالعِلْمِ والحِكْمَة والقُوْتِ وغيرِ القُوْتِ[5].

والفَتَّاح: مَن تُؤْخَذُ بلادُ الأعداء بإعانته، ويَنكَشِف كلُّ مُشْكِل بهِدَايته.

والعَلِيم: مَن عِلْمُه غيرُ مُسْتَفاد، ومَعْلُوماتُه ما لها مِن نَفاد.

والقابض الباسط: في الأروح والقلوب، وفي كلِّ مكروه ومَحبوب.

والخافض الرَّافع: بالإشقاء والإسعاد، والتَّقريب والإبعاد.

والمُعِزُّ المُذِلُّ: بتيسير أسباب العِزَّةِ والذِّلَّة، كالعِلْم والجهل، والقناعة والحِرص، والعِفَّة والشَّهوة، والشَّجاعة والجُبْن، والكَثرة والقِلَّة.

والسَّميع البصير: مَن لا يَعْزُبُ[6] عن عِلْمه[7] خفايا [الأصوات و] [8] الأكوان، مع التَّنزُّه[9] عن سِمات البرايا مِنَ الأصمِخَة[10] والأجفان.

والحَكَم: مَن أحكم التَّدبيرَ في وضع[11] الأسباب التي تفيض عنها المقادير.

والعَدْل: مَن وضع الأشياء في أليق المواضع، فاعتَبِرْ بأعضائك وما فيها من المنافع.

واللَّطيف: مَن بَطَن فلا[12] يُدْرَكُ بالحَواس، وعَلِمَ غَوامضَ دقائقِ المصالح، فأَوْصَلها بِرِفق بَهَرَ

---

(١) في (ت): والقاهر.

(٢) في (أ): التفضيل.

(٣) الرغيبة: العطاء الكثير، والجمع الرغائب. ينظر: الصحاح ١: ١٣٧، مادة: رغب.

(٤) في (ت): مواهبه.

(٥) في (ت): والرزاق: هو القائم على كل حي إلى أن يموت بما يقيم باطنه وظاهره، من اليقين والمعارف والأحوال والمسكن والملبس والقوت.

(٦) أي: لَا يغيب عَن علمه شَيْء. ينظر: تهذيب اللغة ٢: ٨٨.

(٧) في (ت): إدراكه.

(٨) زيادة من (ت).

(٩) في (أ): مع التنزيه.

(١٠) جمع صِماخ، وهو خَرْق الأذن، وبالسين لغة، ويقال: هو الأذُن نفسها. ينظر: الصحاح ١: ٤٢٦، مادة: صمخ.

(١١) في (ت): موضع.

(١٢) في (ت): فلم.

الجِنَّةَ والنَّاس.

والخبير: مَن عَلِمَ بعِلْمٍ لا ارتيابَ فيه، حتَّى ما الصُّدورُ تُخْفِيه.

والحليم: مَن لا يَعْجَل بالعِقاب على مَن يَعْصيه، بل ولا يَحْبِس عنه إنعامَه وإفضالَه وصَوْنَه عَمَّا يُهْلِكه ويُؤْذِيه.

والعظيم: مَن لا يُمْكِنُ لأحدٍ مُقاوَمَتُه، بل كُلُّ أحدٍ يخشاه ويَتَّقِيْه، ولا يُمْكِن أن يُدرِكَ كُنْهَهُ عقلٌ فَيُحْصيه.

والغَفُور: مَن هو على الدَّوام يَبلغ نهايةَ درجاتِ السِّترِ الجميل فَيُسْديه.

والشَّكُور: مَن يُثني بالجميل/ مع التَّكرار، ويُعطي باليسير[1] الكثيرَ الجزيلَ المِدْرار.

والعَلِيّ: مَن رُتبَتُه في السُّؤْدُدِ والكمال فوقَ ذَوِي الأقدار والجلال.

والكبير: مَن دام له الوجودُ وكَمُل، واستفاده منه ما عَلَا وسَفُل، ولم يَحْتَجْ في أن يُطاع إلى أنْ تَراه المُقْل[2].

والحَفيظ: مَن لا يَنسى كالعِباد[3]، ويُبْقي الأشياءَ بعدَ الإيجاد، ويَدْفعُ كالمانع بأسباب الصَّلاح عنها أسبابَ الفساد.

والمُقيت: مَن يُوصِل الأقواتَ التي خَلَقَها إلى الأبدان والقلوب بالعِرْفان[4]، مع استيلائه بالقُدرة والعِلْم على كُلِّ مَرْبوب[5].

والحَسيب: الكافي عبدَه بإزالة كُلِّ حاجةٍ وَحْدَه، المُدْرِكُ مِنَ المقادير ما لا يُدْرِكُه الحاسِبُ مِنَّا وإن بَذَلَ[6] جَهْدَه.

والجليل: مَن له الأمرُ النَّافِذُ، والكَلِمةُ المَسْموعة، ونُعوتُ الجلال، كالمُلْكِ والغِنَى، فيه بأَسْرِها مجموعةٌ.

---

(١) في (ت): اليسير.

(٢) في (ت) بياض عند هذه الكلمة. والمُقَل جمع مُقْلَة، وهي شَحْمَةُ العينِ التي تجمعُ البياضَ والسواد، ومقلة العين: ناظرها. ينظر: الصحاح ٥: ١٨٢٠، ومقاييس اللغة ٥: ٣٤١، مادة: مقل.

(٣) في (ت): كل العباد.

(٤) هذه الكلمة ليست في (ت).

(٥) كذا في (أ) و (ت)، وفي (ح): مكروب.

(٦) في (أ): بلغ.

والكريم: مَن حَوَى كُلَّ جمالٍ[١] محبوب، فَلُطْفُه[٢] عظيم، وَوَعْدُه غيرُ مَكْذوب،/ لا يَرْضَى بأن[٣] تُرفَع حاجةٌ إلى غيره، وإذا أعطى فلا مُنتهَى لِخَيره، ولا يُحْوِج قاصِدَهُ إلى شفيع، وأَجْدِر بمن لَاذَ بجَنابه ألَّا يَضيع، تَراهُ لِمَن جَفاهُ أَلْطَفَ مُعاتِب، ولِمَن عَصاهُ غيرَ مُعاقِب.

والرَّقيب: مَن يَحْرِس[٤] القومَ مِن غير غفلةٍ ولا سِنَةٍ ولا نَوْمٍ[٥].

وعلى رواية القريب[٦]: فهو مَن لا مسافةَ ولا أجنبية تُبْعِدُ عنه، ولا غيبةَ[٧] ولا حَجْبَ يَمنَعُ منه.

والمُجيب: مَن يلبي[٨] دَعوة القريبِ والبعيد، ويَمنَحُ المُسْتَنيلَ ما يُريد.

والوَاسِع: مَن لا ساحلَ لِبَحر إنعامِه، ولا مُحْصِيَ لكلماته، ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة [أقلامٌ] [٩] عُشْرُ مِعْشَار[١٠] عُشرِ أقلامِه.

والحَكيم: مَن عَلِمَ أَجَلَّ الأشياء بِعِلْمٍ كامل، وأَحسَن كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ اللّائقَ به، على أتقن تدبيرٍ وأحسنِ تقديرٍ فاضل، فأعطاه ذلك، ولا مِن حائل.

والودود: المُتَحَبِّبُ لأهل طاعته، فهو عنهم رَاضٍ، ولهم مُحْسِنٌ ومادِح[١١]، والمُتَحَبِّبُ بكَثْرَة [خيره و] [١٢] إحسانه/ لكُلِّ صالح وطالح.

والمجيد: مَن كان مَنيعًا، حَسَنَ الخِصال، شَريفَ الذَّاتِ، جميلَ الفِعالِ، جَزِيلَ العطاءِ، كثيرَ النَّوالِ.

والباعث: مَن يَبْعَثُ[١٣] اليومَ الرُّسُلَ، وغدًا مَن في القبور، ويُنْعِشُ بعدَ الصَّرْعَةِ والسَّقْطَةِ في كُلِّ مَحْذور.

والشَّهيد: مَن يَطَّلِع ـ مع تَقَدُّسه عن المجاورة التي هي الحضور ـ على ما يُشَاهَدُ مِن ظَواهر الأُمور.

---

(١) في (ت): كمال.

(٢) في (ت): ولطفه.

(٣) في (ت): أن.

(٤) في (ت): حرس.

(٥) في (ت): ولا نوم ولا سنة.

(٦) ينظر: المستدرك للحاكم ١: ٦٣ برقم: ٤٢، والأذكار للنووي (ص: ١٠١).

(٧) في (أ): غيبية.

(٨) كذا في (أ)، وفي (ح): يلي.

(٩) زيادة من (ت).

(١٠) في (ت): معاشر.

(١١) كذا في (أ) و (ت)، وفي (ح): ومانع.

(١٢) زيادة من (ت).

(١٣) سقطت من (ت).

والحَقُّ: مَن ثَبَتَ وُجودُه ثُبُوتًا لا يَسَعُ جُحُودُه.

والوَكيل: مَنِ استَحَقَّ لِتَفَرُّده بالخلق[1] والأَمْر أن يُوْكَلَ كُلُّ شيءٍ إليه، مع الوفاء والقيام التَّامِّ بما اعتُمِدَ فيه عليه.

والقوي: هو الشَّديدُ القُدْرَة، البالِغُ في كلِّ شيءٍ أمرَه.

والمَتين: مَن لا تَناقُصَ في قُوَّته ولا فَتْرَة[2].

والولي: القريب المالك للتَّدْبير بأَسْرِه، الذي منه المَحَبَّة والتَّأييد بنصره.

والحَميد: مَن بَهَرَت كمالاتُه ونِعْمَتُه وفَضْلُه[3]، حتَّى أُثْنِيَ عليه بما هو أَهْلُه.

والمُحْصي: مَن أحاط/ بمقادير الحوادث، كالأنفاس، والأرزاق، [والأحمال][4]، وأصناف الحيوان[5]، والمَوَات[6]، وعددِ القَطْر والرَّمل[7] والحَصَا والنَّبات.

والمُبْدِئ: المُوْجِدُ منَ العَدَم.

والمُعيد: المُوْجِدُ لِمَا انعدَم.

والمُحْيي المُمِيتُ: مُوْجِدُ الحياة والموت في الأجساد والأراضي[8] وقلوب الأُمم.

والحَيُّ: مَن هو بحيث تندرج جميعُ المُدْرَكَات والمَوْجُوداتِ تحتَ إدراكِه وفِعْلِه، وكلُّ شيء هالكٌ إلَّا وجهه، وإلى إرادته مَرْجِعُ[9] الأمرِ كلِّه.

والقَيُّوم: مَن دام بِجَماله وقُدْسه، و[كان] [10] قَوَام كلِّ شيءٍ به، وقَوَامُه هو بنفسه.

---

(١) كذا في (أ) و (ت)، وفي (ح): بالخير.

(٢) كذا في (أ) و (ت)، وفي (ح): ولا فترته. ولا يصح. والفَتْرَة: الانكسارُ والضعفُ. ينظر: الصحاح ٢: ٧٧٧، مادة: فتر.

(٣) في (ت): من بهرت نعمته وفضله.

(٤) زيادة من (ت). من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١، فصلت: ٤٧].

(٥) في (ت): الحياة.

(٦) المَوَاتُ: ما لا رُوحَ فيه، والمَواتُ أيضًا: الأرض التي لا مالكَ لها من الآدميِّين، ولا ينتفع بها أحد. ينظر: الصحاح ١: ٢٦٧، مادة: موت.

(٧) هنا انتهت نسخة (أ).

(٨) في (ت): في الأراضي والأجساد.

(٩) في (ت): يرجع.

(١٠) زيادة من (ت).

والواجِد: مَن لا يَضِلُّ شيءٌ عليه، وكلُّ كمالٍ حاضرٌ لَدِيْه.

والماجِد: كالمَجيد، وقد سبقت الإشارة [إليه] [١].

والواحِد: مَنِ انقسامُه مُسْتَحيل، ولا شريكَ له ولا مَثيل.

والصَّمَد: مَن له دَعْوة الحَقِّ، وكلُّ كمالٍ مُطْلَق.

والقادر: مَن لا يَمْتَنع[٢] عليه جَليلٌ ولا حَقير.

والمُقْتدر: مَن يَختَرع مُستغنيًا عن ظهير، على وفق/ ما في إرادته وعِلْمه منَ التقدير.

والمُقَدِّم المُؤَخِّر: مَن إليه كلُّ تقديم وتأخير في الدِّين والدُّنيا والآخرة، وكلُّ صغير وكبير.

والأَوَّل والآخِر: مَن لا ابتداءَ ولا انتهاءَ لوُجوده النَّزِيه، ومنه الابتداء وإليه الانتهاء[٣]، كلّ وَجيه[٤].

والظَّاهر: هو العالم بالظَّواهر، العَلِيُّ الغالب، المُتَجَلِّي للبصائر.

والباطن: المُحْتَجِب عنِ الأبصار، العَالِمُ بالسَّرائر[٥].

والوالي: مَن يَتَصرَّف فَيَنْفُذ ما انفرد[٦] بتدبيره، قائمًا عليه في الإدامة في مَسائِه وبُكورِه.

والمُتَعالي: المُرْتفع عمَّا يجوز على ذَوي السَّفالة، من نحو: النّهاية، والحاجة، والتَّغيُّر، والاستحالة.

والبَـرُّ: مَن منه كلُّ مَبرَّة، ودَفْعُ كلِّ مَضَرَّة.

والتوَّاب: مَن يُيَسِّر لعبده العاصي أسبابَ الرُّجوع إليه غيرَ ما مَرَّة، ثمَّ يعود إليه بفضل رحمته وإن أَصَرَّ على العصيان عُمُرَه.

والمُنتقِم: مَن أَخْذُهُ أليم، وبَطْشُه شديد، ولكن بعد إملاء وإمهال، وإنذار وتهديد.

والعَفوّ:/ مَن يمحو أثرَ العِصيان، ويُكَفِّرُه[٧] بالإحسان.

والرَّؤوف: مَن رَحمته بالغة، ومَشارِبُ نِعَمِه صافيةٌ سابغة.

---

(١) من (ت).

(٢) في (ت): من لم يمتنع.

(٣) كذا في (ح)، وفي (ت): المنتهى. والعبارة لا تزال قلقة.

(٤) في (ت): من لا ابتداء ولا انتهاء لوجوده، الذي منه الابتداء وإليه المنتهى كل وجيه. (هكذا)

(٥) في نسخة (أ): بالأسرار.

(٦) في (ت): ما تفرد.

(٧) في (ت): ويكافئه.

ومالكُ المُلك: مَنِ المُلكُ بيده، يُؤتيه مَن [يشاء و][1] يريد، ومَشيئتُه في مُلكه، أي: مَمْلَكته، نافذةٌ لا رَادَّ لها منَ العبيد.

ذُو الجَلال: مَن يُهَاب لِسُلطانه.

وذُو الإكرام: مَن يُثنَى عليه بما يَليق بِعُلوّ شأنه وباهر إحسانه.

والمُقْسِط: المُنصِفُ لعباده من نفسه وغيره، الجاعلُ لكلٍّ منهم قِسْطًا مِن خَيْره.

والجامع: مَن جمع الفضائلَ والمَفاخرَ، وحَوَى المكارمَ والمآثر، وكان على تأليف المُتماثِلات والمُتباينات والمُتضادات أعظمُ قادر.

والغنيّ: مَن استَغْنَى عن كلِّ غيرٍ[2]؛ لأنَّه [هو الغني] [3].

والمُغْني: مَن جَبَر مَفاقِرَ الخَلق [بإغنائهم] [4] إلا[5] عن جنابه.

والمانع: قيل: مَن لا يُعْطي، فلا يُذْكَر مُفرَدًا، وقيل: النَّاصِر، وقيل: المانع[6] أسبابَ الفسادِ والرَّدَى.

والضَّارُّ:/ مَن يَنْقُصُ[7] عبدَهُ ممَّا جعلَه مُحتاجًا إليه.

والنَّافع: مَن يَهَبُهُ ذلك كلَّه ويَزيدُه عليه.

والنُّور: مَن ظهر بوجوب وُجوده، وأظهر الأكوان مِن ظُلُمات العدمِ بفضله وجُوْدِه.

والهادي: مَن بَيَّن الرُّشْدَ منَ الغَيِّ، وأَلْهَمَ طُرُقَ المصالحِ الدِّينيَّة كلَّ مُكَلَّفٍ، والدُّنيويَّة كلَّ حَيٍّ.

والبَدِيع: المُتَفَرِّد بما لم يُعْهَد مثلُه في عصره.

والباقي: مَن لا انقضاءَ لأَبْدِ دَهْرِه[8].

والوارث: مَن تَرْجِعُ إليه الأملاكُ بموت أربابها.

والرَّشيد: مُهَيِّء الرُّشْدِ، المُوصِلُ إلى مُراداته بتسديد أسبابها.

---

(١) زيادة من (ت).

(٢) كذا في (ت)، وفي (ح) و (أ): خير.

(٣) زيادة من (ت).

(٤) زيادة من (ت).

(٥) في (ت): لا.

(٦) في (ت): مانع.

(٧) في (ت): نقص.

(٨) في (ت): لأبديته.

والصَّبور: مَن يَتَحَيَّن بفعل كلِّ شيء أوانَه، من غير تقديم عَجَلةً، ولا تأخير مَهانةً.

فهذا آخِرُ ما أردتُه[1]، واللهُ وليُّ الإعانة، والحمد لله أوَّلًا وآخِرًا، باطِنًا وظاهرًا[2]، وصلَّى اللهُ على سيّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا[3].

آخِر إعلام اللبيبة الحَسنا بمعاني أسماء الله الحسنى،/ تأليف الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل وليُّ الدِّين، أبي عبد الله، محمّد بن أحمد بن إبراهيم العثماني المنفلوطيّ الشَّافعيّ، تغَمَّدَه اللهُ برحمته، آمين يا ربَّ العالمين.

(١) في (ت): ما ورد.

(٢) في (ت): ظاهرًا وباطنًا.

(٣) في (ت): دائمًا إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وهنا انتهت هذه النسخة.

ثبت مصار ومراجع الدراسة والتحقيق

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الأذكار: لأبي زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)،تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق،ط١/١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- إفهام الأفهام في شرح عقيدة العز بن عبد السلام: لأبي عبد الله، ولي الدين الملوي، محمد بن أحمد، ابن المنفلوطي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: د. طه محمد فارس، نشر دار جليس الزمان، ودار الضياء، دمشق، استنبول، ط١/ ٢٠١٩م.
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي عبد الله، علاء الدين، مغلطاي بن قليج البكجري المصري (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، نشر دار الفاروق الحديثة، ط/١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- إنباء الغمر بأبناء العمر: لأبي الفضل أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: د حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط/١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: لأبي الحسن، جمال الدين، علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
- الأنساب: لأبي سعد، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١/١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لإسماعيل باشا البغدادي، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين: لأبي البركات، رضي الدّين، محمد ابن أحمد الغزي العامري الشافعي (ت: ٨٦٤هـ)، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا: لأبي الطيب، تقي الدين، محمد بن أحمد القرشي الحسني الفاسي (ت: ٨٣٢هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، نشر دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٨م.
- تفسير أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، نشر دار المأمون للتراث، دمشق، ط٥/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط١/١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج، جمال الدين، يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- تهذيب اللغة: لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/٢٠٠١م.
- جمال القراء وكمال الإقراء: لأبي الحسن، علم الدين السخاوي، علي بن محمد الهمداني المصري (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، نشر دار المأمون، دمشق وبيروت، ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الدارس في تاريخ المدارس: لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد، الهند، ط٢/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الذيل التام على دول الإسلام: لأبي الخير، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، ومكتبة دار ابن العماد، بيروت، ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- الذيل على العبر في خبر من غبر: لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت:٨٢٦هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك: لأبي العباس، تقي الدين، أحمد بن علي، الحسيني العبيدي، المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، نشر دار الفكر، بيروت.
- سنن البيهقي الكبرى: لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط/١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢/١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- السنن الكبرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
- سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.
- شرح أسماء الله الحسنى (لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات): لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، اعتناء: طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط/١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: لابن دقيق العيد، أبو الفتح، تقي الدين، محمد ابن علي (ت: ٧٠٢هـ)، نشر مؤسسة الريان، ط٦/١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

- شرح السنة: لمحيي السنة البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- شرح صحيح مسلم (المنهاج): لأبي زكريا، محيي الدِّين، يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، ط/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- شعب الإيمان: لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١/١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الأولياء: لابن الملقِّن، أبي حفص، سراج الدين، عمر بن علي الشافعي المصري (ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدين شريبه، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢/١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، مصر، ط٢/١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- طبقات المفسرين للداوودي: لشمس الدين، محمد بن علي الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- العبر في خبر من غبر: لشمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، نشر مطبعة حكومة الكويت، ط/١٩٨٤م.
- العقد المُذْهَب في طبقات حملة المذهب: لابن الملقن، سراج الدين، أبي حفص، عمر بن علي

الشافعي المصري (ت: ٨٠٤ هـ)، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، أبي الفضل، أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، وتصحيح محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٧٩هـ.
- فوات الوفيات: لصلاح الدين، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١/ ما بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: للمولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- لب اللباب في تحرير الأنساب: لجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، نشر دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط.ت.
- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، نشر دار صادر، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ.
- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، تعليقات الذهبي في التلخيص، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): لأبي عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر": لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (ت: ١٤٠٨هـ)، نشر مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مقاييس اللغة: لأبي الحسين، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نيل الأمل في ذيل الدول: لزين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت: ٩٢٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر المكتبة العصرية، بيروت،

لبنان، ط١/١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون: لإسماعيل باشا البغدادي، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط/١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدِّين، أحمد بن محمد، ابن خلّكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.
- الوفيات: لتقي الدين، محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ.

ثلاثة أجوبة فقهية

تأليف

العلامة أحمد ابن الخيّاط الزُّكاري الحسني

(ت: ١٣٤٣هـ)

تقديم وتحقيق

الدكتور نورالدين بن محمد لرجى

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق:

الحمد لله، وأصلي وأسلم على سيدنا ومولانا رسول الله وآله الأطهار، وصحابته الأخيار.

أما بعد؛ فإن المتصفح لكتب التراث يجد نفائس علمية تركها لنا علماء أجلاء، حملوا هذا العلم جيلًا بعد جيل، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتركوا لهذه الأمة تراثًا علميًّا هائلًا وفيرًا، حُقِّق بعضُه وبقي الكثير منه مخطوطا، لذا كان من الواجب علينا نحن الخَلَف إخراجُ هذا التراث النفيس محققًا تحقيقًا علميًّا جادًّا، نشرًا لهذا العلم وتقديرًا لجهود علمائنا - رحمهم الله تعالى-، ليستفيد منه الناس عمومًا، وطلبة العلم الشرعي خصوصًا؛ لأنه ميراث هذه الأمة في فهمها لكتاب ربها وسنة نبيها، والتشمير عن ساعد الجد لإحيائه وبعثه من حيز المخطوط إلى المطبوع، ثم دراسته وتحليله، لاستخراج ما ينفعنا في الحاضر والمستقبل.

وإنَّ مما كثرت فيه المصنفات المخطوطة: "فقه النوازل والفتاوى"، فقد أُفردت فيها مؤلفاتٌ مخصوصة، تعددت أنواعها وموضوعاتها، باعتبارها فقهًا تطبيقيًّا يساير قضايا كل عصر، وفي كل مصر، ويواكب المستجدات في كل مجالات الحياة.

فكتب الفتاوى ونوازل العلماء تتكلم عن مسائل ليست موجودة في الغالب في كتب المذاهب، ولذا يستفاد منها في تقرير المذهب في المسائل الجديدة، كما يستفاد منها في معرفة الراجح من الأقوال، فكانت هذه الكتب وليدة الحاجة، لكون المفتي تُعْرَض عليه قضايا الناس لحظة بلحظة، فهو لصيق بهم، عالمٌ بأحوالهم، مُلِمٌّ بواقعهم.

ولقد وقع اختيارنا على تحقيق أجوبة غنية بالفوائد العلمية، والدرر الفقهية، لعالم جليل، وفقيه مدقق نحرير، هو سيدي أحمد بن الخيّاط الزُّكاري؛ حيث لم يسبق أن حُقّقت من قبل، ولم ترَ النور بعد، فرأينا أنه عمل يستحق أن يحقق حتى يتيسر إخراجه إلى حيز الوجود، نظرًا لما لهذه الأجوبة من المكانة الرفيعة، حيث تعتبر من أهم القضايا الفقهية التي تعكس الواقع الاجتماعي في عصر المؤلّف، وما له من أهمية في القضاء والمرافعات.

وقد قمنا بتقسيم هذا العمل إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة الأجوبة.

وذلك في فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلّف.

الفصل الثاني: التعريف بالأجوبة.

القسم الثاني: تحقيق نص الأجوبة.

ذيلنا البحث بفهرس للمراجع والمصادر.

القسم الأول: دراسة الأجوبة

الفصل الأول

التعريف بالمفتي سيدي أحمد ابن الخياط

أولًا: اسمه ونسبه:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن مَحْمَد -فتحًا- بن الخيّاط بن محمد بن الحسن بن صالح الزُّكَارِي الحسني، المعروف بـ: "ابن الخياط الفاسي". ينتهي نسبه إلى أحمد ابن محمد بن القاسم بن المولي إدريس، مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب[١].

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد سيدي أحمد بن الخياط منتصف شعبان من عام: (١٢٥٢هـ) بمدينة فاس[٢]، وبها نشأ، في أسرة تواتر شرفها عند أهل فاس، وينظرون إليها نظرة التعظيم والإجلال، حيث عُرِفت بالعلم والفضل والمجد، وأَخَذَ العلمَ بها عن فطاحل علمائها، فتكوَّنت له ثقافةٌ واسعةٌ تجلت في تقاييده التي يُعَدِّد فيها المصادر، ويظهر من خلالها سعة العلم والرواية، وكثرة الحفظ وحسن الاستيعاب والدراية، فكان بذلك موضع تقدير من تلامذته ومعاصريه ومثار إعجابهم.

ثالثًا: شيوخه:

أخذ سيدي أحمد بن الخياط عن جلَّة علماء عصره نذكر منهم:

- والده محمد بن عمر بن عبد الهادي، حيث وصفه في فهرسته الكبرى بأنه: "أدّبه صغيرًا، وعَلَّمه الوضوءَ والصَّلاة، وأخذ عنه أذكارًا وأورادًا"[٣].

- محمد بن المدني كنون (١٣٠٢هـ) أخذ عنه صحيح البخاري[٤].

- ومن شيوخه في الفقه: أبو زيد عبد الرحمن الشدادي الحسني (١٢٦٩هـ) أخذ عنه مختصر

---

(١)- انظر: عبد الحفيظ بن محمد الظاهر الفاسي، "معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة" ، صححه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية: (ص: ٩٩).

(٢)- انظر: محمد عبد الحي الكتاني، "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية: ١٩٨٢م: (١/ ٣٨٧)

(٣)- انظر: أحمد ابن الخياط الزكاري، "الفهرسة الكبرى والصغرى"، تحقيق: د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم: الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: (ص: ٥٩).

(٤) أحمد ابن الخياط، الفهرسة الكبرى والصغرى: (ص: ١١٢).

خليل[1]، وتحفة ابن عاصم[2]، والمرشد المعين[3].

- ومن شيوخه في النحو: عبد الملك العلوي الضرير (١٣١٨هـ)[4].

رابعًا: تلامذته:

نظرًا لمكانة مترجمنا العلمية، وما اشتهر به من سعة الأفق في جميع العلوم والفنون، فقد أخذ عنه جمٌّ غفير من طلبة العلم نذكر منهم:

- محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ) حيث أجازه إجازة عامة[5].

- أحمد بن محمد الرهوني التطواني (١٣٧١هـ) وأجازه إجازة عامة[6].

- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (١٣٧٦هـ) أجازه إجازة عامة وخاصة[7].

- أحمد بن العياشي سكيرج (١٣٦٣هـ)[8].

خامسًا: مؤلفاته: إن القيمة الثقافية والفكرية لأي عالم تتجلَّى فيما خلَّفه من آثار علمية وتراث فكري، ونجد أن فقيهنا خلَّف تراثًا علميًّا هائلًا، ومن جملة إرثه العلمي والثقافي ما يلي:

- حاشية الفرائض (فرائض المختصر وشرحها) للخرشي.

- شرح الطرفة في مصطلح الحديث.

- نظم أصول أحوال الجد السبعة وشرحه، ونظم عمل الإيصاء بالتنزيل.

- تقييد في كيفية الغسل على أكمل وجه، فرضًا وسنة وفضيلة، فعلًا وترتيبًا ونيةً.

- شرح نظم جمع الجوامع إلى قوله: "في تعريف الرخصة وإلَّا فعزيمة".

- ختمة قراءة جمع الجوامع باختصار.

---

(١) نفسه: (ص: ١١٩).

(٢) نفسه: (ص: ١٢٢).

(٣) نفسه: (ص: ١٢٣).

(٤) الكتاني، فهرس الفهارس: (١/ ٣٨٨)

(٥) أحمد ابن الخياط، الفهرسة الكبرى والصغرى: (ص: ٢٩).

(٦) أحمد الرهوني، "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" ، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، تطوان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: (٢١٦/٨).

(٧) محمد الحجوي الثعالبي، "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: (٢/ ٣٨٢)

(٨) ذكر في كتابه قدم الرسوخ أخذه عن العلامة بن الخياط، انظر: أحمد بن العياشي سكيرج، "قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ" ، تحقيق: محمد الراضي، دار الأمام ٢٠١١م: (ص:٣٠٧).

إلى غير ذلك من الأجوبة والتقاييد والشروح[1].

سادسًا: وظائفه: عرِف عن سيدي أحمد بن الخياط، أنه كان زاهدًا في المناصب الكبيرة، والرُّتب العليَّة، وكان يسلك الحيل التي تمكِّنه من التَّخلّص منها، غرضُه في ذلك؛ راحة نفسه وسلامة دينه، إلا أنَّه تقلَّد بعضَ المناصب التي لم يكن له بدٌّ منها، ومن بين ما شغله عالمنا الجليل من الوظائف ما يلي:

- التدريس بجامع القرويين العامر بفاس.
- الفتوى؛ إلَّا أنه لم يُخلّف ديوانًا يَجمع شتات ما أجاب عنه من نوازل عصره.
- انتُخب للكتابة بالوزارة فلم يسعه إلَّا الامتثال لذلك[2].
- عُيّن رئيسًا للمجلس العلمي التحسيني الذي أُسس أوَّلًا بكلية القرويين[3].

سابعًا: وفاته: توفي شيخنا -رحمه الله- يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام: (١٣٤٣هـ)، ودُفن بزاوية بالرّميلة المعروفة بالزُّكَارِيِّين، قريبة من زاوية الشيخ علي الجمل[4].

الفصل الثاني

دراسة الأجوبة

أولًا: توثيق نسبة الأجوبة للعلّامة أحمد بن الخيّاط:

إنَّ نسبة هذه الأجوبة للشيخ أحمد بن الخيّاط هي نسبة صحيحة وثابتة، ومن أهم ما وقفنا عليه في ثبوت ذلك:

- ذكر سيدي ابن الخيّاط في فهرسته مجموعةً من التأليف والتقاييد والأجوبة التي خلَّفها بخطّ يده، وذكر منها هذه الأجوبة الثلاثة، حيث أشار إليها بموضوعاتها[5]، وهي:

- أنَّ المفتي – رحمه الله – كان يختم الأجوبة التي يقيّدها بذكر اسمه وكنيته، فيقول: "وكتبه العبد الضعيف، المعترف بالعجز والقصور والتقصير، الحقير أحمد بن محمد بن الخيّاط، كان الله له وللمسلمين آمين".

- أنّ ناسخ هذه الأجوبة هو تلميذ سيدي عبد الواحد بن عبد السلام الفاسي، وقد ذكرها منسوبة

(١) انظر: مؤلفاته في فهرسته الكبرى والصغرى: (ص: ١٧٦ – ١٩٠).

(٢) الرهوني، عمدة الراوين: (٢٢١/٨).

(٣) الحجوي، الفكر السامي: (٢/ ٣٨٢)، وعبد السلام ابن سودة، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: (ص: ٣٣).

(٤) ابن سودة، سل النصال: (ص:٣٣)، الحجوي، الفكر السامي (٢/ ٣٨٢).

(٥) ابن الخياط، الفهرسة الكبرى والصغرى: (ص: ١٨٠).

للمؤلّف.

ثانيًا: منهجه في الأجوبة: من خلال قراءتنا في هذه الأجوبة للعلّامة ابن الخياط، نستشف منهجَ المؤلّف فيها، حيث يتضح لنا بجلاء ثراءه العلمي، واتساع دائرة اجتهاده، مع وفرة وغزارة المعلومات الفقهية والأدلة الشرعية.

ومنهجه كان يعتمد على ما يأتي:

- تلقي الأسئلة عن النوازل والحوادث المستفتى في شأنها، والإجابة عنها.

- اعتماده على النقل من المصادر الفقهية ودواوين أمهات المذهب المالكي، وكتب الوثائق والشروط والأحكام.

- إسناده الأقوال إلى أصحابها.

- ذِكرُ خِلاف العلماء داخل المذهب.

- إفتاؤه بالمشهور من المذهب المالكي.

- الاستدلال بما جرى به العمل.

- توظيفه فتاوى ونوازل الفقهاء المتقدمين.

ثالثًا: وصف النسخة المخطوطة:

عنوان المخطوطة: "أسئلة وأجوبة"، لمؤلفها: أحمد ابن الخيّاط الزكاري. محفوظة بخزانة مؤسسة علّال الفاسي بالرباط تحت رقم: ١٢٨٣ ع ٧٧٠. عدد الصفحات: ٨ (لكن عدد صور المخطوط المرفقة ٧ صفحة فقط)، في مجموع: (٦٦ – ٧٣)، تتخللها "ختمة مختصرة لقراءة جمع الجوامع" فيما يقرب من الصفحتين. أولها: "وبعد؛ فقد سئل مقيده عن مسألتين: إحداهما مسألة كالئ الصداق...". وآخرها: "وكتبه العبد الضعيف المعترف بالعجز والقصور والتقصير الحقير أحمد بن محمد بن الخياط كان الله له وللمسلمين آمين انتهى"،

نوع خطها: مغربي زمامي. وناسخها: عبد الواحد بن عبد السلام الفاسي: (١٣٦١هـ)، حالتها: جيدة، كتبت بمداد أسود، ورقها: أصفر مظلم.

رابعا: منهجنا في التحقيق:

من أجل إخراج هذا النص على الشكل الذي أراده عليه صاحبه، سلكنا في ذلك خطة علمية تتجلى فيما يأتي:

- قمنا بإعادة نسخ المخطوط الأصل وفق قواعد الإملاء الحديثة.
- تخريج الآيات القرآنية الكريمة بذكر اسم السورة والآية.

• تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بذكر كتب السنن الوارد فيها، ثم اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث.

• توثيق الأنظام الشعرية وعزوها إلى أصحابها.

• توثيق النقول والآراء والمسائل الفقهية الواردة في النص.

• عرفنا ببعض المصطلحات والألفاظ الواردة في النص.

• ترجمة الأعلام الواردة في نص المخطوط.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويمهد دربنا الذي اختاره لنا، وأن يهدينا إلى سبيل الرشاد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

صور المخطوط موضوع التحقيق:

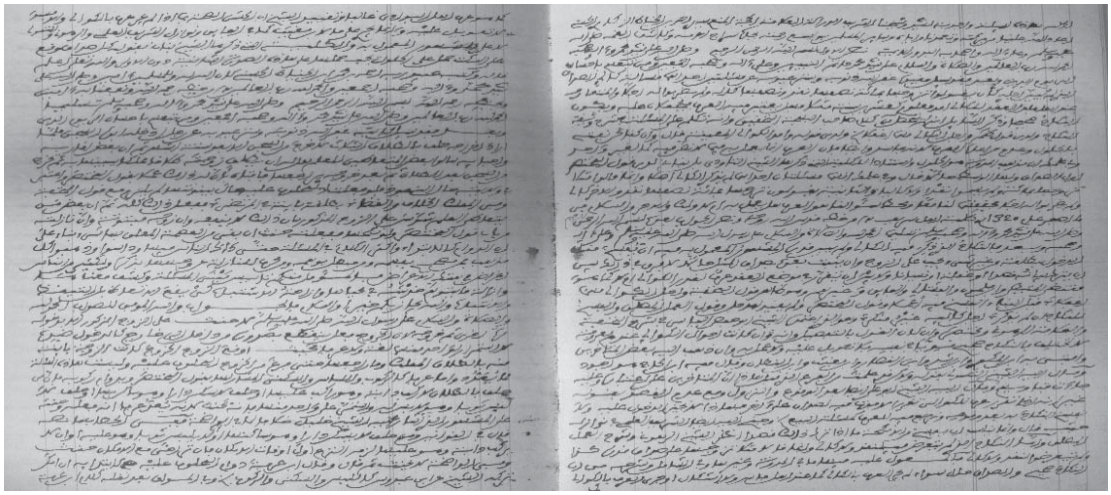

الصفحة الأولى والثانية

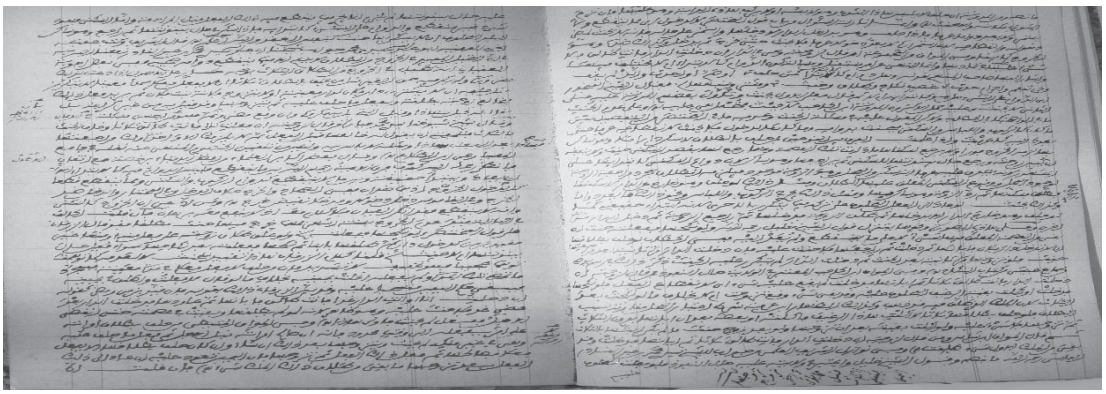

الصفحة الثالثة والرابعة

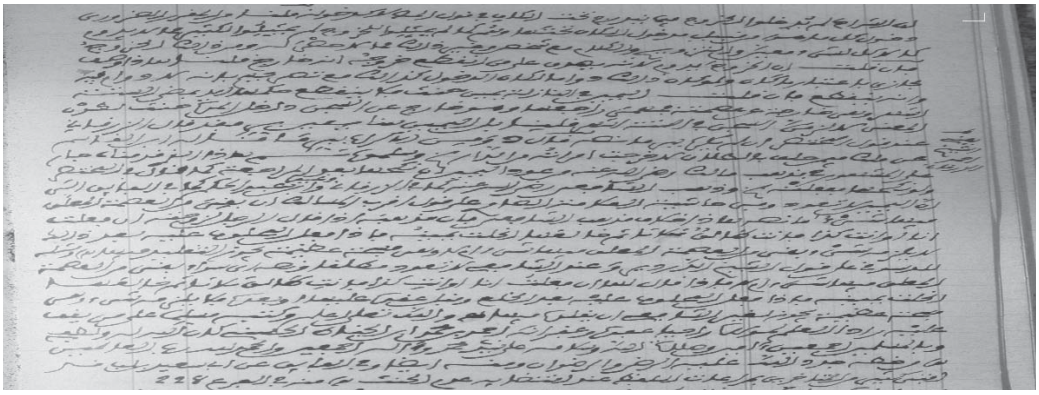

الصفحة الخامسة

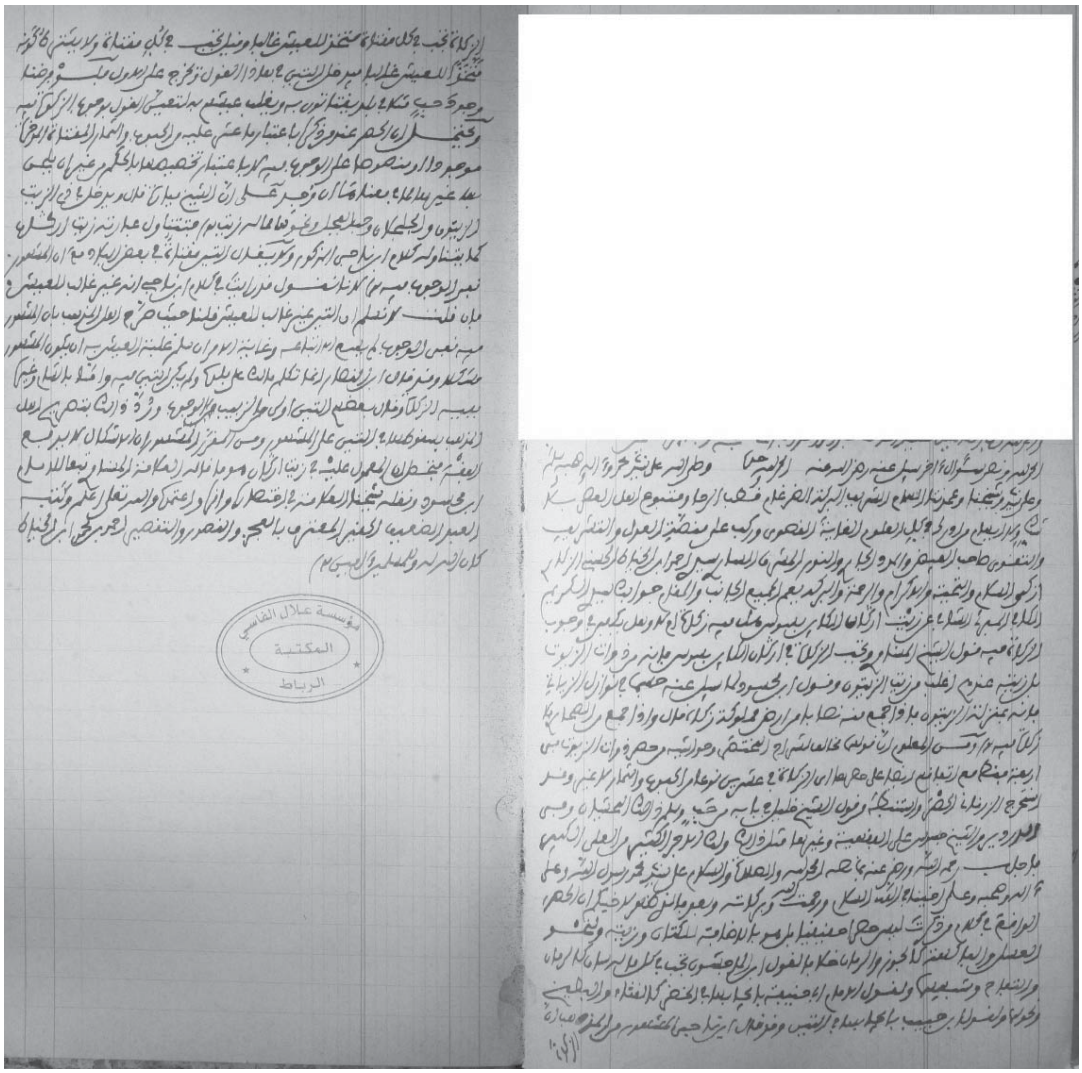

الصفحة السادسة والسابعة

النص المحقق:

الحمد لله، هذه أسئلة وأجوبة لسيدنا وشيخنا الشريف الدَّرّاكة العلّامة الحُجّة المُنَعّم سيدي أحمد بن الخيّاط الزُّكاري الحسني، أعاد الله علينا من بركته، وتغمدنا وإيَّاه وسائر المسلمين بواسع رحمته، بجاه سراج الأمّة، وكاشف الغُمَّة، وعلى آله وأصحابه البدور الأئمة[1].

ـــــ نص الأولى:

[جواب عن عقد نكاح لم يتعرض فيه لأجل طالبي الصّدَاق][2]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد سُئل مُقيّدُه ـ غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ـ عن مسألتين:

إحداهما: مسألة كالئ[3] الصداق[4] الذي لم يبين أجله، كأن يقولوا: تزوجها بمائة، نصفها نقد،

---

(١) المقدمة هي لناسخ الأجوبة سيدي عبد الواحد بن عبد السلام الفاسي المتوفى عام: (١٣٦١هـ)، والد الزعيم الوطني، علال الفاسي الفهري.

(٢) قمنا بإضافة عناوين لهذه الأجوبة، معتمدين في عنونتها على ما ذكره المؤلف في فهرسته الكبرى والصغرى في الجزء المتعلق بما خلفه من تراثه العلمي والفكري. ـ انظر: أحمد ابن الخياط الفهرسة الكبرى والصغرى: (ص: ١٨٠ – ١٨١).

(٣) الكالئ مادته كلأ، وهو في اللغة يدل على الانتظار والمراقبة، والتأخير والحفظ، وسمي الدين إذا تأخر كالئا، لأن صاحبه يرقب وينتظر متى يحل أجله، ومنه الحديث: {نَهَى عن الكالئ بالكالئ" بمعنى النَّسيئة بالنسيئة}. انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: (٥/ ١٣٢)

(٤) الصَّدَاقُ بفتح الصاد وكسرها مهر المرأة، وهو مشتق من الصِّدْقِ، لأن وجوده يدل على صِدْقِ الزوجين، ويقَال له: المهر، والطّوْلُ، وَالنِّحْلَةُ، ويقال فيه: صَدَاقٌ، وصُدْقة، وصَدُقة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ (النساء: ٤). واصطلاحا: ما يجعل للزوجة في نظير الاستمتاع بها، أو ما وجب بنكاح، أو وطء، أو تفويت بضع قهرا كرضاع، ورجوع شهود.

والصداق هو: أحد أركان النكاح الأربعة التي لا يصح عقد إلا باجتماعها والتي هي: "الصغية" -من إيجاب وقبول-، والولي، والمحل -من وزج وزوجة-، والصداق. وقد جمعها ابن عاصم في تحفته فقال:

والمَهْرُ والصِّيغَـــــةُ والزَّوْجـــــــانِ ثُمَّ الْوَلـــــــيُّ جُمْلَةُ الأَرْكـــــان

وكالئ الصداق هو: مؤخر ما يدفع للزوجة من الصداق. ـ انظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م: (ص: ٣٧٥)، وابن فارس معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٣٣٩)، والشيخ خليل، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب ، تحقيق: عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: (٣/ ٥٠٥)، وعلي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية ـ لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م: (١/ ٣٧٧).

ونصفها كالئ، ولم يضربوا له أجلًا، والمتعارف عند أهل بلد العقد للكالئ أمد معلوم كعشرين سنة مثلًا، فهل يعتبر فيه العُرف فيحملان عليه ويكون النكاح صحيحًا؟ وذكر السائل أنه لم يتحصل في كلام البهجة التحقيق، وأنَّه تكلَّم على المسألة في شرح وثيقة النكاح ولدى قول الناظم:

وَأَجَـــلُ الـكـالـئِ مَـهْـمَـا أُغْـفِـــلاَ(١) ----------

ولدى قوله:

وَأَمَـــدُ الـكَـوالِـئِ الـمُـعَيَّـنَـــــــــهْ(٢) ----------

قال: وإن كنا نحن نفتي بالحلول(٣) وعدم مراعاة العُرف لأنَّه فاسد(٤)، وأيضًا: فإنَّ العُرف إنما يُعمَل به فيما لا نَصَّ فيه كما لغير واحد(٥)، وفي علمك أن مذهب المدونة هو الحلول، واستنادًا للكلية التي ذكرها الشيخ بناني لدى قول المختصر أول الصّداق: "وَلَهَا الْوَسَطُ حَالًّا "(٦).

قال: وفي علمك أنها مسألتان: إحداهما: لم يذكر الكالئ أصلًا، وإنما قالوا مثلًا: تزوّجها بمائة ولم يُسَمُّوا نقدًا ولا كالئًا.

والثانية: يقولون تزوجها بمائة نصفها نقدًا، والآخر كالئ، ولم يضربوا له أجلًا.

---

(١) وتمام البيت قوله:

وَأَجَـــلُ الكـالئِ مَهْمَا أُغْفِـــلاَ **قبلَ البناءِ الفسخُ فيهِ أُعْمِلا**

- انظر: نفسه: (١/ ٤٣٢).

(٢) وتمام البيت قوله:

وَأَمَدُ الكَوالِئِ المُعَيَّنَـــــهْ **سِتَّـةُ أَشْهُرٍ لِعِشْرينَ سَنَهْ**

- انظر: نفسه: (١/ ٣٩٦).

(٣) أي بلوغ وقت وأجل الدين.

(٤) العرف لغة قال ابن فارس: "عرف" العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. أما في الاصطلاح: عرَّف الجُرجاني العُرف والعادة معًا فقال : "العرف ما استقرّت النُّفوسُ عليه بشهادة العقول، وتلقَّته الطبائعُ بالقَبول، وهو حُجّة أيضًا لكنه أسرع إلى الفهم، وكذا العادة هي ما استمر النَّاس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى". - انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (٤/ ٢٨١)، وعلي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، لطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ: (ص: ١٩٣).

(٥) اشترط العلماء للأخذ بالعرف شروطًا أربعة، وهي: الشرط الأول: أن لا يكون العرف مخالفًا لنصّ شرعي أو لقاعدة شرعية. الشرط الثاني : أن يكون مضطردًا. الشرط الثالث: أن يكون قديمًا لا طارئًا، الشرط الرابع: أن يكون ثابتًا، أي: يكون العمل به عند الناس بطريقة ثابتة غير متغيرة. - انظر: محمد بن أحمد السرحسي، المبسوط، دار المعرفة – بيروت – لبنان، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: (١٢/ ١٩٦).

(٦) مراده بالكلية التي نصّ عليها الإمام الرهوني قوله:" كل صداق وقع على السكت حُمِل على الحلول" –انظر: عبد الباقي الزرقاني، ومحمد بن الحسن البناني، حاشية البناني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، ضبط وتعليق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: (٤/ ٧).

فَحَقِّقْها لنا معًا، ومحط سؤالنا هو العرف هل يعمل به أم لا؟ ولك الأجر والسلام، في: ٤ صفر عام: ١٣٢٠ هـ[١] طلبة أهل سريف انتهى من خطه قدس الله روحه.

ونص الجواب بعد بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه.

وبعد؛ فالنّكاح الذي ذُكر فيه الكالئ ـــــ ولم يَبْن (يبيِن أو يبِن) قدرُه؛ المشهور المعمول به فيه أن يُفسخ قبل الدخول بطلقة من غير شيء، ويجب على الزوج أن يثبت بعده بصداق المثل حالًا، لا فرق في ذلك بين أن يترك بيانه قصدًا، أو غفلة، أو نسيانًا، ولا بين أن يَتقرّر في موضع العقد عرف لقدر الكوالئ أم لا، كما هو مقتضى المتيطي[٢]، وابن سلمون[٣]، والفشتالي[٤]، والفائق[٥]، وغيرهم، وهو ظاهر قول التحفة:

---

(١) يوافقه بالتاريخ الميلادي: ١٢ ماي ١٩٠٦م.

(٢) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ويُعرف بالمتيطي السبتي الفاسي: الإمام الفقيه العالم العارف بالشروط وتحرير النوازل، له كتاب: النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام، اعتمده المفتون والحكَّام، توفي مستهل شعبان سنة (٥٧٠هـ). - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٢٣٥).

(٣) ابن سلمون: هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني، أبو محمد، فاضل أندلسي ولد بغرناطة وقرأ وتصوّف بها، توفي عام: ٧٤١هـ - انظر: أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور الرباط ١٩٧٣م: (٣١/٤) ، ومخلوف، شجرة النور الزكية: (٢١٤/١).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي الفاسي، قاضي الجماعة بفاس، ومن أكابر الفقهاء، وتقدّم في علم الوثائق حتى اشتهر بها، له تأليف في "الوثائق"، شرحه الونشريسي في كتاب سمّاه: "غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق الفشتالي" توفي رحمه الله عام: ٧٧٧هـ. - انظر: ومخلوف شجرة النور الزكية: (٣٣٩/١)، ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس: (٢٣٤/١-٢٣٥).

(٥) أي صاحب كتاب الفائق في معرفة الأحكام والوثائق، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد القفصي، قَدِم للقضاء ببلده ثم عُزِل وأُخمل ذكره، وهو أول من شرح جامع الأمهات لابن الحاجب، توفي – رحمه الله- عام: ٧٣٦هـ، وحضر جنازته القاضي ابن عبد السلام، والمفتي ابن هارون، والفقيه ابن عرفة. - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية : (١/ ٢٩٨).

وَأَجَـــــلُ الـكـالـئِ مَـهْـمَـا أُغْـفِـلاَ قـبـلَ الـبـنـاءِ الـفـسـخُ فـيـهِ أُعْـمِـلا[1]

وقول العمل المطلق:

وَالْـفَـسْـخُ لِـلـنِّـكَـاحِ إِنْ لَـمْ يُـذْكَـرِ أَجَـــلُ كَـالِـيـهِ غَـيْـرُ مُـنْـكِـرِ[2]

وهو الذي اعتمده الشيخ أبو حفص الفاسي[3] في شرح التحفة[4]، والعلّامة الرّهوني[5] ـــــــ ومختصره، وإن كان القول بالتفصيل، وأنه إن كانت أحوال الكوالئ عندهم معروفة لا تختلف، فالنكاح صحيح قوي في نفسه، فلا تعويل عليه، ولا عمل به، وإن ذهب إليه بعض المتأخرون، وأفتى به ابن

(١) التسولي، البهجة في شرح التحفة: (١/ ٤٣٢).

(٢) انظر: الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء – المغرب بدون طبعة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: (١٩٠/١).

(٣) هو عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، تولَّى الخطابة بجامع الجيسة، له تآليف كثيرة منها: " تحفة الحذاق في شرح لامية الزقاق"وغيرها. توفي عام: ١١٨٨هـ . انظر: محمد بن جعفر الكتاني، وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء: (٣٨٤/١ – ٣٨٦)، وعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م: (١١٨٨/١).

(٤) المسمى: "غاية الإحكام في شرح تحفة الحكام"، وهو شرح في مجلدين، نسبه إليه ابن سودة في إتحاف المطالع: (٣٧/١).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الرهوني، ولد عام: ١١٥٩هـ، شيخ الجماعة وخاتمة المحققين والعلماء العاملين، أخذ عن الشيخ التاودي وغيره، له تآليف مفيدة، منها:"حاشية على شرح الزرقاني على المختصر" وغيرها، توفي عام: ١٢٣٠ هـ ـ انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٥٤١)، والكتاني، سلوة الأنفاس: (١/ ١٥٤).

المكوي[1]، وابن رشد[2]، وابن القصار[3]، وابن مغيث[4]، وابن القطان[5]، وقال فيه ابن الحاج[6]: "هو

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي الأندلسي المعروف ابن المكوي، تفقه على إسحاق بن إبراهيم الفقيه، وبرع وفاق الأقران، صنف هو والعلامة أبو بكر المعيطي معًا كتاب الاستيعاب في المذهب، في مائة جزء، لصاحب الأندلس المستنصر، توفي عام: ٤٠١ هـ. - انظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م: (١٧/ ٢٠٦).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الجد أبو الوليد القرطبي، ولدعام: ٤٥٥هـ، تفقه بابن رزق، وابن سراج، كان شيخ المالكية، فقيهًا عالمًا، عارفًا بالفتوى، تولى قضاء قرطبة، ثم استعفى للانكباب على تأليف: "البيان والتحصيل"، فأعفي - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ١٩٠)، والحجوي، الفكر السامي: (٢/ ٢٥٥).

(٣) هو علي بن أحمد، أبو الحسن البغدادي قاضي بغداد، المعروف بـ: "ابن القصار"، إمام أصولي، له كتاب في "مسائل الخلاف" لا يُعرف للمالكية كتاب في الخلاف أكبر منه، تفقه بالأبهري وغيره، وبه تفقه القاضي عبد الوهاب، ومحمد بن عروس وجماعة، توفي عام: ٣٩٨ هـ. - انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: (١٧/ ١٠٧ – ١١٩).

(٤) نقل ابن مغيب جملة من أقول فقهاء المالكية في خصوص هذه المسألة وأشار – رحمه الله- إلى أنَّ الإمام مالكًا كره أن يكون الصداق بعضه معجلًا وبعضه إلى ست سنين، وأن ذلك لم يكن من عمل الناس.

ومما وقفت عليه في ذلك نقله عن بعضهم قوله: "الكالئ إذا وقع إلى غير أجل وعثر على ذلك قبل البناء أو بعده أن النكاح لا يبطل من ذلك، وقيل للزوج عجله لها، فإن أبى وطلقها من ذاته حكم لها بنصف الصداق المعجل ويكون لها عليه نصف الكالئ باقيًا إلى انقضاء أمد المؤخر في صدقاتهم عندهم لأنه متقرر في العرف".

ثم أورد تشبيهًا بالنكاح البيع، فنقل عن ابن القاسم في كتاب الخيار فيمن باع سلعة على الخيار ولم يؤقت للخيار وقتًا، أن البيع جائز وله الخيار إلى مثل ما يكون الخيار في مثل تلك السلعة. حيث قال:" وقد شبه مالك النكاح في بعض الأحوال بمثل البيوع". - انظر: ابن مغيث، المقنع في علم الشروط لابن مغيث، دار الكتب العلمية، بيرو- لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: (ص: ٣١ – ٣٢).

وابن مغيث هو: يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد، المعروف: بابن الصفار قاضي أندلسي، متصوف من علماء الحديث، له كتاب: "مسائل ابن زرب"، توفي عام: ٤٢٩ هـ.. انظر: أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،دار الكاتب العربي القاهرة الطبعة ١٩٦٧م : (ص ٤٨٩). وأبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت. الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م: (ص: ٩٥).

(٥) هو علي بن محمد بن عبد الملك الفاسي مولدًا، المرّاكشي قرارًا، الشهير بأبي الحسن ابن القطان، الفقيه، الحافظ، العلاّمة، ولد عام: ٥٦٢هـ، أخذ عن أبي عبد الله التجيبي، وعنه ابناه، صنف في الحديث ورجاله، والفقه وأصوله، توفي –رحمه الله- عام: ٦٢٨هـ.- انظر: مخلوف: شجرة النور الزكية: (١/ ٢٥٧)، ابن القاضي، جذوة الاقتباس (٢/٤٧٠).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي القرطبي المالكي ابن الحاج، شيخ الأندلس ومفتيها وقاضي الجماعة، سمع الكثير من أبي علي الغساني، كانت الفتوى تدور عليه لمعرفته ودينه وثقته، قُتِل ظلمًا يوم الجمعة وهو ساجد عام: ٥٢٩هـ - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٢٢٠)، والذهبي، سير أعلام النبلاء: (١٩/٦١٤).

أجود"[1].

ومال إليه الشيخ التّسولي[2] بقوله: "ولكن قد علمت من الفرع الذي قبل هذا أن المتأخرين على اعتباره، وعليه جاءت فتاويهم"[3].

ومال إليه الشيخ أبو علي[4] أيضًا بعد الوقوع والنزول ومع عدم القصد بقوله: "غير أنه إذا تقرَّر عُرفٌ للكوالئ، تقرر الأفوت فيه لصداق على آخر، فهذا لا يجيز الدخول عليه، ولا فسخ النكاح به بعد وقوعه، ونرجع فيه للعرف كمسألة البيع" إلى آخره.

وجنح إليه أيضا الشريف العلمي[5] في نوازله حيث قال: "وإنما يناسب أن يُفسخ من الأنكحة ما إذا ترك ذاك قصدًا"[6]. انظر الشيخ الرهوني[7]، وشرح العمل المطلق.

وأمَّا النكاح الذي لم يتعرض فيه لنقد ولا كالئ، وإنما ـــــ قالا مثلًا: تزوجها على صداق قدره كذا، ـــــ ولم يتعرضوا لنقد ولا كالئ، فالمعوّل عليه فيها ما في المدونة وغيرها، وفي الشامل وشرحه: من أن النكاح صحيح، والصداق حالٌّ سواء لم يجر عرف بالكالئ عند أهل فاس ولا إشكال، أو جرى العرف بالكوالئ، كما هو عُرف أهل البوادي غالبًا.

---

(١) قال في خصوص هذه الجزئية ما نصّه: "إذا عُقِد النكاح ولم يضرب للكالئ أجل، فإنه يضرب له من الأجل بحسب العرف الجاري، وهذا القول أجود لأن النكاح أخف من البيع". - انظر: نوازل ابن الحاج التجبي القرطبي، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م: (٦٥٠/٣).

(٢) هو أبو الحسن عليّ بن عبد السلام بن عليّ التُّسُولي، الإمام العلاّمة الفقيه النّوازليُ أخذ عن أبي الفيض حمدون الشهير بابن الحاج، وعنه القاضي الرجراجي، له تآليف منها:"البهجة في شرح التحفة"، توفي - رحمه الله - بفاس عام: ١٢٥٨هـ. - انظر: الكتاني، سلوة الأنفاس: (٢٣٨/١)، والحجوي، الفكر السامي: (١٢٣/٤).

(٣) التسولي، البهجة في شرح التحفة: (١/ ٣٩٨).

(٤) هو أبو علي الحسن بن رحال بن أحمد بن علي المعداني التدلاوي قاضي فاس، أخذ عن عبد القادر الفاسي، واليوسي، له: شرح على المختصر سماه "فتح الفتاح"، توفي -رحمه الله- عام: ١١٤٠هـ.- انظر: ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: (٧/٣-٩)، ومخلوف، شجرة النور الزكية: (٣٣٤/١).

(٥) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الحسني العلمي، من أعلام القرن ١٢ الهجري، تتلمذ على الشيخ عبد القادر الفاسي، والقاضي بردلة، وأضرابهما، له تآليف منها: " النوازل " اشتهر بها وتلقاها الفقهاء بالقبول ونهلوا منها كثيرًا، توفي رحمه الله عام: ١١٢٧هـ. - انظر: نفسه: (٣٣٦).

(٦) انظر : أبو الحسن العلمي، "النوازل" تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: (١٧٣/١).

(٧) انظر: محمد بن أحمد الرهوني حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل المطبعة الأميرية بولاق – مصر، ١٣٠٦هـ: (٥/٤).

وتقييد الشيخ أبي الحسن[1] الصحَّة بما إذا لم يجر عرفٌ بالكوالئ وإلا فسد لا تعويل عليه، وإنما يجري على ما لابن مغيث كما في الفائق، ونوازل الشريف العلمي، والرهوني، والتسولي، لا على المشهور المعمول به.

والكلية التي ذكرها الشيخ بناني بقوله: "كل صداق وقع على السكت حمل على الحلول"[2]، يجب حملها على هذه الصورة الثانية دون الأول، والله تعالى أعلم.

قاله وكتبه عبيد ربه؛ أحمد بن الخيّاط الحسني، كان الله له وللمسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين، من خطه رحمه الله ونفعنا به آمين.

[جواب عمَّن حلف بالطلاق الثلاث لا خرجت زوجته، ونيته عند أقاربها فحصل بذلك ضرر وضيق...]

وبخطه رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد سُئل كاتبه ـ غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه ـ عن رجل أدخله أبوه السجن، فلمَّا أراد إخراجه حَلَفَ [3] بالطلاق الثلاث لا خرج من السجن إلا بعد ستة أشهر، ثم إن بعض أقاربه وأحبائه سألوا بعض المتعاطين للعلم هل له أن يطلّق زوجته طلاقًا مملكًا[4] يُبينها به، ثم يخرج من السجن بعد الطلاق، ثم

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الحق، أبو الحسن، ويعرف بالصُغير الزرويلي، تفقه على: راشد بن أبي راشد وغيره، إمام وقته في الفقه، صدرًا في الإفتاء، له: "تقييد على تهذيب المدونة للبراذعي"،توفي -رحمه الله- عام: ٧١٩ هـ. انظر: برهان الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة: (١٠٨/٢-١٠٩)، والكتاني، سلوة الأنفاس: (٣٠٩/١).

(٢) انظر: عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل: (٤/ ٧).

(٣) حَلَفَ يَحْلِف أقسم، يقال: حَلَفَ يَحْلِفُ حَلْفًا وحَلِفًا ومَحْلوفًا. وهو أحد المصادر التي جاءت على وزن مفعول، مثل المجلود، والمعقول، والميسور، والمعسور. انظر: أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م : (٤/ ١٣٤٦).

(٤) يقصد بالتمليك أن الرجل جعل أمر زوجته بيدها، تتملك عصمتها، ولها أن توقع الطلاق متى شاءت، كأن يقول: أنت طالق طلقة مملكة، أو تملكين بها نفسك، وهو في الأصل طلاق الخلع بغير عوض. - انظر: التسولي، البهجة في شرح التحفة: (١/ ٥٣٩ -٥٤٣)، وأبو الوليد محمد بن رشد ، المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : (٣/ ٧٥).

بعد خروجه يراجعها؟ فأفتاه بأن له ذلك عملًا بقول المختصر: " وَاعْتُبِرَ فِي وِلَايَتِهِ حَالَ النُّفُوذِ فَلَوْ فَعَلَتْ الْمَحْلُوفَ عَلَيْهِ حَالَ بَيْنُونَتِهَا لَمْ يَلْزَمْ"[١]، مع قول التحفة:

وَفِي الْمُمَلِّكِ خِلَافٌ وَالْقَضَا بِطَلْقَةٍ بَائِنَةٍ فِي الْمُرْتَضَى[٢]

ففعل ذلك كله، ثم إن بعض من يتعاطى العلم شوش[٣] على الزوج المذكور بأن ذلك لا ينفعه، وأن زوجه مبتوتة[٤]، وإن نازلته من باب قول المختصر: " وَلَوْ نَكَحَهَا فَفَعَلَتْهُ حَنِثَ إنْ بَقِيَ مِنْ الْعِصْمَةِ الْمُعَلَّقِ بِهَا شَيْءٌ "[٥] بناء على أن الدوام كالابتداء[٦]، وأكثر الكلام في المسألة حتى دَاكَ النَّاسُ فيها وداسوا[٧]، وذهبوا كل مذهب، فمن مصحح بفهمه، ومن مبطل بوهمه، ومن مُحرّف للنازلة عن وجهها بذكره، ولكثير من النَّاس أغراض في هتك[٨] الأعراض، فالمؤمَّل[٩] منكم تأسيس مبنى المسألة، وكشف معناها، وإزالة ما يُتوهَّم خدشه[١٠] في محيّاها، وإزاحة الاشتباه كي يقع التيقظ والانتباه، والله يجازيكم خيرًا والسلام.

فالجواب والله الموفق للصواب:

الحمد لله، والصلاة والسَّلام على رسول الله، لا حِنث[١١] على الزوج المذكور إلَّا بدخوله مرَّة أُخرى ثمَّ خروجه؛ لأن الخروج فعل ينقطع بصدوره من داخل إلى خارج، كالدخول ضده لا استمرار لواحد

---

(١) انظر: خليل، المختصر : (ص: ١١٦)

(٢) انظر: التسولي، البهجة في شرح التحفة: (١/ ٥٤٣).

(٣) أي خلط عليه الأمر من شوَّشَ يشوِّش تشويشًا. انظر: أبو العباس أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت: (١/ ٣٢٧).

(٤) اسم مفعول من بت فهي مبتوتة، يقال بَتَّ الرجل طلاق امرأته فهي مَبْتُوتَةٌ إذا قطعها عن الرجعة. انظر: نفسه: (١/ ٣٥).

(٥) خليل، المختصر : (ص: ١١٦).

(٦) من القواعد الفقهية المختلف فيها بين الفقهاء، المشتملة على شقين، وفي ضمنها قسمان: الأول: الإثبات: "الدوام كالابتداء"، كما أورده المفتي أعلاه. الثاني: النفي: "الدوام ليس كالابتداء". فبناء على القسم الأول للقاعدة المحتج بها، يستوي وجود الشيء ابتداء ودوامًا، وهو الأصل. – انظر: أحمد بن علي المنجور، شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، تحقيق: محمد الشيخ محمد الأمين، دار عبد الله الشنقيطي: (١/ ٢١٥).

(٧)- مثل يضرب في الشيء المختلف فيه بين الناس وأصبح من الأمور المتشعبة، كل واحد يقول فيه بفهمه.

(٨) الهَتْك: شَقُّ السِّتر عمَّا وراءَه، وتهتك افتضح، وهتك عِرْضَ المرأَة: اغتصبها. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (٦/ ٣٢)، الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (٤/ ١٦١٦)

(٩) أي المرجو اسم مفعول من أمَّلَ يُؤمِّل تأميلًا، فهو مؤمِّل، والمرغب في تحقيق الأمور المنتظرة. - انظر: وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (١/ ١٤٠)، الرازي، مختار الصحاح: (ص: ٢٢).

(١٠) خدش يخدش وجهه خمشه بأظافره مزقه وعابه. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (٢/ ١٦٠).

(١١) الحنث الخلف في اليمين يقال: أَحْنَثَهُ في يمينه حَنِثَ وتقول منها حَنِثَ بالكسر حِنْثًا بكسر الحاء.- انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (١/ ٢٨٠)، والرازي، مختار الصحاح (ص: ٨٣).

منهما لغة ولا عرفا، فحيث أوقع الزوج الخروج كانت الزوجة بائنة منه بالطلاق الـمُمَلّك، وما راجعها حتى فرغ من الخروج المحلوف عليه، وليست هذه المسألة لما يعدد.

وأما عرفًا: كالركوب، واللباس، والسكنى، المشار لها بقول المختصر: " وَبِدَوَامِ رُكُوبِهِ"[1]، فإن من حلف بالطّلاق لا ركب دابة وهو راكب عليها، أو حلف لا سكن دارًا وهو ساكن بها، أو حلف لا لبس ثوبًا وهو لابس له، واستمر على واحد منها فإنه يحنث لأنه يُعدُّ عُرفًا أنه فعله، وحِنثه على المشهور الذي أشار إليه الشيخ خليل، خلافًا لما في الواضحة، ففي الحطاب[2] ما نَصُّه: "قال في القوانين[3]: ومن حلف لا يسكن دارًا وهو ساكنها، أو أن لا يلبس ثوبًا وهو عليه، أو أن لا يركب دابّة وهو عليها، لزمه النزع أول أوقات الإمكان، فإن تراخى مع الإمكان حَنِث، وفي الواضحة: لا يحنث.

ثم قال: وقال ابن عرفة: دوام المحلوف عليه كابتدائه إن أمكن تركه.

الشيخ: عن ابن عبدوس[4]: كاللبس، والسكنى، والركوب" إلى آخره[5].

وفي المواق[6] بعد نقله كلام ابن عرفة ما نَصُّه: "ومن المدونة: إن حَلَف لا يَلْبَس هذا الثَّوب وهو لابس، أو لا يركب هذه الدابّة وهو عليها، فإن نزع الثوب مكانه وإلا حنث" انتهى[7].

---

(١) انظر: خليل، المختصر : (ص: ٨٣)

(٢) هو أبو عبد الله محمد الحطاب الورعيني، أخذ عن والده، وغيره، وعنه ابنه وابن الحاج المغربي الطرابلسي، له تآليف كثيرة منها: مواهب الجليل على المختصر – تحرير المقالة في شرح الرسالة، وغيرهما.- انظر: وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت: (١٣/ ٢٢٦)، ومخلوف، شجرة النور الزكية: (٢٦٩/١).

(٣) أي في كتاب: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، لمحمد بن جزي الكلبي المتوفى سنة: ٧٤١هـ، والكتاب يشبه إلى حد كبير ما فعله ابن رجب الحنبلي في كتاب "القواعد"، مع تميزه بإيجاز المسائل مع بيان أطراف الأقوال فيها ووضعها في عبارات موجزة سهلة ميسرة.

(٤) هو أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير القيرواني المالكي، من كبار أصحاب سحنون، كان حافظًا لمذهب مالك والرواة من أصحابه، فقيهًا، صالحًا ذا ورع وتواضع له كتاب: المجموعة والوثائق، توفي سنة: ٢٦٠هـ. - انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٦٣)، ومخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ١٠٥).

(٥) انظر: شمس الدين الرعيني الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: (٣/ ٢٩٤)، وأبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي، القوانين الفقهية لابن جزي، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م: (ص: ١٢٢)

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الغرناطي، الشهير بالمواق، خاتمة علماء الأندلس ومفتيها، أخذ عن ابن سراج، وعنه أبي الحسن الزقاق، له "التاج والإكليل في شرح مختصر خليل"، توفي رحمه الله في شعبان سنة ٨٩٧هـ. - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١٠٤/٢)، عمر كحالة، معجم المؤلفين (١٢/ ١٣٣).

(٧) أبو عبد الله محمد المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م: (٥/ ٦).

وإنما نازلة السؤال من باب قول المختصر: "لا كدخول"[1]؛ أي مما ينقطع ولا يستمر ولا يعدد، وأما عرفًا؛ فإذا حلف وهو بداخل الدار لا دخلها واستمر على حاله فإنه لا يحنث، لمضي دخوله وانقطاعه؛ لأن استمراره لا يعد دخولًا عرفًا، فلا يحنث حتى يخرج ثم يدخل، وكذلك ضده وهو الخروج كما بيناه.

وفي المواق: "من المجموعة: إن قال لزوجته وهي في الدار إن دخلت الدار فأنت طالق فلا شيء عليه في تماديها، وإنما النهي عن أمر مستقبل[2].

ومسألة كون الدوام كالابتداء أم لا، يختلف فيها، وأشار إليها صاحب المنهج[3] بقوله:

وهل دوام كابتدا كمن حلف ... أو صح أو أحدث والذي لم يقف

وذي تيمم وإحرام حدث ... غصب نكاح وطلاق وخبث

ومشتر وشبهها لخ[4] ----------

فقال الشيخ المنجور[5]: "أي الدوام على الشيء وهل هو كابتدائه أم لا؟ ثم قال: فعلى الأول يحنث، وتأوَّل بعضُهم المدونة عليه. وعلى الثاني لا يحنث، وعليه حمل الأكثرون المدونة. ابن الحاجب: لا يحنث فتحمل هي عليه" انتهى.[6]

وعلى عدم الحنث ما في الواضحة كما في الحطاب، ولكن المعوّل عليه في مسألة الحنث وعدمه ما في المختصر من التفصيل بين ما كان كالركوب واللباس والسكنى فيحنث بدوامه، وما كان كالدخول فلا يحنث؛ لانقطاعه عرفًا حتى يعود إليه كما عرفت.

وإذا علمت الفرق بين النوعين بمن حلف بالطلاق لا سكنَ دارًا مثلًا وهو ساكن بها، لزمه الخروج فورًا ولا يرجع لسكناها ما دامت تلك العصمة، ومهما رجع لها بقصد السكنى حنث، ولا ينفعه أن يُبِينَ زوجته، ورجع حال بينونتها للسكنى، ثم يراجعها وهو ساكن؛ لأنَّ دوام السكنى كابتدائها على المشهور؛ لأنَّه يصدق عليه عرفًا أنه سكن، والمحل؛ وهو الزوجة موجود، فيلزمه الطلاق بمجرد

---

(١) أسقط الشيخ حرف الجر "في" من نص خليل والذي وقفت عليه من ذلك قوله: "لا في كدخول" انظر: خليل، المختصر: (ص: ٨٣)

(٢) انظر: المواق، التاج والإكليل: (٥/ ٧).

(٣) أي كتاب: المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لناظمه: علي بن القاسم الزقاق التجيبي المتوفى سنة: ٩١٢هـ.

(٤) المنجور، شرح المنهج المنتخب:(١/ ٢١٥).

(٥) هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن القرشي التمساني، شهر بالمقري، قاضي الجماعة بفاس، أخذ عن أبي عبد الله السلوي، له كتاب "القواعد"، أخذ عنه الإمام الشاطبي وابن خلدون، توفي عام: ٧٥٦هـ - انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: (٢/ ٢٦٤)، ومخلوف، شجرة النور: (٢٣٢/٤).

(٦) المنجور، شرح المنهج المنتخب (١/ ٢١٨)، وعثمان ابن الحاجب، جامع الأمهات، تحقيق: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: (ص: ٢٣٨).

مراجعة الزوجة لوجود المحل ووقوع السكنى المعلق عليها الطلاق.

ومثل ذلك لو حلف وهو خارج عن الدار لا سكنها، فطلَّق فسكنها ثم رَدَّ الزوجة وهو ساكن فيها، ومثل ذلك يجري في الركوب واللباس ونحو ذلك، كل من ما يعد[1] دوامًا، وكذلك يحنث لو عاد إلى الفعل المحلوف على تركه فيما يتكرر بالأحرى؛ لأنه ابتداء حقيقي، كما لو حلف وهو خارج الدار ألا يدخلها ثم طلق الزوجة فدخلها، ثم راجع الزوجة ثم دخل الدار ـــــــ مدة أخرى، وعلى هذه الصورة ونحوها يتنزل قول الشيخ خليل رحمه الله: ولو نكحها ففعلته حنث إن بقي من العصمة المعلق فيها شيء لا على ما ينقطع ولم يعد إليه.

ففي الحطاب: "لو حلف بطلاقها أن لا تدخل دار فلان فأبانها ثم دخلت، ثم راجعها، فلا حنث عليه، فإن دخلت الدار مرة ثانية بعد مراجعتها حنث، فلو تزوجها مرة ثانية بعد الحنث ثم دخلت الدار لم يتكرر عليه الحنث، ذكر ذلك في رسم يوصى من سماع عيسى من كتاب النكاح" انتهى[2].

وفي المواق: "ابن الحاجب: المعتبر في الولاية حال النفوذ؛ فمن قال لزوجته إن دخلت الدار فأنت طالق ثلاثًا ثم أبانها فدخلت لم يقع عليه شيء، - أي لانقطاع الفعل- فلو نكحها فدخلت أو أكلت بقية الرغيف المحلوف عليه، وقد بقي شيء وقع تزوجت أم لا، بخلاف ما لو نكحت بعد الثلاث؛ لأن الملك الذي طلق فيه قد ذهب وكذلك الظهار.

ابن عرفة: شرط اعتبار المحل مقارنة سبب الطلاق، فلو حلف بطلاقها ثلاثًا لا أكلت هذا الرغيف فأكلته أو بعضه بعد أن أبانها بدون الثلاث ثم تزوجها فلا شيء عليه، ولو أكلت بقيته بعد أن تزوجها ولو بعد زوج حنثت ما لم يكن أبتَّها بالثلاث.

ثم قال ـــــ المواق: ابن شاس: ومن قال لزوجته إن دخلتِ الدَّار فأنت طالق ثلاثًا ثم أبانها، فدخلت وقد بقي من الملك شيءٌ طَلُقت" انتهى[3].

وفي نوازل الشريف العلمي من جواب للشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي[4] رحمه ما نصه: "وقول الشيخ خليل: واعتبر في ولايته عليه حال النفوذ، فلو فعلت المحلوف عليه حال بينونتها لم يلزم، إنما يجري فيما ينقطع فيه ذلك الفعل قبل المراجعة، وأما السكنى: فهو شيء غير منقطع، والدوام على الشيء كابتدائه، فإذا سكن في حال بينونتها ثم راجع وهو ساكن البلد المحلوف أن لا يسكن بها حنث بنفس العقد والله سبحانه أعلم" انتهى.

---

(١) هكذا في الأصل دون إدغام -النون في الميم-، والصواب الذي يوافق الرسم الإملائي الحديث "مِمَّا".

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤/ ٥٠)

(٣) المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل (٥/ ٣٢١)، وابن الحاجب، جامع الأمهات (ص: ٢٩٤)

(٤) عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد المغربي الفاسي، المالكي: من كبار الشيوخ في عصره، له" الأجوبة الكبرى " و" الأجوبة الصغرى " توفي عام: ١٠٩١ هـ. - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٤٥٥)، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: (٥/ ٢٩٥)

قال الشريف: وكتب عقبه أخي الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد: جواب شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر نفعنا الله به، في أن التحيل المفيد في الخروج من الطلاق لا يصح إلا فيما ينقطع ـــــــ دوامه صحيح.

ففي بعض أجوبة العقباني[1]: أنه يتحيل في الخروج من الطلاق الثلاث بوجه جار على الأصول إذا دَعت لذلك ضرورة، ولم يكن فيه حق الغير، مثل من يحلف بالطلاق ثلاثًا أن لا يفعل فعلًا سمَّاه معينًا لا يتكرر، مثل حلفه أن لا يشتري دار فلان، لدار معينة، أو لا يتزوج فلانة بنت فلان، ثمَّ يريد فعل ذلك فيخالع زوجته بطلقة، ويفعل ما حلف عليه ثم يتزوجها، وقد قيل به من غير كراهة. بل يُقال له: تحيل بهذا، وقيل: التحيّل به مكروه، وإن وقع مضى وتمّ، فهو من أحسن مسألة في الأيمان.

وقال شيخ شيوخنا سيدي محمد ميارة[2]: "من قال لزوجته إن فعلت كذا فأنت طالق ثلاثًا وخاف الحنث بالثلاث، فللمفتي أن يقول له: خالعها قبل الفعل ثم لا يلزمك إلا واحدة، ولك مراجعتها بعد الفعل، فهذا ومثله لا بأس به، وليس من تلقين الخصوم المنهي عنه. نقله في جامع المعيار عن ابن الطلاع[3]"انتهى [4].

وقال بعض أكابر العلماء: من أفضل الأعمال؛ الإفتاء برخصة مع إتقان، فانظر - رحمك الله - كيف فرق الأئمة - رحمهم الله - بين ما ينقطع، فليس الدوام فيه كالابتداء إلا أن يعاد ويبتدأ حقيقة، وبين ما لا ينقطع كدوام الركوب والسكنى، ومما ينقطع قطعا كالخروج والدخول، إذ هما ضدان.

ففي الصحاح:" والخرج خلاف الدخل"[5].

---

(١) أبو الفضل قاسم بن أبي عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني، ولد سنة ٧٦٨ هـ ولي القضاء وحمدت سيرته. له مؤلفات منها: "شرح جمل الخونجي" و "العقيدة البرهانية" وتوفي سنة ٨٥٤هـ ودفن مع الحفيد ابن مرزوق بزاوية الجامع الأعظم للمدينة. - انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: (١/ ٣٩٤)، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (٤/ ٢٣٠).

(٢) هو مَحمد، بفتح أوله، ابن أحمد بن محمد، أبو عبد الله ميارة الفاسي ولد عام: ٩٩٩هـ، وأخذ العلم عن ابن عاشر، والمقري وغيرهما، له تآليف منها: ، "الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام" و"فتح العليم الخلاق بشرح لامية الزقاق"،وغيرها توفي -رحمه الله- عام:١٠٧٢هـ. انظر: الكتاني، سلوة الأنفاس: (١/ ١٧٨- ١٧٩)، ومخلوف، شجرة النور الزكية: (٣٠٩).

(٣) هو محمد بن الفرج القرطبي المالكي، أبو عبد الله، ابن الطلاع، ويقال الطلاعي: مفتي الأندلس ومحدثها في عصره. شيخ الفقهاء في عصره سمع من يونس بن مغيث وابن جهور، له كتاب في أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب في الشروط وغيرهما، توفي عام: ٤٩٧هـ. - انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: (٢/ ٢٤٢)، والذهبي، سير أعلام النبلاء: (١٩/ ١٩٩).

(٤) انظر: أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء: بإشراف الدكتور محمد حجي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ١٤٠١هـ: (١٢/ ٣٠- ٣١)

(٥) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (١/ ٣٠٩)

وفي المختار: "والدخل ضد الخرج"[١].

وفي القاموس: "دخل دخولا ومدخلا، نقيض خرج". انتهى [٢]

ومن ادَّعى أن الخروج كالسكنى وأنَّه لا ينقطع فقد أنكر العيان، فلا كلام معه، إذ لا ينفع معه برهان.

فإن قلت: الحالف في النازلة قيّد عدمَ الخروج بستة أشهر، فمهما خرج فيها حنث مطلقًا، فقد قال الزرقاني[٣] على قول المختصر: " وَلَوْ نَكَحَهَا فَفَعْلَتُهُ لخ، ولو علق طلاق زوجته على فعل منه أو منها غير مقيد بزمن كدخول دار ثم طلقها بائنًا ثم نكحها ففعلته بعد نكاحها سواء فعل حال بينونتها أم لا حنث"[٤] إلى آخره.

قلنا: كلام الزرقاني هذا تقييد للحنث لا لعدمه كما توهمت توهمًا عجيبًا، فهو تخفيف لا تسديد، فإن من حلف لا فَعَلَ فعلًا في مدَّة معينة فَبِمُجرد ما تمضي تلك المدة ولم يفعله انحلت يمينه. بخلاف ما لو قال: لا فعلت وأطلق في يمينه فيبقى حكم اليمين منسحبًا عليه، وقد بيَّن الزرقاني ذلك بقوله: "فإن قيد بزمن ومضى كقوله: إن دخلت أنا وأنت الدار غدًا فأنتِ طالق، فأبانها ثم عاودها فدخلت الدار بعد مضي غد فلا حنث عليه، وهو ظاهر لأنه لو لم يطلقها وبقيت في عصمته حتى انقضى الأجل ففعل لم يحنث فأولى هذا" انتهى[٥].

وفي المواق: "المتيطي: من حلف بطلاق امرأته على أمر يفعله إلى وقت محدد، فإنه إن صَالَحَ امْرأَتَه[٦] قبل الأجل ثم فعل ما حلف عليه وهي في غير ملكه لم يحنث، ويتزوجها بعد ذلك إن شاء، وإن كان حلف بطلاقها ألا يفعل فعلًا فصالحها ثم فعل ذلك الفعل ثم تزوجها، فإن اليمين تعود عليه إن عاد إلى ذلك الفعل بعد تزوجها ما بقي من طلاق ذلك الملك شيء" انتهى[٧].

فإن قلت: إن الشُّرَّاح لم يُدخلوا الخروج فيما يندرج تحت الكاف في قول المصنف: "كدخوله" قلنا: من المقرر الضروري، دخول كل من هو من قبيل مدخول الكاف تحتها، وهم كما لم يمثلوا للخروج، لم يمثلوا لكثير مما لا يدوم، كالأكل لشيء معين، والتزويج، والكلام مع شخص، وغير ذلك مما لا

---

(١) انظر: الرازي ، مختار الصحاح: (ص: ٨٩ و١٠٢).

(٢) انظر: مجد الدين الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: (ص: ٩٩٨).

(٣) هو أبو محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، ولد بمصر عام: ١٠٢٠هـ، فقيه محقق، مرجع المالكية في عصره، أخذ عن النور الأجهوري واللقاني، له: شرح على مختصر خليل، وشرح على المقدمة العزية للجماعة الأزهرية، توفي -رحمه الله- عام: ١٠٩٩هـ.- انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٤٤١).

(٤) عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل: (٤/ ١٦٧).

(٥) نفسه: (٤/ ١٦٧).

(٦) أي قاما بإنهاء الخصومة بينهما قبل أن يحل الأجل.

(٧) المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل: (٥/ ٣٢١).

حصر له، ومن ذلك الخروج.

فإن قلت: إن الخروج يدوم؛ لأنَّه يَصْدُق على من انقطع خروجُه أنَّه خارج، قلنا: هذا وصف مجازي، باعتبار ما كان، ولو كان ذلك دوامًا لكان الدخول كذلك، مع تصريحهم بأنه لا دوام فيه وأنه ينقطع.

فإن قلت: اليمين في النازلة يمين حِنث[1] فلا ينقطع حكمها إلَّا بمضي ستة أشهر وهي خارجة عن عصمته، فمهما راجعها وهو خارج عن السجن داخل المدة حنث لكون المعنى لا لزمن السجن في ستة أشهر.

قلنا: بل اليمين هنا يمين بِرّ، فقد قال الزرقاني عند قول المختصر: " إنْ لَمْ يُكْرَهْ بِبِرٍّ " ما نصه: "قال د[2]: ومن الإكراه ببر: ما قاله ابن القاسم عن مالك فيمن حلف بالطلاق لا خرجت امرأته من الدار"[3] إلى آخره وسلموه. ثم هذا الذي قلناه جار على المشهور في مذهب مالك رضي الله عنه من عود اليمين إن نكحها بعد المراجعة كما قال في المختصر ولو نكحها ففعلته إلى آخره.

وذهب الشافعي رضي الله عنه كما في الزرقاني وغيره وابنُ عبد الحكم كما في الفائق: إلى أن اليمين لا تعود، وفي حاشية العلامة الصاوي[4] على أقرب المسالك: إن بقي من العصمة المعلق فيها شيء" ما نصه: "هذا خلاف مذهب الشافعي فإن مذهبه إذا قال الرجل لزوجته إن فعلتُ أنا أو أنت كذا فأنت طالق ثلاثًا، ثم خالعها انحلت يمينه، فإذا فعل المحلوف عليه بعد ذلك لا يلزمه شيء، بقي من العصمة المعلق فيها شيء أم لا، وهي فسحة عظيمة يجوز التقليد فيها"[5] انتهى.

---

(١) اليمين في اللغة: ضد اليسار، وجمعه أَيْمُنٌ وأيمانٌ وأيَامِنُ وأيامِينُ وترد بمعنى البركة والقوة، يقال: فلان يُتيمن برأيه أي يتبرك به. واصطلاحًا: عرفها ابن حجر في الفتح بقوله: "توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله تعالى"، وهي مأخوذة من اليمين التي هي اليد؛ لأن الناس كانوا إذا حلفوا وضع أحدهم يده في يد صاحبه فسمي الحلف يمينا، وقيل غير ذلك.

انظر: الفيروزآبادى، القاموس المحيط: (ص: ١٢٤١)، أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، إخراجه وإشراف: محب الدين الخطيب، ترقيم كتبه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ: (١١/ ٥١٦).

(٢) المقصود به العلامة الدردير شارح مختصر الشيخ خليل.

(٣) انظر: عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل: (٣/ ١٠٦)

(٤) هو أحمد بن محمد الصّاوي المالكي الخلوتي، ولد سنة: ١١٧٥ هـ بمصر، فقيه، وصوفي على الطريقة الخلوتية. حفظ القرآن ثم انتقل إلى الجامع الأزهر في طلب العلم، له تآليف منها: "بلغة السالك لأقرب المسالك"، وتوفي -رحمه الله- عام: ١٢٤١هـ.- انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٥٢٢)، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (٢/ ١١١).

(٥) انظر: أبو العباس أحمد الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ: (٢/ ٥٥٧).

ومثله للدسوقي[1] على قول الشيخ الدردير[2]، "وعند الشافعي لا تعود مطلقًا" ونصه: "أي سواء بقي من العصمة المعلق عليها شيء أم لا، فإذا قال لها إن فعلتُ أنا أو أنت كذا فأنت طالق ثلاثًا، ثم خالعها انحلت يمينه، فإذا فعل المحلوف عليه بعد الخلع وقبل عقده عليها أو بعده فلا يلزمه شيء، وهي فسخة عظيمة يجوز لغير الشافعي أن يقلده فيها"[3] انتهى. والله تعالى أعلم.

وكتبه مُسَلمًا على من يقف عليه، رادًا العلم لمولاه، راجيا عفوه وغفرانه، أحمد بن محمد بن الخياط الحسني، كان الله له ولطف به وبالمسلمين أجمعين، آمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين انتهى.

من خطه - جدد الله عليه الرضى والرضوان - ومنه أيضًا: وفي الفائق عن أبي سعيد بن لب[4]: قد أفتى كثير من المتأخرين بمراعاة اللفظ عند اقتضائه عدم الحنث، انتهى منه في الفرع ٢٢٨

[جواب سؤال عن زيت أركان هل تجب فيه زكاة]

الحمد لله ونص سؤال آخر سئل عنه رضي الله عنه.

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وعلى سيدنا وشيخنا وعمدتنا الهمام[5]، الشريف البركة الضرغام[6]، قطب الرَّحا[7]، ومتبوع أهل العصر بلا شك ولا إيهام، من أدرك في كل العلوم الغاية القصوى، وركب على منصة العدل والتشريف

---

(١) هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي الأزهري العلامة الأوحد الفهامة الأمجد محقق عصره ووحيد دهره أخذ عن الدردير والصعيدي له حاشية على الشرح الكبير للدردير وغيرها توفي عام: ١٢٣٠هـ - انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٥٢٠)، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (٨/ ٢٩٢).

(٢) هو أحمد بن أحمد بن أبي حامد العَدوي المالكي الأزهري الخَلْوَتِي، الشهير بالدردير، ولد عام: ١١٢٧ هـ، حفظ القرآن وحُبِّب إليه طلب العلم، فقدم الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء، فأخذ عن الصعيدي، وعنه أخذ الدسوقي، والصاوي، له: شرح على مختصر خليل، توفي عام: ١٢٠١هـ - انظر: الكتاني، فهرس الفهارس: (١/ ٣٩٣)، مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٥١٦).

(٣) انظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٣٧٦).

(٤) هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي مفتي غرناطة، وخطيب الجامع الأعظم، والمدرس بالمدرسة النصرية، كان إمامًا في أصول الدين وأصول الفقه أخذ عن القاضي المعروف بابن بكر وبه تفقه الزيات، والمشذالي، توفي عام: ٦٤٥هـ - انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: (٢/ ١٣٩)، مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٣٣١)، وعمر كحالة، معجم المؤلفين: (٨/ ٥٨)

(٥) أي: الرجل العظيم الهمة.

(٦) اسم من أسماء الأسد الضاري الشديد، جمعه: ضَرَاغِمُ، وضَرَاغِمَةٌ. وإطلاقه على الرجل من باب مجاز مرسل ومعناه: الرجل القوي. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٤٠١).

(٧) القطب قال في الصحاح: فيه ثلاث لغات: قُطْبُ وقَطْبُ وقِطابُ وهي الحديدة التي في الطبق الأسفل من الرحيين يدور عليها الطبق الأعلى، ويقال: فلان قطب الرحى أي سيدهم الذي يدور عليه أمرهم. - انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (١/ ٢٠٤).

والتقوى، صاحب الفيض[1] والمدد الجاري، والنور المشرق الساري، سيدي أحمد بن الخياط الحسني الزكاري، أزكى السلام والتحية والإكرام، والرحمة والبركة يعم الجميع الجانب والمقام، جوابك سيدي الكريم الكافي؛ المبرئ الشافي، عن زيت أركان[2] الكائن بسوس، هل فيه زكاة أم لا؟ وهل يكفي في وجوب الزكاة فيه قول الشيخ المسناوي[3]: "وتجب الزكاة في أركان، الكائن بسوس، فإنه من ذوات الزيوت، بل زيته عندهم أغلب من زيت الزيتون"، وقول ابن محسود[4] لما سئل عنه حسبما في نوازل الزياتي: فإنه بمنزلة الزيتون، فإذا أجمع منه نصابًا من أرض مملوكة زكاه، قال: وإذا جمع من الصحاري فلا زكاة فيه" انتهى.

ومن المعلوم أن قولهما مخالف لشراح المختصر وحواشيه من حصر ذوات الزيوت في أربعة فقط، مع اتفاقهم أيضًا على حصرها، أي: الزكاة في عشرين نوعًا من الحبوب والثمار لا غير، وقد استخرج الزرقاني الحصر واستنبطه من قول خليل الشيخ في بابه: "من حب"[5] وسلم ذلك المحشيان، وفي الدردير والشيخ جسوس[6] على الفقهية[7] وغيرها مثل ذلك، ولك الأجر الكثير من العلي الكبير.

فأجاب رحمه الله ورضي عنه بما نصه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه، وعلى أخينا في الله السلام ورحمة الله وبركاته.

---

(١) يجمع على فُيوض، وفيوضات، وأفياض وهو الشيء الغزير يقال: نهر فياض كثير الماء، ورجل فياض قال الجوهري: أي وهاب جواد.- انظر: نفسه: (٣/ ١١٠٠)، والرازي، مختار الصحاح (ص: ٢٤٥).

(٢) زيت أركان هو الذي يستخرج من ثمار شجرة الأركان، يعود أصلها إلى جنوب بلاد المغرب، ويحضّر بتحميص هذه الثمار، ثمّ طحنها، للحصول على الزيت الصالح للأكل، ولأغراض أخرى.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الملقب ب:"المسناوي" ابن محمد بن أبي بكر الدلائي، ولد عام: ١٠٧٢هـ، أخذ عن والده، وعم أبيه ، وعبد القادر الفاسي، له: "فوائد التصوف"، توفي رحمه الله عام: ١١٣٦هـ . - انظر: الكتاني، سلوة الأنفاس: (٣/٥٩ -٦١)، مخلوف، شجرة النور الزكية: (١/ ٤٨١).

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محسود الهواري ، كان ملازما لجامع الأندلس، تقلد القضاء بها، نبغ في الميدان الفقهي علما وعملا، كان مصدرا ومرجعا لدى باقي صلحاء الغرب الإسلامي، توفي عام: ٤٠١هـ.- انظر: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، ابن عيشون الشراط، دراسة وتحقيق زهراء النظام، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م: (ص: ٢٩٦)، والكتاني، سلوة الأنفاس: (٣/١٩٦-١٩٧).

(٥) خليل، المختصر: (ص: ٥٥)

(٦) هو أبو عبد الله مَحمد ـ فتحا ـ جسوس؛ هو من آل جسوس الفاسي، ولد عام: ١٠٨٩هـ، الفقيه المالكي العالم الشهير، اشتغل بالتدريس وأخذ عنه جملة من العلماء منهم: أبو عبد الله بن أبي عسرية، ومحمد التاودي بن سودة، له: "شرح مختصر خليل"، و"شرح على الرسالة"، توفي رحمه الله عام:١١٨٢هـ. - انظر: مخلوف، شجرة النور (١ /٥١١ و ٥٧٢)، والكتاني، سلوة الأنفاس: (١ /٣١٦ - ٣١٨).

(٧) لمؤلفها سيدي عبد القادر الفاسي، وهي عبارة عن نثر لطيف، حاذى به نظم شيخه العلامة ابن عاشر المعروف ب:"المرشد المعين"، وقد أجاد وأفاد غاية الإفادة فيها، وقد قام بشرحها العلامة جسوس.

وبعد؛ فالذي ظهر لأخيكم أن الحصر الواقع في كلام من ذكرت، ليس حصرًا حقيقيًّا، بل هو بالإضافة للكتان وزيته، ولنحو العسل، والفاكهة؛ كالجوز، والرمان، خلافًا لقول ابن الماجشون: "تجب في كل ما له ساق كالرمان والتفاح وشبههما"[١].

ولقول الإمام أبي حنيفة بإيجابها في الخُضر، كالقثاء والبطيخ ونحوهما[٢].

ولقول ابن حبيب[٣] بإيجابها في التين، وقد قال ابن ناجي[٤]: المشهور من المذهب أن الزكاة تجب في كل مقتاة متخذ للعيش غالبًا[٥]، وقيل: تجب في كل مقتاة ولا يشترط كونه متخذًا للعيش غالبًا[٦]، فيدخل التين في هذا القول ويخرج الأول، فلو فرضنا وجودَ حَبّ مثلًا في بلد يقتاتون به، ويغلب عيشهم به لتعين القول بوجوب الزكاة فيه، ويحتمل أن يكون الحصر عند من ذكره باعتبار ما عثر عليه من الحبوب والثمار المقتاة المدخرة موجودًا أو منصوصًا على الوجوب فيه، لا باعتبار تخصيصها بالحكم من غير أن يلحق بها غيرها مما في معناها إن وجد، على أنَّ الشيخ ميارة قال: "ويدخل في ذي الزيت الزيتونُ والجلجلان وحَبُّ الفجل ونحوها، مما له زيت" انتهى[٧].

فتتناول عبارته زيتَ أركان، كما يتناوله كلامُ ابن ناجي المذكور: ولا يقال: التين مقتاة في بعض البلاد، مع أن المشهور نفي الوجوب فيه انتهى، لأنا نقول: قد رأيت في كلام ابن ناجي أنه غير غالب العيش.

فإن قلت: لا نسلم أن التين غير غالب للعيش، قلنا: حيث صرَّح أهلُ المذهب بأن المشهور فيه نفي الوجوب لم يسع إلا اتباعه، وغاية الأمر إن سلم غلبة العيش به أن يكون المشهور مشكلًا. وقد قال ابن

---

(١) ابن الحاجب، جامع الأمهات: (ص: ١٦١).

(٢) انظر: لصفي الرحمن المباركفوري، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، دار السلام، الرياض - المملكة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: (٢/ ٨٠).

(٣) هو الإمام أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن مرداس، السلمي، القرطبي، المالكي، الأندلسي.. لُقِّب بالفقيه الكبير وعالم الأندلس وعالم الدنيا.. كان جماعًا للعلم، كثير الكتب، ولد عام: ١٧٠هـ، له تآليف منها: "الواضحة" وبها عرف توفي – رحمه الله- عام: ٢٣٨هـ. انظر: مخلوف، شجرة النور: (١١٢\١)، وابن فرحون، الديباج المذهب: (٢/ ٨).

(٤) أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني: الإمام الفقيه الحافظ العارف بالأحكام والنوازل. أخذ عن ابن عرفة والبرزلي وعنه حلولو وغيره. له كتب، منها " شرح المدونة " وزيادات على معالم الايمان "، و " شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني" توفي عام: ٨٣٧ هـ. –انظر: مخلوف: شجرة النور الزكية: (٣٥٢)،

(٥) انظر: روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، لابن بزيزة، تحقيق: عبد اللطيف زكاغ، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م: (١/ ٤٧٧).

(٦) نفسه: (١/ ٤٧٧).

(٧) انظر: محمد ميارة الفاسي، الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة – مصر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : (ص: ٤٠٨)

القصار: "إنما تكلم مالك على بلده ولم يكن التين فيه، وأما في الشام وغيره ففيه الزكاة"[1].

وقال بعضهم: "التين أولى من الزبيب في الوجوب"، ورُدّ ذلك بتصريح أهل المذهب بسقوطها في التين على المشهور، ومن المقرر المشهور أن ـــ الإشكال لا يدفع الفقه، فتحصل أن الـمُعَوّل عليه في زيت أركان هو ما قاله العلامة المسناوي تبعًا للإمام ابن محسود، ونقله شيخُنا العلامة في اختصاره وأقرَّه واعتمده، والله تعالى أعلم.

وكتبه العبد الضعيف المعترف بالعجز والقصور والتقصير الحقير أحمد بن محمد ـــ بن الخياط، كان الله له وللمسلمين، آمين . انتهى.

(١) انظر: الشيخ خليل، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب: (٢/ ٣٢١).

المراجع والمصادر:

- ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ابن مغيث، المقنع في علم الشروط لابن مغيث، دار الكتب العلمية، بيرو- لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت. الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- أبو الحسن علي العدوي، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- أبو العباس أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.
- أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء: بإشراف الدكتور محمد حجي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ١٤٠١هـ
- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م.
- أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي، القوانين الفقهية لابن جزي، تحقيق: محمد أمين الضناوي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.
- أبو الوليد محمد بن رشد ، المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي القاهرة الطبعة ١٩٦٧م.
- أحمد ابن الخياط الزكاري، "الفهرسة الكبرى والصغرى"، تحقيق: د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم: الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- أحمد الرهوني، "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" ، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، تطوان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- أحمد بن العياشي سكيرج، "قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ" ، تحقيق: محمد الراضي، دار الأمام ٢٠١١م.
- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور الرباط ١٩٧٣م.

- أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، إخراجه وإشراف: محب الدين الخطيب ،ترقيم كتبه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- أحمد بن علي المنجور ، شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، تحقيق: محمد الشيخ محمد الأمين، دار عبد الله الشنقيطي.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- برهان الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- شمس الدين الرعيني الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الشيخ خليل، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب ، تحقيق: عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- عبد الباقي الزرقاني، ومحمد بن الحسن البناني، حاشية البناني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، ضبط وتعليق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- عبد الحفيظ بن محمد الظاهر الفاسي، "معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة" ، صححه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- عبد السلام ابن سودة، "سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال"، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- عبد الله محمد المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.
- عثمان ابن الحاجب، جامع الأمهات، تحقيق: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، لطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ
- علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- لصفي الرحمن المباركفوري ،منة المنعم في شرح صحيح مسلم، ، دار السلام، الرياض - المملكة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- مجد الدين الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- محمد الحجوي الثعالبي، "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- محمد بن أحمد الرهوني حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل المطبعة الأميرية بولاق – مصر، ١٣٠٦هـ
- محمد بن أحمد السرحسي، المبسوط، دار المعرفة – بيروت – لبنان، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- محمد بن جعفر الكتاني، وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- محمد عبد الحي الكتاني، "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية: ١٩٨٢م
- محمد مخلوف، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- محمد ميارة الفاسي، الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة – مصر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء – المغرب بدون طبعة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- نوازل ابن الحاج التجي القرطبي، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

Three jurisprudential answers by Sidi Ahmed bin Al-Khayyat Al-Zakari Al-Hasani - who died in (1343 AH)

Noureddine Muhammad Larji / Morocco

Books of fatwas talk about issues mostly not in the books of the doctrine, but they are derived from the events of the age. Therefore, They are very important to deal with issues of theses ages. These books were born of need, because the issues were presented to Mufti moment by moment, he is close to them, aware of their conditions, familiar with their reality. We have chosen to achieve answers rich in scientific benefits, and jurisprudential pearls, for a great scholar: Sayyid Ahmed bin Al-Khayyat Al-Zakari, as it has never been achieved before, and has not yet seen the light, we saw that it is a work that deserves to be achieved in order to facilitate its emergence into existence, given the high status of these answers

The military system in the first Abbasid era (132-232 AH / 750-836 AD) a historical study

D. Muhammad Hassan Muhammad Imam Al-Basha / India

This research aims to highlight the Abbasid role in the military system, because of its role in highlighting the prestige of the sprawling state and defending its borders through the study of the army's organizations, leadership, weapons, types and mobilization, and the role of soldiers in political life.

Rock art is an essential introduction to writing history and heritage in ancient Morocco and North Africa

Rachid Siddiq / Morocco

Rock art is a component of the tangible cultural heritage that testifies to the emergence of ancient human civilizations in human history. It may suggest the diversity and multiplicity of aspects of the rock and archeological heritage of Morocco. On the one hand, it is an introduction to writing ancient history in North Africa due to the rock evidence and documents that speak of the genius of ancient man in drawing and engraving artistic, natural, and aesthetic topics on the rocks and caves, as it is an essential reference for documenting and studying various aspects of the history and heritage of societies and geographical fields. On the other hand, it is a source for the history of art as it carries ancient symbols and writings, aesthetic and artistic values.

Explanation of the Beautiful Names of Allah or (Ielam Al-Labiba Al-Hasan Bi Asmaa Allah Al Husnah)

Dr. Taha Muhammad Fares / UAE

Scholars throughout history have taken great care to explain the names of Allah, and their approaches differed between lengthy and brief, and among those who won the honor of taking care of them was Imam Wali al-Din al-Malawi, as he addressed in his message that we have in our hands the names that were mentioned in the narration of Imam al-Tirmidhi, and explained them briefly in an easy and tight phrase, and it was from what he said in his brief introduction to explain them. We also find him saying in his book Ifham al-Afham fi Sharh 'Aqeedah al-'Izz ibn 'Abd al-Salam (p. 152): "I have mentioned in the explanation of the Most Beautiful Names what heals its brevity and sufficiency."

The manuscript of "Al-Tibyan fi Tafsir Al-Qur'an" By Muhammad bin Ahmed bin Amara Al-Ghassani Al-Burji Al-Andalusi (Q: 7 AH) Errors in controlling the title and illusions in attributing it to non-author

Dr. Ali Qassimi / Morocco

Achieving the title of the book and attributing it to its real author contributes to the output of the achieved work according to what its author wanted in form and content, so those who addressed this field should exert their efforts, devote their power, and focus their attention to reach this end. After years of working on this interpretation, and the accompanying continuous access to the catalogues and dictionaries of manuscripts, the electronic portals of some libraries and research centers, and the recorded and discussed theses , I realized the magnitude of the error made by the indexers and copyists in controlling the title and proportion of this book, and through them this was transmitted to investigators and researchers.

Bankers and banks (the economic impact of foreign financial institutions in the Ottoman Empire in the 19th century)

Ahmed Saleh Ali Mohammed/ USA

There is no doubt that the financial crisis was the dominant feature during the 19th century AD. The situation in the Ottoman Empire changed from the state of deficit to the state of financial surplus to the state of borrowing, which took two parts, where the first part was initially an attempt to borrow from the Ottoman interior, and the second part, after the inability of those internal resources to fill the deficit and stand in the face of the financial crisis, the situation turned to borrowing from abroad as a result of the increase in the severity of the state's financial crisis. Indeed, this foreign state promoted everything that is precious to put the state under material and economic pressure to interfere in its internal affairs, and this was like a bullet that was fired at the body and entity of the state throughout the 19th century.

Manuscript Decoration in the Seventh Century AH (Mosul School as a Model)

Prof. Edham Muhammad Hanash / Jordan

This modest research attempts to deal with (visual decoration) with the critical study, technical analysis and scientific conclusion of the concept and philosophy of this term, and the emergence of this art and its plastic development in manuscripts in general, and manuscripts of the seventh century AH / thirteenth century AD in particular, including those manuscripts made in the city of Mosul (located in contemporary northern Iraq) and its surrounding civilizational geography, cultural environment and the same artistic environment.

INDEX

Editorial

Financial actions and the obligation to adhere honesty and integrity

Editing Director 4

Researches Titles:

The manuscript of "Al-Tibyan fi Tafsir Al-Qur'an" by Muhammad bin Ahmed bin Amara Al-Ghassani Al-Burji Al-Andalusi (Q: 7 AH) Errors in controlling the title and illusions in attributing it to non-author

Dr. Ali Qassimi 6

Bankers and banks (the economic impact of foreign financial institutions in the Ottoman Empire in the 19th century)

Ahmed Saleh Ali Mohammed 27

Manuscript Decoration in the Seventh Century AH (Mosul School as a Model)

Prof. Edham Muhammad Hanash 50

The military system in the first Abbasid era (132-232 AH / 750-836 AD) a historical study

Dr. Muhammad Hassan Muhammad Imam Al-Basha 71

Rock art is an essential introduction to writing history and heritage in ancient Morocco and North Africa

Rachid Siddiq 89

Manuscripts' Verification

Explanation of the Beautiful Names of Allah or (Ielam Al-Labiba Al-Hasan Bi Asmaa Allah Al Husnah)

Dr. Taha Muhammad Fares 107

Three jurisprudential answers by Sidi Ahmed bin Al-Khayyat Al-Zakari Al-Hasani - who died in (1343 AH)

Noureddine Muhammad Larji 149

Abstracts 182

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 31 : No. 121 - Shaaban - 1444 A.H. - March 2023

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديلٍ أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 31 : No. 121 - Shaaban - 1444 A.H. - March 2023

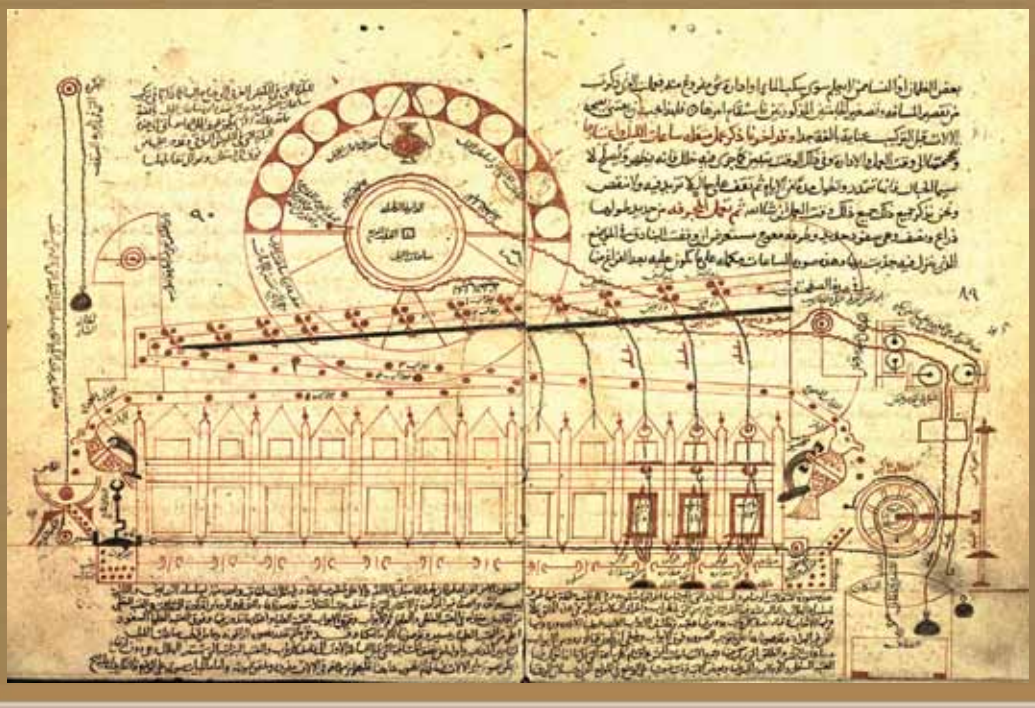

كتاب في علم الساعات والعمل بها

ابن الساعاتي : رضوان بن محمد بن علي الخراساني ٦١٨ هـ

kitab fi eilm alsaaeat waleamal biha

The author Ibn Al-Saati: Radwan bin Muhammad bin Ali Al-Khorasani 618 AH

tarikh alnasakh 658 hijri, Date of Origin: 658 AH, nuskhat maktabat kubrili

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage